كلمة العدد

بقلم : الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

مجلس التعاون ..

الضرورات التاريخية والآفاق المستقبلية

ان اى حديث عن مجلس التعاون الخليجى يشير بداية الى حقيقة هامة من حقائق التاريخ فى منطقة الخليج ، هى ان التعاون كان ومايزال احد الاسس الراسخة التى قامت وتقوم عليها العلاقات بين الوحدات السياسية فى المنطقة . وهو تعاون ظل قائما تحت السطح او فوق السطح فى كل الظروف سواء بظواهرها السلبية او مظاهرها الايجابية التى تتابعت على المنطقة فى فصل أو آخر من فصول التاريخ .

فالتعاون هو فى معناه المجرد علاقة . والعلاقة - اى علاقة - لها معطيات . وهذه المعطيات بوفرتها او ندرتها هى التى تحدد نوع هذه العلاقة قوة وضعفا . توقفا واستمرارا . وبنظرة عابرة على معطيات العلاقة التى تربط بين الوحدات السياسية فى المنطقة حكاما وشعوبا ، يجد الباحث ودون عناء كبير انها معطيات لاتتوافر ولم تتوافر فى اى منطقة اخرى من مناطق العالم الفسيح فجميع العناصر البشرية التى تشكلت منها الوحدات السياسية على الساحل خرجت كلها من قلب شبه

الجزيرة العربية فى موجات متتابعة نتيجة بعض الظروف المناخية والبيئية الطاردة . وهى موجات أخذت على الدوام شكل هجرات جماعية تخرج فيها المجموعة البشرية كقبيلة أو بطن او فخذ تنقل معها كل مقومات حياتها وتحتفظ طوال رحلتها الطويلة بكل روابطها وعلاقاتها وعاداتها واسلوب حياتها . ثم هى تقيم فى بيئتها الجديدة مجتمعا متماسكا قد تتغير ظروفه البيئية ولكن ظروفه الاجتماعية - فى جوهرها - لاتتغير ولاتتبدل . وإذا كانت الهجرات البشرية ظاهرة إنسانية شهدها العالم فى مختلف الارجاء . إلا ان الهجرات البشرية فى منطقة الخليج تحتفظ دائما بخصوصية لم تتكرر .

هذه الخصوصية تتمثل فى ان المجموعات المهاجرة وهى فى معظم الحالات فروع او أجزاء من قبائل كبيرة ظلت محافظة على العلاقات والصلات بينها وبين القبيلة الام فى المركز من ناحية ، وبينها وبين الاجزاء الاخرى من القبيلة التى هاجرت من المركز الى مكان آخر على الساحل من ناحية اخرى ، مما خلق ومازال دروبا من الاتصالات المستمرة بين كل هذه المجموعات والافراد أشبه بالشبكة المتصلة الخيوط والروابط فإذا أضفنا الى ذلك القاعدة البدوية التى تفضل الاصهار الى الاقارب بدئا من أولاد العم نجد ان علاقات النسب المتبادل بين الاقارب المنتشرين على الساحة قد أضافت بعدا جديدا الى دعم هذه العلاقة بين المركز والاطراف وبين الاطراف بعضها والبعض الآخر .

تأتى بعد ذلك خصوصية اخرى هى الدين الواحد الذى تدين به كل المجموعات على الساحة فهو الى جانب مايوفره لهذه المجموعات من رباط واحد يجمعهم كلهم أفرادا وجماعات على إله واحد وكتاب واحد ونبى واحد .

أضاف وباستمرار مزيدا من الربط بين هذه المجموعات التى حرصت وتحرص على زيارة الاماكن المقدسة فى الحج الذى هو فرض من فروض الدين ، هذا الحج الذى لم يكن مجرد زيارة للاماكن المقدسة فى المركز وانما كان موسما كبيرا تلتقى فيه المجموعات القادمة من كل مكان على الساحل مع اصولهم فى قلب شبه الجزيرة العربية وهو لقاء دائم ومستمر يتكرر كل عام ويحول دون تفكك الاواصر او تحلل الروابط او ضعف العلاقات .

هذه العلاقة الخاصة ، جعلت من التعاون في المنطقة حقيقة تاريخية ضاربة الجذور ، قوية الاسس ، راسخة القواعد ، حتى قبل ان تأخذ شكل تنظيم سياسى من نوع او آخر .

فالتنظيمات السياسية او الاتحادات السياسية التى تنشأ في عالمنا المعاصر ، انما تنشأ لخلق نوع مطلوب من التعاون بين بعض الوحدات السياسية . ولكن الوضع في منطقة الخليج معكوس . فالمعطيات التى عرضتها فيماسبق إنما تجعل من أى تنظيم سياسى او اتحاد سياسى نتيجة او انعكاسا او تتويجا او ترسيخا لتعاون قائم بالفعل وهو تعاون قديم قائم بالفعل وليس مجرد تعاون طارىء فرضته بعض الظروف المستجدة على الساحة . فالتعاون في الحالة الاولى سبب وهو في الحالة الثانية نتيجة لضرورات تاريخية توافرت بشكل ليس له مثيل .

وهنا تظهر قضية هامة ، يحلو للبعض ان يذهبوا بها بعيدا . ويضعوا لها الكثير من الفروض ، ويخرجوا منها بالكثير من النتائج التى تتفق وبعض الاغراض في نفس يعقوب .

هذه القضية التى تثار بين وقت وآخر أرى من المهم ان نعرض لها بصراحة وموضوعية ، وهى وإن خرجت بنا عن سياق الحديث إلا انها تمثل استطرادا لابد منه راجين ان تكون تحت نظر الكثيرين من المؤرخين والمحللين السياسيين وبعضهم من داخل المنطقة وأغلبهم من خارجها .

هذه القضية تقول إذا كان التعاون أصيلا فلماذا الخلافات الحادة التى تظهر بين بعض الوحدات السياسية والتى تلتهب فيها المواقف أحيانا الى مايقرب من درجة الاشتعال بسبب الحدود؟

وانا اتقدم هنا ببعض رؤوس الاقلام التى ارجو ان تكون محل اهتمام قادتنا ومفكرينا وان تكون اساس حملة شاملة تحشد لها الاقلام والصحافة في خليجنا العربي لخلق جو جديد من الثقة ولارساء قواعد جديدة لما يجب ان تكون عليه العلاقات بين الاخوة الذين يجمعهم النسب والدين والذين يؤمنون بالله واحد ونبي واحد وكتاب واحد . والذين يعيشون على ساحة واحدة تواجه خطرا واحدا وتتطلع الى مستقبل واحد .

واول هذه التصورات هو العمل للقضاء على كل العوامل المسببة للخلاف وتأتي مشكلة الحدود الجغرافية في مقدمة هذه العوامل وفي

هذا الصدد فان قادتنا امامهم مهمة كبيرة وخطيرة . هي العمل الدؤوب المتواصل للقضاء لمرة واحدة واخيرة على مشكلة الحدود فليس من المعقول في بلدان تتحدث عن التعاون وعن الوحدة المصيرية التي تجمع بين مواطنيها والتي تتحدث ليل نهار عن ضرورة الغاء الجوازات والجمارك وفتح الابواب كلها امام جميع المواطنين ليس من المعقول ان يطمع الاخ في اخيه وان يطالب بقطعة من الارض هي تحت ادارته وتصرفه من زمن طويل مع ان اراضى هذه البلدان كلها في واقع الامر اراضي الجميع اخوة واشقاء واذا كانت بعض الخطوط ترسم مجالات التحرك للدول فان المتوقع ان يكون ذلك داعيا للتنافس في مجال البناء والاعمار والتطور والتعاون لا سببا للفرقة والتنافر . ان السبب الرئيسي لاي مشكلة هو موضوع الحدود ولو ان دول مجلس التعاون تبنت القرار الذي اتخذته الدول الافريقية باحترام حدود كل دولة كانت تحت تصرفها عندما رحل عنها الاستعمار ونالت استقلالها وانتسبت للامم المتحدة لحلت كل المشاكل ولو ان دول الخليج اتخذت ذلك القرار واحترمت تلك الحدود لأراحت واستراحت كما وجدنا اوروبا التى خاضت حربين عالميتين مدمرتين تضع حدا للاسباب الكامنة وراء هاتين الحربين من خلال تعاونها واتفاقها في مؤتمر الامن والتعاون الاوروبي حيث ارست الاسس ومبادىء السلام والوئام في وثيقة هلسنكى لعام ١٩٧٥ وميثاق باريس لعام ١٩٩٠ ، وذلك طبقا لمبادىء ومقاصد الامم المتحدة ومن بين تلك المبادىء الالتزام بالسيادة والاستقلال والسلامة الاقليمية للدول وحرمة حدودها .

ونعود الآن لمواصلة الحديث عن جذور التعاون الضاربة فى تاريخ وتربة المنطقة . ان اى مراقب يلاحظ ان التحليلات السياسية والدراسات التاريخية التى تدور حول المنطقة إنما تتناول دائما منطقة الخليج ككل قبل ان تتناول الوحدات السياسية القائمة فيه . فاصطلاح الخليج هو عنوان كبير فى التعامل مع المنطقة سواء بالنسبة للمجموعات او الافراد ، ان اى انسان أجنبى راحل الى المنطقة عندما تسأله الى اين يذهب فإنه يقول لك انه راحل الى الخليج قبل ان يذكر لك الى اى وحدة سياسية معينة اختارها فى الخليج . كل الاستراتيجيات التى تضعها مختلف القوى الخارجية انما توضع على اساس التعامل مع الخليج كوحدة قبل ان تفصل كأجزاء للتعامل مع وحداته السياسية

كل المؤلفات حتى التى تخصص لدولة او اخرى بالمنطقة تبدأ بدراسة الخليج أولا كإطار هام للحديث عن هذه الدولة . كل هذا يرسخ الواقع الموجود بالفعل وهو التشابه او التطابق فى كل الظروف التى تجمع بين الوحدات السياسية بالمنطقة . والمستقرىء للتاريخ سوف يجد نماذج كثيرة وعديدة تؤكد ان التعامل الخارجى مع المنطقة انما كان يتم دائما على هذا الاساس .

لقد شاء القدر ان تتوافر لهذه المنطقة ثلاثة عناصر هامة لاتتوافر فى اى مكان بالعالم .

ففى الجزيرة العربية المقدسات الاسلامية الرئيسية الممثلة فى الكعبة المشرفة والمسجد النبوى الشريف والمزارات الهامة التى تتجه اليها قلوب وعقول وأرواح المسلمين فى كل ارجاء الارض . والمنطقة بموقعها الجغرافى تمثل قلب العالم فهى نقطة الوصل بين الشرق والغرب ، تتحكم فى أهم المضايق على وجه الارض . وقد كانت كذلك منذ ولد التاريخ فى الحضارات القديمة ومازالت حتى اليوم ، يأتى بعد ذلك العنصر الثالث وهو ان هذه الارض تفجرت بها ينابيع الذهب الاسود الذى يعتبر عصب الحياة فى العالم كله ، وان جوف هذه الارض يحتضن أضخم احتياطى عالمى للبترول مماجعل بيد هذه المنطقة المفاتيح التى تسير دولاب الحياة فى العالم كله .

هذه المقومات الثلاثة كانت ومازالت تشكل الاساس الاستراتيجى للمنطقة ككل من ناحية والاساس الاستراتيجي لاطماع القوى الخارجية تجاهها كوحدة واحدة من ناحية أخرى . والامثلة على ذلك كثيرة نكتفى منها بنماذج ثلاثة توضح مانذهب اليه .

فعندما مد البرتغاليون أنظارهم الى الخليج معتمدين على ماتوافر لهم من معلومات قدمها فاسكو دى جاما . كان الحافز اقتصاديا ولكن الدافع كان دينيا وهو مهاجمة قلب العالم الاسلامى ، مكة المكرمة وبمعنى آخر استئناف الحروب الصليبية فى هجمة جديدة تأخذ مسارا جديدا . وقد دفعت البرتغال بقائدها إفونسو دا البوكيرك سنة ١٥٠٦م وقد كشف البوكيرك عن نواياه فى رسالته الى شاه فارس سنة ١٥٠٩م وجاء فيها : إننى أقدر لك احترامك للمسيحيين فى بلادك وأعرض عليك الاسطول والجند والاسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك واذا اردت ان تنقض على بلاد العرب او تهاجم مكة فستجدنى بجانبك فى البحر الاحمر

امام جده او فى عدن او البصرة او القطيف وسيجدنى الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسى وسأنفذ له مايريد .

وكانت اعلانات البوكيرك على الدوام انه سوف يهدم الكعبة وينكل بالمسلمين وقد استحال عليه الهدف الاول ولكنه نجح فى الثانى الى حد بعيد فقد تعرض المسلمون فى ساحل عمان لأشد أنواع التنكيل مثل قطع الآذان والانوف والقتل والسبى بل ان تعليماته لسفنه كانت باغراق اى سفينة تحمل مسلمين دون اى انذار ودون ادنى اعتبار للاصول المتعارف عليها وكم أغرقت سفنه من سفن لم تكن تحمل سوى الحجاج المسلمين .

سيطر البرتغاليون على الخليج وباركت كل اوروبا اعمالهم الهمجية باسم الصليب واستمر وجودهم حتى سنة ١٦٢٢م وان كان وجودا قلقا تعرضوا فيه بدورهم لمقاومة عنيفة ولمعارك ضارية شاركت فيها كل مناطق الخليج وتبرز هنا ثورة ١٥٢٢م وهى الثورة التى تم ترتيبها للهجوم على البرتغاليين برا وبحرا فى ليلة واحدة وفى وقت واحد فى كل من مسقط وقريات وصحار والبحرين وهرمز اما كيف تم تنسيق ذلك فى زمن لم تكن وسائل الاتصال فيه متطورة او حتى موجودة وانما الذى كان متوافرا هو الوسائل البدائية ، فإن ذلك يحتاج الى دراسة مستفيضة وان كانت دلالته هامة الى ابعد حد وهى استشعار الجميع ان الجرح واحد وان العدو واحد وان التنسيق والتعاون فى مواجهة الخطر ضرورة لابديل عنها وانها سبيل النصر وقد كان .

لقد كان لموقع منطقة الخليج المتوسط بين الشرق والغرب وتحكمها فى حلقة الوصل بين أوروبا والشرق الاقصى إعتبار هام فى نظر القوى الكبرى . هذا الموقع وإن كان يمثل نعمة أنعم الله بها على المنطقة . إلا انه كان فى بعض الاوقات نقمة عانت من آثارها كل الوحدات السياسية الموجودة فى هذا الموقع الاستراتيجى الهام . فى البداية ظهرت الحاجة للسيطرة على مداخل البحر الاحمر والخليج خاصة بعد افتتاح قناة السويس ولتأمين طريق التجارة الهام والخطير بين أوروبا ومستعمراتها فى الهند . فى المنطقة انتشرت مخازن الفحم لتموين السفن المسافرة عبر هذه المسافات الشاسعة . ثم بعد ذلك خزانات الوقود بعد استخدام الطائرات ثم الوكالات الاجنبية ثم الحاميات لتأمين كل ذلك من قوى اخرى طامعة ثم بعد ذلك تحول هذا الموقع الهام الى نقطة

استراتيجية خطيرة ضمن استراتيجية تطويق الامبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الاولى والاتحاد السوفيتي طوال سنوات الحرب الباردة . ودون تفصيل قد يجرنا الى حديث متشعب لاينتهى فإن موقع منطقة الخليج ككل كان عنصرا أساسيا ورئيسيا وهاما بالنسبة للقوى الدولية الكبرى . تشكلت على أساسه سياسات واتخذت مواقف وحدثت صدامات وجدت تطورات كانت مظاهرها و آثارها ونتائجها تطال المنطقة ككل لاوحدة سياسية من وحداته دون الاخرى .

نأتي بعد ذلك الى العنصر الثالث وهو البترول فمنذ تفجرت ينابيعه في المنطقة ، ومنذ تم تقدير احتياطياته العملاقة وقد تغير الوضع . فبعد ان كان الخليج نقطة هامة على طريق يصل بين القوى الاستعمارية في الغرب وكنز التوابل في الشرق الاقصى أصبح الخليج هو غاية الرحلة ونهاية طريق يربط بين أوروبا وأمريكا وكنز الذهب الاسود في المنطقة . ومع تطور الصناعة وتقدمها ازدادت اهمية هذه المادة التى اصبحت عصب الحياة في كل العالم . واحدى اهم واخطر المصالح الحيوية للقوى الكبرى . ومرة اخرى عادت تتشكل من جديد السياسات والخطط الاستراتيجية والتحركات الدبلوماسية والاتفاقيات الدولية وبعد ان كانت المنطقة نقطة هامة لتأمين مصالح حيوية عسكرية وتجارية في مناطق اخرى . اصبحت كل النقاط الاستراتيجية الاخرى نقاطا هامة لتأمين المصالح الهامة للغاية في المنطقة .

هذه النماذج التى مررت عليها مرورا عابرا في إشارات سريعة الى ماتوحي اليه وهو كبير جدا ويحتاج الى تفصيل وبسط . إنما أردت بها ان أؤكد على نقطتين هامتين :

الاولى : ان المنطقة بكل وحداتها السياسية قد مثلت وتمثل وحدة عضوية تتشابه كل ظروفها وتتكامل كل مقوماتها السياسية والاستراتيجية في نظر القوى الخارجية التى تتعامل معها بالدرجة الاولى كمنطقة قبل ان تتعامل معها كدول .

الثانية : أن كل هذه المعطيات التاريخية والاجتماعية والجغرافية والاقتصادية والسياسية إنما مثلت طوال التاريخ ـ ومازالت تمثل وستظل كذلك الى وقت طويل مجموعة من الضرورات التاريخية لإنشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية .

التعاون إذن علاقة ، والعلاقة بين الوحدات السياسية في الخليج علاقة خاصة بمعطيات خاصة . شكلت وتشكل وجدان وتفكير الانسان الخليجي حاكما ومحكوما على مر التاريخ . من هنا جاء إنشاء المجلس استجابة لضرورات تاريخية كما جاءت كل المحاولات قبله . لصب التعاون القائم بالفعل في قالب سياسي وبلورته في شكل مجلس يتيح مرونة اكبر وتنظيما أدق في التعامل مع العالم الخارجي من ناحية . وفي خلق جسور حديثة تربط بين هذه المجموعات بأسلوب يواكب مستجدات العصر من ناحية اخرى .

وأنتقل الآن الى الشق الثاني من هذا الحديث وأول ماتجب الاشارة إليه هنا هو ملاحظة منطقية مفادها انه إذا كان العالم كله يتناول المنطقة في حديثه وسياساته ككيان واحد فإن المنطق يقتضي ان تتحدث المنطقة وتتعامل مع العالم بلسان واحد وكيان واحد . ومن هذه الحقيقة جاء قيام مجلس التعاون كتنظيم سياسي ، وبدأت لجان المجلس في ممارسة أعمالها في مختلف القطاعات وهنا لابد من الاشارة الى ملاحظة مطروحة على الساحة تقول ان جهود المجلس في تحقيق الوحدة المنشودة تسير ببطء شديد . وهنا كان المفروض ان يطرح سؤال هو هل هذا البطء مفيد ام ضار .

نحن نعلم ان عواطف الانسان العربي دائما مع الوحدة فالاخوة إحساس عربي قديم كامن في الوجدان ونعلم أيضا ان الجماهير ينقصها الصبر في كثير من الاحيان وانها تميل الى ان ترى احلامها حقيقة بين ليلة وضحاها . ولكن التجارب السابقة سواء في المنطقة او العالم العربي او العالم من حولنا أثبتت ان اي تنظيم يأتي من اعلى لا يتوافر له البقاء وان التنسيق الحقيقي والتعاون الحقيقي هو الذي يأتي من اسفل وان مثل هذه الاحلام الكبيرة لاتتحقق بقرار عاطفي يتاجر بحماس الجماهير . وانما تتحقق بوضع الاسس الراسخة القائمة على استكشاف موقع القدم ودراسة الارض والبدء بالتفاصيل الصغيرة ودراسة كل الجوانب وإعدادها على نار هادئة وترتيب الغرف قبل ان تفتح ابوابها على بهو البيت ثم ترتيب بهو البيت قبل فتح ابوابه على الخارج . من هنا فإن البطء ليس نتيجة للكسل او الاهمال او التهاون وانما هو دليل الحرص على توفير كل عناصر النجاح والدوام لهذا الحلم الكبير . لقد بدأ المجلس نشاطه وبدأت اللجان عملها وتحقق الكثير في

مختلف المجالات مثل التنسيق العسكرى والتدريبات المشتركة وحقوق التملك وحقوق الانتقال وتوحيد الاستيراد فى بعض السلع الهامة وغيرها . وقد تصدت قمم المجلس المتتابعة لكثير من المشاكل التى طرأت على الساحة وكم دار داخل الغرف المغلقة من جهود جبارة بذلها القادة لاحتواء مشكلة او اخرى وحلها وهى جهود لايعرفها الكثيرون ولكنها بذلت ونجحت فى كثير من الاحيان وماكان لهذا النجاح ان يتحقق لولا وجود المجلس الذى تم تحت عباءته اللقاء . ودار فى احضانه الحوار وتم فى إطاره مواجهة الخطر والتصدى له . والتغلب عليه .

لم يكن الطريق ممهدا وهو ليس كذلك . فإذا كانت القوى المعادية تنظر الى المنطقة ككيان واحد إلا انها تود ان تتعامل معها المنطقة كاجزاء . من هنا تنتثر على الدرب الكثير من العراقيل والعقبات التى تحتاج على الدوام الى جهد مضاعف لاحتوائها واجتيازها حتى تستمر القافلة فى سيرها وتواصل المسيرة تقدمها . ان الآفاق المستقبلية عريضة لاتقف عند حد . وإذا كانت رحلة الالف ميل تبدأ بخطوة واحدة فإن مجلس التعاون قد قطع فى هذه الرحلة خطوات . وان كنت اعتقد ان التفكير فى المستقبل يجب ان يبدأ بموضوعين على غاية الاهمية فى اعتقادى :

الاول : هو الجيش الخليجى الواحد فقد قدمت لنا حرب الخليج علامات ممايمكن ان تتعرض له المنطقة من أخطار .

أما الموضوع الثانى : فهو السوق الخليجية فكلنا يعرف الآن ان العالم مقبل على حرب الاسواق وهى حرب سلاحها الدولار والمارك والين ونحن نشهد من حولنا تكون الكتل الاقتصادية العملاقة ويخطىء من يظن ان هذه الحرب ستكون اقل وحشية بل انها ستكون أشد ضراوة فالاقتصاد كان دائما السبب الرئيسى خلف ماشاهده العالم من ويلات وفى منطقتنا اليوم بدأ الحديث عن السوق الشرق اوسطية ولنا ان نتساءل أين موقف الخليج من كل هذه التكتلات . خاصة ونحن نرى علامات تدل على ان جميع هذه الكتل تمد بصرها الى المنطقة باعتبارها أحد الاسواق الاستهلاكية الضخمة فى العالم . ان المطروح فى هذا السبيل كثير والمأمول فيه اكثر . وأعتقد ان هذا الموضوع هو أهم مايواجه المجلس فى السنوات القلائل القادمة .

عبد الله بن خالد آل خليفة

الشاعر

دراسة موضوع

٢

بقلم : الدكتور
أحمد موسى الخطيب



علي بن المقرب العيوني ... وفنية

هذا البحث

الشاعر البحريني القديم والشهير علي بن المقرب العيوني لا تكمن أهميته فقط في أنه أحد الشعراء المجيدين الذين عرفهم تاريخ الأدب العربي وإنما ترجع أهميته الى انه يعتبر المرجع الأهم بل يكاد يكون المصدر الوحيد . لتاريخ دولة كاملة هي دولة العيونيين التى حكمت البحرين لأكثر من ١٥٠ عاما بدأت مع أوائل القرن الثالث عشر الميلادي وشغلت مساحة ليست بسيطة في تاريخ هذه الجزر العريق .. وكانما كان الشاعر علي بن المقرب يعرف أن مصادر تاريخ هذه الدولة سوف تضيع فارخ بشعره لها ولحكامها ورسم بقلمه صورا دقيقة لواقع الحياة خلال الفترة التى عاشها وعايش فيها دولة العيونيين . وإذا كان البحث في تاريخ علي بن المقرب وشعره أمرا اكثر أهمية بالنسبة للباحث في الأدب واللغة الا أنه سيظل دائماً أمراً هاماً بالنسبة للباحث في تاريخ دولة البحرين بصفة عامة وعصر العيونيين بصفة خاصة وذلك ما دفعنا إلى أن نعرض على صفحات الوثيقة هذا البحث القيم للباحث الدكتور / أحمد موسى الخطيب راجين أن يحقق الهدف منه وهو توفير بعض المادة التاريخية عن تاريخ هذه الدولة للباحثين في تاريخ البحرين .

(الوثيقة)

حياته .. (١)

اختلف أصحاب التراجم، ونساخ ديوانه، وبعض المعاصرين من الباحثين في اسمه، ولقبه، وفي ترتيب أسماء أبائه حتى الجد الأعلى للعشيرة فتارة يزيدون في عددها، وأخرى ينقصون، وحينا ثالثا يحرفون فيها.

ولكن ما انتهينا اليه، ورجحناه، مطمئنين أن شاعرنا هو «على بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبدالله بن علي بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن محمد العبدلي [١]، العامرى، اللكيزي [٢] الربعي البحراني العيوني الاحسائي» ولقبه جمال الدين، وكنيته أبو عبدالله.

وقد اعتمدنا في هذا ـ الى حد كبير ـ على رواية كل من ابن النجار البغدادي، وابن الشعار الموصلي، فكلاهما معاصر للشاعر، والتقى به، وسمع منه، وامتازت رواياتهما عن روايات بقية معاصريه، أنهما الأوفى والأكمل. أما الأول محب الدين أبو عبدالله محمد بن النجار البغدادي المؤرخ المحدث، فقد ذكره في (التاريخ المجدد لمدينة السلام). قال: [٣] «على بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبدالله بن على بن محمد بن ابراهيم بن محمد أبو عبدالله الربعى البحراني العيونى، من أهل العيون: أرض بالبحرين. قدم علينا بغداد، وذكر لنا أنه من ربيعة الفرس، وأقام عندنا سنة عشر (وستمائة) وسنة أربع عشرة.

والملاحظ على رواية ابن النجار، أنها قد أغفلت ذكر لقب الشاعر، وأسقطت من سلسلة الأبوة اسم (عبدالله) جد عبدالله بن علي مؤسس الدولة العيونية.

أما الثاني ابن الشعار الموصلي المتوفى سنة ٦٥٤هـ، فقد ترجم له في كتابه (قلائد الجمان في شعراء الزمان) فقال: [٤] «على بن المقرب بن منصور بن المقرب

بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبدالله بن علي بن محمد بن ابراهيم بن محمد أبو عبدالله الربعي البحراني العيوني ، هكذا أملي على نسبة من حفظه» .

وكان ابن الشعار قد لقى ابن المقرب ببغداد سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وأنشده ابن المقرب الكثير من قوله . [٥] والملاحظ أن روايته جاءت مطابقة تماما لما أورده ابن النجار البغدادي .

وأقدم مؤرخ ذكر ابن المقرب هو ياقوت الرومي الحموي في معجمه الشهير ، في مادة العيون : [٦]

«وبالبحرين موضع يقال له العيون ، ينسب اليه شاعر قدم الموصل وانابها ، واسمه علي بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم العيوني البحراني ، لقيته بالموصل سنة ٦١٧هـ ، وقد مدح بدر الدين وغيره من الأعيان ونفق ، فأرفدوه وأكرموه» .

ونجد أن ياقوت قد أغفل ذكر لقبه وكنيته ، ولم يستوف سلسلة الأبوه ، ولكن ما ذكره منها جاء متفقا مع رواية سابقية .

كما ترجم له معاصر آخر ، هو جمال الدين بن محمد بن سعيد الواسطى المعروف بابن الدبيثي ، فقد قال في «ذيل تاريخ بغداد» [٧] : «على بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز الربعى أبو عبدالله ، من أهل البحرين ، شاعر قدم بغداد في سنة ثلاث عشرة وستمائة «فابن الدبيثي يورد لنا كنية للشاعر ، ويهمل لقبه ، ولم يستوف سلسلة أبوته ، ويتوقف في سردها عند (عزيز) الجد الرابع له ، وما ذكره منها مطابق لما رجحناه .

أما صاحب «تاج العروس» فقد قال : [٨] «على بن مقرب (كذا) بن منصور البحراني ، أديب سمع منه ابن نقطة «وابن نقطة من معاصري ابن المقرب ، قال في كتابه [٩] «المستدرك» الذي استدرك به على كتاب ابن ماكولا ، فقال في مادة (ع ى ن) : وأما العيونى فهو على بن المقرب بن الحسن بن غرير بن ضبار أبو عبدالله بن محمد بن ابراهيم العيوني البحراني الشاعر ، قدم علينا بغداد ، شاعر محسن سمعنا منه شيئا من شعره» .

وذكره في مادة (ض ب ر) فقال : «وأما ضبار ـ بفتح الضاد المعجمة ، وتشديد الباء المعجمة بواحدة وآخره راء ـ فهو أبو الحسن على بن المقرب بن الحسن ابن غرير بن ضبار بن عبدالله البحراني» .

فكناه ابن نقطة (بأبى الحسن) ، ولم يذكر لقبا له ، كما لم يستوف سلسلة نسبه واتفق فيما ذكره منها مع من عرضنا لرواياتهم ، ولكنه اختلف عنهم فى (عزيز) جده الرابع فأورده بالغين المعجمه المضمومة ، والراء المهملة ، وبعدها ياء ساكنة فراء مهملة .

وقد ترجم له زكى الدين عبد العظيم المنذري المتوفى عام ٦٥٦هـ ، في كتابه (التكملة لوفيات النقلة) ، [١٠] قال في وفيات سنة ٦٢٩هـ : «وفي هذه السنة ايضا توفى الأديب الفاضل أبو عبدالله ويقال أبو الحسن على بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم الربعى العيونى البحراني الاحسائي ، الشاعر بالبحرين» وبعد ذكره لشىء من

أخبار الشاعر ، ووصف شاعريته قال : «وعزيز بفتح العين المهملة ، وكسر الزاى وبعدها ياء آخر الحروف ساكنة وزاى ، وضبار بفتح الضاد المعجمة وتشديد الباء الموحدة وفتحها ، وبعد الألف راء مهملة» .

ويؤخذ من كلام المنذرى : أنه قد ذكر كنيتين له (أبا عبدالله) و (أبا الحسن) واتفق فى الأولى مع ابن الشعار ، وفى الثانية مع ابن نقطة ، كما اتفق مع ابن الشعار في سرد أبوته ، ماعدا قوله عن (عبدالله بن على بن محمد) أنه (عبدالله بن محمد) وإغفاله (لمحمد) آخر جد له .

وذكره كمال الدين ابن الفوطى البغدادي المتوفى سنة ٧٢٣هـ ، فى كتابه «تلخيص مجمع الآداب» وترجم له فى الملقبين بكمال الدين ، قال : [١١] «كمال الدين أبو الحسن على بن المقرب بن الحسن بن عزيز العيوني البحراني ، ذكره ياقوت الحموى وقال : لقيه بالموصل .. وديوانه موجود» . ثم نسى ابن الفوطى ذلك اللقب فترجم له في الملقبين بموفق الدين ، قال : موفق الدين أبو القاسم علي بن المقرب بن الحسن بن العزيز البحراني العيوني الشاعر ، ذكره كمال الدين بن المبارك بن الشعار ..» .

ففي الترجمة الأولى أعطاه لقبا جديدا (كمال الدين) واتفق مع الحافظ المنذرى وابن نقطة فى كنيته (بأبى الحسن) . وفى الترجمة الثانية ، أضفي على ابن المقرب لقبا وكنية جديدين ، لم يذكرهما سواه ، وأدخل التعريف على جده الرابع (عزيز) ، واختصر سلسلة الأبوة فى كلا الترجمتين .

وقال الصفدى [١٢] المتوفى عام ٧٩٤هـ في (الوافي بالوفيات) : «على بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن بن عزيز بن صبار بن عبدالله بن علي أبو عبدالله الربعى البحراني العيوني من أهل العيون بأرض البحرين ، ذكر أنه من ربيعة الفرس» .

والفرق الواضح في كلام الصفدى هو ايراده الجد الخامس للشاعر باسم (صبار) ، بالصاد المهملة بدلا من الضاد المعجمه ، التي أجمعت عليها الأقوال المذكورة آنفا ، هذا مع اختصار سلسلة الأبوة ، وتوقفه في سردها عند (على) جده السابع .

وجاء في مقدمة النسخة المخطوطة ببرلين [١٣] مانصه : « الامير الاجل ابو عبدالله على بن مقرب بن منصور بن مقرب بن الحسن بن عزيز بن ضبار بن عبدالله بن على بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن محمد الابراهيمى العيونى البحرانى ...».

وفي هذا تقارب مع ماورد عند ابن النجار وابن الشعار ، ما عدا تنكيراسم ابيه وجده الثانى ، وذكر (عبدالله) جد (عبدالله بن على) .

كما جاء فى صدر مخطوطة لديوانه بمكتبة الأوقاف العامة بالموصل[١٤] ، واخرى بالمتحف العراقى ببغداد[١٥] ، ما نصه : « هذا ديوان الامير جمال الدين ابى منصور على بن عبدالله بن المقرب » .

وفى هذا لقب وكنية جديدان للشاعر ، وايراد اسم أبيه (عبدالله) لا (المقرب وجاء في مقدمة مخطوطة ظاهرية دمشق ،[١٦] مانصه : « جمال الدين أبو

عبدالله على ابن المقرب بن منصور بن المقرب العيونى الاحسائى » .

فقد اتفقت في لقبه (جمال الدين) مع نسختى الموصل والمتحف العراقى ، كما اتفقت فى كنيته (أبى عبدالله) واسمه مع معظم من ذكرنا آنفا .

وقد ورد في مقدمة مخطوطتى[١٧] مكتبة الدراسات العليا ببغداد ، مانصه : « على بن المقرب النعمانى » والجديد فى هذا ، نسبته الى « النعمان » التى لم ترد مطلقا عند من ترجموا له .

اما مخطوطة[١٨] برنستون ، فقد ورد اسمه في مقدمتها « على بن محمد بن مقرب الاحسائى العيونى » والجديد في هذا اسم أبيه (محمد) والذي لم يتفق معه أحد فيه .

كما جاء في مقدمة ديوانه المطبوع بالهند عام ١٣١٠هـ ، مانصه : « جمال الدين أبو عبدالله على بن مقرب بن منصور بن مقرب بن أبى الحسين ابن (غرير بن ضباب بن عبدالله بن على بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم بن محمد العيونى الاحسائى .

ونلاحظ في هذه الرواية أمورا ثلاثة :

أولها : ذكرها لكنية جده الثالث (أبى الحسين) وإغفالها لاسمه .

وثانيها : ذكرها (غرير) - جده الرابع - بالغين المعجمة المضمومة ، والراء المهملة المفتوحة بعدها ياء ساكنة وراء مهملة .

وثالثها : ذكرها (ضباب) جده الخامس - بالباء .

كما نلاحظ على هذه الرواية - مع اختلافها فيما ذكرنا - اتفاقها في ايراد سلسلة الابوة كاملة ، كما جاءت فى مقدمة نسخة برلين ، وعليها اعتمد كل من اسماعيل باشا البغدادى فى ترجمته له ، في « هدية العارفين »[١٩] وعبدالفتاح الحلوفى مقدمة ديوان ابن المقرب المطبوع بالقاهرة عام ١٣٨٢ هـ وما جاء فى مقدمة النسخة الهندية المطبوعة ، يقارب رواية ابن النجار وابن الشعار ، ما عدا تنكيراسم أبيه وجده الثانى ، وذكر (عبدالله) جد عبدالله بن على .

أما ديوانه المطبوع بدمشق عام ١٣٨٨هـ فماذكره عن اسم الشاعر وسلسلة نسبة يطابق ما جاء فى التكملة .[٢٠] .

وقد ترجم له جورجى زيدان فى كتابه[٢١] (تاريخ اداب اللغة العربية) تحت عنوان « شعراء جزيرة العرب » مانصه : جمال الدين أبو عبدالله محمد بن على بن المقرب بن منصور الابراهيمى . » ولم يذكر مرجعا لكلامه المذكور ، وبالتالى فلا نعرف من اين أتى (محمد بن على) .

كما ترجم له خير الدين الزركلى في كتابه (الاعلام)[٢٢] واحال بترجمته على كتاب (التكملة لوفيات النقلة) للحافظ المنذرى ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى ونسخة خطية لديوانه بدار الكتب المصرية تسلسل ١٢٦ ادب ، سمى فيها (محمد بن على بن المقرب) والنسخة المطبوعة بالهند ، وكتاب بروكلمان ، وذكر ان بروكلمان[*] سماه « على بن عبدالله بن المقرب » وكناه بأبى منصور وما فى التكملة اصح » .

وقد اتفق مع الزركلى في الترجمة له عمر رضا كحاله في معجمه[٢٣] وفؤاد

البستاني في دائرته[٢٤] ، مع اضافة كنية (أبي المنصور) وذكر اسمين له (علي بن المقرب) او (محمد بن علي) .

هذه أقوال عدد من المؤرخين ، وأصحاب التراجم ، والباحثين ، حول اسم الشاعر ولقبه وكنيته ، أوردناها وبينا ما اتفقت عليه او اختلفت فيه ويؤخذ من هذا كله :

- أن يا قوتا ، وابن نقطة ، وابن الشعار ، وابن النجار ، وابن الدبيثي معاصرون لابن المقرب ، وقد التقوا به فعلا ، وسمعوا منه شعره ، ولهذا يجب ان نأخذ اقوالهم بعين الاعتبار ، غير أن ابن الشعار يمتاز عن الآخرين ، بأنه قد أخذ نسبة ابن المقرب عنه مشافهة ، واملاء ، ولذا يمكننا ان نضع قول ابن الشعار ، اساسا لرأينا .

- أن ابن الشعار وابن النجار ، قد اسقطا - ولعل ذلك سهوا - اسم (عبدالله) جد عبدالله بن علي ، من سلسلة الأبوة للشاعر ، بينما يجمع الرواة[٢٥] الذين استوفوا سلسلة أبوته على ذكر ذلك الاسم .

- وأن اسم الشاعر هو (علي) وقد صرح به في شعره :

هون فقومك يا علي حياتها
كمماتها ومماتها كحياتها[٢٦]

- وأن يا قوت ، وابن نقطة وابن الشعار ، وابن النجار ، وابن الدبيثي ، ممن ترجموا له من معاصريه ، قد اتفقوا على ادخال التعريف على اسم أبيه وجده الثاني .

- وأن ابن نقطة ، وكاتب مقدمة الطبعة الهندية لديوان الشاعر ، قد انفردا بتسمية الجد الرابع للشاعر (غريرا) بالغين المعجمة المضمومة ، فالراء المفتوحة ، وبعدها ياء ساكنة ، فراء مهملة ، بينما تجمع سائر[٢٧] الروايات على (عزيز) بالعين المهملة المفتوحة ، فزاي مكسورة فياء فزاي .

- وأن الجد الخامس للشاعر (ضبار) بالراء ، كما أجمعت عليه الروايات لا (ضباب (بالباء ، كما جاء في مقدمة الطبعة الهندية ، وفي هدية العارفين للبغدادي ، ولا (صبار) بالصاد المهملة ، كما اوردها الصفدي . وقد صرح باسم جده هذا بما لا يقبل الشك في قصيدة يمدح فيها الأمير الفضل بن أبي القاسم بن علي :

لأن عليا جده عمي الذي
يطول به بيتي على من يطاول
وضبار جدي عمه وكلاهما
خليصان والعم المهذب ناجل[٢٨]

- أما عن لقب الشاعر وكنيته ، فقد لقبه المؤرخون بثلاثة القاب ، هي جمال الدين ، وكمال الدين ، وموفق الدين .

وقد انفرد ابن الفوطي بالأخيرين ، أما الأول فقد جاء في مقدمة عدد من مخطوطات ديوانه ، ومقدمة الطبعة الهندية ، وقد ذكر له الدكتور مصطفى جواد[٢٩] لقبا رابعا هو (مهذب الدين) ، ولكنه لم يشر الى المصدر الذي أخذ منه . كما انفردت نسخة[٣٠] مخطوطة بميلانو بلقب خامس له هو (نور الدين) .

وقد كنوه بأربعة كنى : أبي عبدالله ، وأبي الحسن ، وأبي منصور ، وأبي القاسم وكان يصح عند القدماء أن يكنى الرجل بأكثر من كنية ، وقد انفرد ابن الفوطي بالأخيرة ولم ترد الثالثة عند

معاصر له موثوق به ، والثانية أوردها الحافظ المنذرى ، وابن الفوطى ، وهى أقل شهرة ـ كما هو واضح ـ من كنيته الاولى (أبى عبدالله) التى نطمئن اليها وان كنا لانستبعدها لأنها كنية شائعة لعلى ، ولعل كنيته الاولى (أبا عبدالله) باسم ابنه الأكبر عبدالله .

وربيعة جد شاعرنا الاعلى فخذ من قبيلة عبدالقيس العدنانية ، ذات الامجاد الذائعة الصيت فى الجاهلية والاسلام .

ويطلق على عشيرته (آل عبدل) نسبة الى جدهم عبدالله بن ، على ، مؤسس الدولة العيونية ، وقد أشار لهذا فى أكثر من موضع في ديوانه ، فقال في معرض مدحه لأحد امراء أسرته الامير أبى شكر مقدم بن ماجد العيونى :

وارغب بمدحك الا في سليل علا
ينمى الى الغر من أبائك النجب
متوج (عبدلى) حين تنسبه
لخير جد اذا يدعى وخير أب[٣١]

وقال مادحا الامير أبا سنان محمد بن على بن عبدالله العيونى :

سمابك بيت (عبدلى) أحله
ديار الاعادى سمره وقواضبه
وعالى محل من (ربيعة) أشرفت
علوا على كل البرايا مراتبه[٣٢]

ويقال لعشيرته . « آل ابراهيم » نسبة الى الجد الاعلى ابراهيم بن محمد . وقد صرح بهذا فى مدحه للامير أبى شكر مقدم بن ماجد العيونى :

يابن الملوك الأولى شادوا مما لكهم
بسلة البيض والخطية السلب
نماك من (آل ابراهيم) كل فتى
مهذب طاهر الاخلاق منتخب[٣٣]

ومن قصيدة يمدح فيها الأمير أبا سنان مسعود بن محمد العيونى ، يقول :

نماك من « آل ابراهيم » كل فتى
منزه العرض من غش ومن دغل[٣٤]

وعرف قومه (بالعيونيين) نسبة الى بلدة « العيون » بالاحساء ، وبهذه الاخيرة عرف التاريخ دولتهم وتحدث عنهم .

حياته ... (٢)

ليس بين أيدينا من الاخبار والروايات فى كتب الاقدمين ماينير جوانب حياة ابن المقرب ، فيبدد الظلمات التى تكتنف نشأته ، ويصف تقلبه فى الدنيا طفلا وفتى ، وكهلا ، وثم يكشف من أثر البيئة فى نفسه ، وما كان لقبيلته من أثر في فصاحته ، وما افاده فى بلده قبل أن يرتحل عنه . وما أفاده خارج بلده في رحلاته الى البصرة ، وبغداد ، والموصل ، وما أفاده من حلقات العلماء هناك وندوات المفكرين التى تردد عليها ، فى نمو معارفه ، وعمق مداركه ، ونفاذ بصيرته ، وانما هى نتف أوردها القدماء فى كتبهم .

ولم يختص القدماء ابن المقرب وحده بهذا الاهمال ، فقد كان ذلك شأنهم وديدنهم مع أكثر الشعراء . فقد كانوا لا يعنون بحياة الشاعر ونشأته ، ولا يأخذون انفسهم ببيان البيئات التى درج فيها صغيرا ، وتفيا ظلالها ناشئا ، وكهلا ، ويتناسون المناهل الثقافية التى وردها ، ومصادر المعرفة التى منحته الخيال الخصب ، والرؤى وفتحت بصيرته على الوان الجمال ، فراح يتتبعها في رحاب الكون الفسيحة ، ليتغنى أعذب

الحانه ، وأرق قصائده ، وانما كانوا يكتفون باللمحات الخاطفة ، يتناولون بها حياته ، ثم يتعقبون بذكر النوادر والاخبار التى ترفع من شأن الشاعر أو تنال منه. يذكر ابن الشعار ان ابن المقرب قد ولد عام ٥٧٢هـ [٣٥] ، وفى بلدة العيون »[٣٦] من نواحى الاحساء ، وبين أهله وعشيرته ترعرع ، وعاش طفولة مجهولة كالكثير من الشعراء ، وزاد انها مجهولة تماما ، فلانجد لها خبرا عند مؤرخى الادب ، ولا نجد ما يشير اليها في شعره. وفى ربوع البحرين قضى أيام شبابه وصباه ، وكانت ـ كما يبدو ـ أياما عذبة ، أذاقته الدنيا فيها أفاويق السعادة والغبطة ، فظلت فى أعماق نفسه ذكريات حية :

رعى الله الثليم وساكنيه ... وأجراعا تكنفها الثلام
وجاد من الجديد الى المصلى ... الى الحصنين وكاف ركام
فمسرح لذتى ومراح لهوى ... هنالكم وجيرتى الكرام
وملعب كل غانية كعاب ... مخدمة يزين بها الخدام
يراها القابس العجلان لمحا ... فيبقى لا وراء ولا امام
وترسل من لواحظها سهاما ... فتمضى حيث لا تمضى السهام
مضى ذاك الزمان فليت انى ... صدى من قبل ممضاه وهام[٣٧]

وقوله :

يا منزل الحى بالجرعاء لا برحت ... تهمى بك المزن منهلا عزاليها
كم لى بمغناك من يوم نعمت به ... وليلة تعدل الدنيا وما فيها[٣٨]

وقد أمضى شاعرنا شطرا من أيام شبابه اللاهي في (الحجر) قصبة اليمامة و(اجله) من ارض اليمامة ايضا قبل أن تذهله صروف حياته عن متع الدنيا وملذاتها.

لله أيام الصبا اذ دارنا ... حجر القرى ولنا باجلة معهد
اذ لمتى تحكى الغداف وانما ... أشهى الشعور الى العيون الاسود
والخد من ماء الشباب كانما ... فيه لاحداق الكواعب مورد
كم ليلة طالت فقصر طولها ... شدو المزاهر والغزال الاغيد
وترنم الاوتار في يد قينة ... غنج يدين لها الغريض ومعهد[٣٩]

وقبل المضى مع الشاعر في رحلة الحياة الطويلة ، لابد من وقفة عند أسرته ، ونقصد أسرة (المقرب بن منصور) ، لنستجلى من خلال هذه الوقفة ، أثر الاطار الضيق والهام على نفس الشاعر وحياته.

فقد ذكر ابن المقرب أباه في موضعين ، فقد قال في معرض فخره بنفسه :

ابى من قد علمت وليس يخفى ... بضاحى شمس يوم اضحيان
سل العلماء يا ذا الجهل عنه ... ونار الحرب ساطعة الدخان
غداة كفى العشيرة ما عناها ... بعزمة ماجد كاف معان
فعمت تلكم النعماء منه ... نزارى الابوة واليمانى
ويوم علا بجرعاء المصلى ... عجاج غاب فيه المسجدان
الم يلق الردى منه بقلب ... على الاهوال اثبت من ابان[٤٠]

عشيه عامر وبنى على
كدفاع السيول من الرعان[٤١]

ومن قصيدة أخرى قالها ببغداد عام ٦٠٥هـ ، يفضح فيها قومه ، ويحذرهم من سوء العاقبة ، والمصير الاسود الذي ينتظر نساءهم ، اذا ما تفاقمت أمورهم ، فيقول :

فإن سلمت نفسى لهن هنيئة
من الدهر جاورن النجوم الثواقبا
وعاد الى الدهر بعد غرامه
يعفر خديه على الارض تائبا
كما جاء قبلى مستكينا الى أبى
وقدهم ان يلوى عليه المخالبا[٤٢]

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن ، لماذا لا نجد سوى هاتين الاشارتين الى ابيه ؟ الانه كان لا يعرف أباه ومات عنه صغيرا ؟ ولكننا نعرف أنه أشاد بالكثير من السابقين ممن لم يعاصرهم من أسرته ، وقبيلته في فروعها القريبة ، وأصولها البعيدة ، ام كان ذلك لأنه عرف أباه ، ولكنه لم ير له خطرا ، ولم يرق ذكره ما يرفع من شأنه ، ويرد عنه كيد الكائدين ؟ فلا ينبئنا المؤرخون ولا شعر الشاعر بقليل أو كثير عنه ، سوى أنهم اختلفوا حينا ، واتفقوا حينا أخر ، على أنه (المقرب ابن منصور) ، والذي لا شك فيه ، انه من ال ابراهيم العيونيين ، ومن رجال الصف الثاني أو ما بعد ذلك ، لا خطر له بينهم ، ومثله كثيرون فى أى أسرة حاكمة فى كل زمان ومكان .

وان نمت اشارة شاعرنا عن أبيه شيئا ، فليس أكثر من اتقانه للكر والطعن ، وهى ضرورة حياتيه ، لا غنى عنها لسكان باديتهم ، وان كان له فضل فيها ، فهو فضل الاجادة لفنون القتال ، مضافا اليها جرأة واقدام ، أمكناه من التصدى للدهر « وقد هم أن يلوى عليه المخالبا » ولعل ما عرف به ابن المقرب ، من صفات الجرأة والاقدام والفروسية ، هى ميراث هذه الابوة .

أما أمه فقد ذكرها فى « موضعين » مفتخرا بهذه الامومة ، وتلك الخؤولة في بكر بن وائل ، والام كل ما يهم الابن منها هو تلك الخؤولة ، وبكر بن وائل غنية عن الحديث فبطولاتها على امتداد الجاهلية والاسلام ،فقال فى معرض فخره .

أمثلى من يعطى مقاليد أمره
ويرضى بأن يجدى عليه ولا يجدى
اذا لم تلدنى حاصن وائلية
مقابلة الاباء منجبة الولد
خئولتها للحوفزان وتنتمى
الى الملك الوهاب مسلمة الجعد[٤٣]

وفي معرض تهديده لكارهيه والساعين للايقاع به ، يقول :

فما ولدتنى حاصن حنفية
عبيديه تسمو الى الحسب الجزل
لئن أنا لم اغش اللئام بوقعة
يشيب لها من هولها مفرق الطفل[٤٤]

وديوان ابن المقرب يخلو تماما من رثاء أمه وأبيه ، وهذا ما يجعلنا نرجح ـ مطمئنين ـ أنهما قد ماتا وهو صغير ، فعاش يتيما محروما من عطف الاب ، وحنان الام .

كما أن ديوانه قد خلا من ذكر أخ له أو اخت ، وهذا ـ ايضا ـ ما يجعلنا نميل الى القول ، انه الابن البكر والوحيد لهذين الأبوين ، اللذين لم يقدر لهما ان يرياه شاعراً ملء العين السمع .

حياته .. (٣)

اذا كان الشاعر مجيدا حقا ، فشعره مرآة نفسه وعواطفه ، ومظهر شخصيته كلها ، بحيث نقرأ قصائده المختلفة ، فنشعر فيها بروح واحد ، ونفس واحد ، وقوة واحدة ، وقد يختلف هذا الشعر شدة ولينا ، ويتباين عنفا ولطفا ، ولكن شخصية الشاعر ظاهرة فيه .. "[٤٥] وهذا ما يعرف بالطبيعة الفنية "تلك الطبيعة التي تجعل فن الشاعر جزءا من حياته أيا كانت هذه الحياه من الكبر أو الصغر ، ومن الثروة أو الفاقة ومن الألفة أو الشذوذ ، وتمام هذه الطبيعة أن تكون حياة الشاعر وفنه شيئا واحدا ، لاينفصل فيه الانسان الحى من الانسان الناظم ، وأن يكون موضوع حياته هو موضوع شعره ، وموضوع شعره هو موضوع حياته ، فديوانه هو ترجمة باطنية لنفسه ، يخفى فيها ذكر الأماكن والأزمان ، ولا يخفى فيها ذكر خالجة ولا هاجسة ، مما تتألف منه حياة الانسان ، ودون ذلك مراتب يكثر فيها الاتفاق بين حياة الشاعر وفنه أو يقل "[٤٦]

والقارىء لديوان ابن المقرب تطالعه شخصيته ، واضحة الملامح ، وكأنه يعوض بذلك مالحقه من تقصير مؤرخى الأدب ، واهمالهم له . فحفظ لنا شعره ـ بكل أمانة ـ معالم شخصيته ، فقد كان عزيز النفس ، سامى الهمة ، طموحا الى المجد :

يظن نحولى ذو السفاهة والغبا
غراما بهند واشتياقا الى دعد
ولم يدر انى ماجد شف جسمه
لقاء هموم خيلها ابدا تردى
قليل الكرى ماض على الهول مقدم
على الليل والبيداء والحر والبرد
عدمت فؤادا لايبيت وهمه
كرام المساعى وارتقاء الى المجد
لعمرى مادعد بهمى وان دنت
ولالى بهند من غرام ولا وجد[٤٧]

ومن حكمه التى تعطينا مؤشرا على علوهمته ، وتطلعه الدائب الى المجد ، قوله :

فقم نحصد الأعمار أو نبلغ المنى
بجد فللاعمار لابد حاصد
فليس بصعاد الى المجد عاجز
نئوم تناديه العلى وهو راقد
وفي السعى عذر للفتى لو تعذرت
عليه المساعى أو جفته المقاصد[٤٨]

أما رفضه الضيم والخنوع ، فقد كانا من أبرز ملامح شخصه ، وكلفه هذا الرفض الهجرة عن الوطن ، ومفارقة الأهل والولد :

خليلى مادار المذلة فاعلما
بدارى ولا من ماء أعدادها وردى[٤٩]

وقد تكرر هذا المعنى في مواطن كثيرة من ديوانه ، كقوله :

ولا تك مئلافا لدار مذلة
ولو فاض واديها لجينا وعسجدا[٥٠]

ومنها قوله :

خليلى عن دار الهوان فقوضا
خيامى وزما لا رتحال نجائبى[٥١]

كما كان صاحب عزيمة متوقدة ، وحماسة لا هبة ، وقناة صلبة ، والكثير من حكمه قد ضمن هذه الملامح ، ومنها يقول :

وما بلغ العلياء الا ابن حرة
قليل افتكار في أمور العواقب
وما العز الا في صها كل سابح
وما المال الا في شبا كل قاضب

ومن لم يعض الدهر من قبل عضه
ببابيه اضحى مضغة للنوائب[٥٢]

فهو من أنصار القوة في الحياة :

قد تساوى في مضاء صارمي
وسناني ولساني وفؤادى[٥٣]

ويرى القوة خير مفتاح لولوج ما يرتج عليه ، والسيف عنده رمز القوة :

بالسيف يفتح كل باب مقفل
وتحل عقدة كل خطب مشكل
فاقرع اذا صادفت بابا مرتجا
بالسيف حلقة صفقتيه تدخل[٥٤]

وبالقوة يحقق غاياته :

واذا بدت لك حاجة فاستقضها
بالمشرفية والرماح الذبل
فالسيف اكرم مجتدى يممته
فإذا تلوذ به فامنع معقل[٥٥]

والقوة عنده هى السبيل الأمثل للتفاهم مع الأعداء ، ووسائلها في رأيه أصدق مرسل :

واجعل رسولك ان بعثت الى العدى
زرق الأسنة فهى أصدق مرسل
واعلم هديت ولا اخالك جاهلا
أن الرسول يبين عقل المرسل[٥٦]

بل يؤمن بسياسة القوة سبيلا لاستعباد الناس :

فمن رام أن يستعبد الناس فليمل
عليهم بأطراف القناغير راحم[٥٧]

وتنبئنا مثل هذه السياسة ذات الحدين ، البعيدة عن لباقة الساسة وأصحاب الرأى بأثر نشأته البدوية ، ومجتمعه ، والصراع القبلي من حوله .. ولعل ما ناله من الناس ـ وهو كثير ـ في حياته ، جعله ينصح بالبطش بهم بلا هوادة ولا رحمة ، أضف أنه لم يقل حكم الناس أو قيادتهم بل "استعبادهم" . وهو في هذا يصدر عن القول الشائع "اذا لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب "فيقول :

من سالم الناس لم تسلم مقاتله
منهم ومن عاث فيهم بالأذى سلما[٥٨]

ومنه قوله :

ومن ضيع السيف اتكالا على العصى
شكا وقع حد السيف ممن ينازله[٥٩]

وكل شعره دعوة للحرب ، والى حشد الجند ، ورفع السلاح "[٦٠] وهذه الروح القوية تطالعنا في معظم قصائده ، وكأنا بروح أبي الطيب القوية المتوثبة .

ولم يكن ممن يميلون الى التعلق بأوهام الحياة وأباطيلها ، والتشبث بواهي حبال آمالها الخادعة ، فأحلام اليقظة ـ في رأيه ـ من شيم ضعاف الهمم لا قويها، لذا لا مكان لأفعال الرجاء في قاموس حياته :

ولا تذكر عندى لعل ولا عسى
فما بعسى يقضى نجاح لطالب
وليس عسى أو ربما أو لعلما
ويا طالما الا قيود المعاطب[٦١]

كان ذا مزاج حاد ، لا يميل الى استمراء الراحة ، وتجنب صراع الحياة ، والضرب في أرجاء الأرض ، فنفسه العظيمة في طراد دائب :

لقد مل جنبي مضجعي من اقامتي
ومل حسامي من مجاورة الغمد
ولج نجيبي في الحنين تشوقا
الى الرحل والانساع والبيد والوخد
واقبل بالتصهال مهرى يقول لى
أأبقى كذا لا في طراد ولا طرد[٦٢]

وعن إبائه وشموسه ، وعزمه الهمامي ، قل ما شئت ، فهى صفات أصيلة في الجزيرة العربية ، وخاصة في باديتها حيث نشأ واذا ما اضفنا لهذا ميراث حسبه ، يصبح من الواضح لدينا ، مصادر هذا العزم ، وذاك الاباء ،

ولنسمع اليه مخاطبا عاذليه :

أجد كما لا أبرح الدهر تابعا
وعندى من العزم الهمامى ما عندى
أمثلى من يعطى مقاليد أمره
ويرض بأن يجدى عليه ولا يجدى (٦٣)

ومن القصيدة ذاتها يقول :

أأرضى بما يرضى الدنى وصارمى
حسام وعزمى عزم ذى لبدة ورد
سأمضى على الايام عزم ابن حرة
يفدى بآباء الرجال ولا يفدى (٦٤)

وكقوله مبررا رحيله عن وطنه :

كذا شيم الحر اذا نبا
به وطن زم المطايا وأحفدا
أأقنع بالحظ الخسيس ولم أكن
كهاما ولارث المساعى مزندا (٦٥)

ولقد أشرنا آنفا - في حديثنا عن دولتهم الى مواقف ابن المقرب الجريئة ، واعلانه رأيه في سياستهم المتهاونة ، كما عنف ابراهيم بن أبي جروان ، وغيره من زعماء الاحساء المتآمرين على دولتهم . وماذا عساه يخشى بعد أن سلبوه ماله ، وأرضه ، وسجنوه ونفوه ؟ أيخشى الموت وهو القائل :

فاما أن أعيش مصاد عز
لمجنى عليه أو لجان
وإما أن أموت وما عليها
سوى من خافنى أو من رجانى
فموت الحر خير من حياة
يقاسى عندها ذل الهوان (٦٦)

نصح قومه فأحسن النصح ، وكان الصدق ديدنه ، أيا كان الثمن :

وذاك بعد سؤال منه عن خبرى
والصدق من شيمي لو أورث
البكما (٦٧)

ولم يكن يبغى من هذا الصدق في النصح ، وتلك الشجاعة في الرأى ، الا عز قومه ، وعزه رهن بعزتهم :

لعمرك ما عز امرؤ ذل قومه
ولا جاد من أعطى عطية راهب (٦٨)

ولأمر ما يجتاح ماله ، ويلقى في السجن ، ويتفرق أصحابه ، ويبتعدوا عنه ، ويذوق ظلم ذوى القربى - وما أشده - وينفى باختياره الى العراق ، ومع هذا بقى صابرا على مصائب الزمان :

منيت من الزمان بعنقفير
قليل عندها حز الشفار
فراق أحبه وذهاب مال
وضيم أقارب ، وأذاة جار
فلا والله ماوجد كوجدى
ولا عرف اصطبار كاصطبارى (٦٩)

نزلت به المصائب شابا ، فلقيها بحكمة الكهول وصبرهم ، وهذا الصبر مؤشر للرصيد الأيماني عند الشاعر ، مما جعله يواجه حظه العاثر بقدر كبير من الرضى ، والثقة بالله ، فلم يهن ولم يجزع :

كم عاين الدهر منى صبر مكتهل
اذ ليس يوجد صبر العود في الجذع
وما رمتنى بكر من نوائبه
إلا صككت بصبرى هامة الجزع

....

لقد تفكرت في شانى وشانهم
فبان لى أن ذنبى عندهم ورعى (٧٠)

وأى عبء تنوء به نفس ، بعد الذى أفضى به ، لممدوحه ، وصديقه شمس الدين باتكين ، أمير البصره ، اذ قال :

أعاذك الله من وجدى ومن قلقي
ومن غرامي ومن همي ووسواسي (٧١)

وكأن هذه الهموم المقلقة ، وتلك الأحداث المزعزعة ، ما هى الا اختبار لكبرياء الصبر في النفس الكبيرة :

وفي على حز المدى خنزوانة
ولو أفنت الأحداث حالي وماليا[٧٢]

ولكن النفس الكبيرة ، لا يفوتها أن الحلم المطلق لا يخلو من ذل :

والحلم في بعض المواطن ذلة
فاصفح وعاقب واعجلن وتأيدا
ماكل حلم مصلح فلطالما
غر السفيه الحلم عنه فافسدا[٧٣]

وقد داهمه الشيب مبكرا ، وهو في العشرين من عمره ، والشيب في هذه السن لا يتأتى - غالبا - الا من صروف الدهر ، وفادح الخطوب :

وما شبت من سن مضت بل أشابنى
صروف الليالى والخطوب الفوادح
لعشرين لاح الشيب في وأوجفت
على خيول المرزئات الضوابح[٧٤]

وهذا المعنى يتكرر عنده ، وكأنه أراد أن يؤكد معاناته المبكرة في الحياة ، ومواجهة تحدياتها :

وما شبت من عد السنين وانما
اشاب قذالى ميلها وانقلابها[٧٥]

ويبدو أن تلك التحديات قد عاشها ولم يبلغ سن الحلم ، ولم يخط عذاره بعد :

فقد كلفتنى خططا اشابت
قذالى قبل خط في عذارى [٧٦]

"وكان - لقومه - اللسان الذرب ، المعبر عن أمجادهم ، المنافح عن حوزتهم .. كان لهم كصحافة اليوم الحزبية .. بالرغم من أن قومه ناصبوه الريب والحذر ، فتحدوا مشاعره ، وضايقوه في عيشه .. فبقدر ما ناله من قسوة ومضايقة وحرمان ، كان يمد لهم يد القرابة والعشيرة .." .[٧٧]

لقد بذلوا المجهود فيما يسوؤنى
وقد كنت أرمى دونهم واجالد[٧٨]

ومن قوله :

وان قطعوا ارحام بينى وبينهم
وصلت وذو العليا أبر وارحم[٧٩]

هذا ومع ارتحاله بعيدا عنهم ، الا أنه كان حفيا بأنبائهم ، يتلقاها من خلف المهامه ويسائل الركبان عنهم ، ضنينا بهم ، ويصل رحمهم وان قطعوا ، ولنستمع اليه منشدا هذه الابيات في بغداد ، حيث طوحت به ريح النوى غير مرة الى هناك :

وان انفرادى عنهم وتغربى
ترامي بى الأمواج والحزن والسهب
بغير اختيار كان منى ولا قلى
وانهم للعين والأنف والقلب
ولكنها الايام تبعدتارة
وتدنى ولا بعد يدوم ولا قرب
وانى حفى عنهم ومسائل
بهم حيث يثوى السفر أو ينزل الركب
وكم قائل لى عد عنهم فانه
مع الألم المضاض قد يقطع الارب
فقلت رويدا قد صدقت وذلكم
اذا لم يكن فيه لحامله طب
اذا لم اداو العضو الا بقطعه
فلا قصب يبقى لعمرى ولا قصب
وانى بقومى للضنين وانني
على بعد دارى والتنائى بهم حدب[٨٠]

وهذا الخلق النبيل الذي التزم به طوال حياته ، شيمة عربية أصيلة ، ومرتكز أساسى للفخر القومى في أدبنا العربى .

ويجد الشاعر نفسه - فجاة - فقيرا بعد غنى ، ذليلا بعد عز ، راجيا لا مرجوا ، وما اشد أن يطرأ هذا على النفوس الكبيرة ! فلم يتردد في غربته من بيع فرسه بثمن بخس : ليقى عرضه :

فـإنـي بعت مـركـوبـي ومـالى
سـواه يـد أنـوء بـه ورحـل
بـاوكس قيمـة فى شروقـت
وعضل البيع في الحـاجات بسل
وقلـت أقـى بـه عـرضى لئـلا
يرى حسبى بعين النقص نذل[٨١]

وكان قد التزم قبل هذا بالايمدح سوى أمراء بيته العيونى فلا يليق بمثله ان يمدح ويتكسب :

انفت لـمدحى من سـواكم لانني
الى ذروتيكـم فى سنـام وحـارك
واكبـرت نفسى ان ارى متضائـلا
أرجى نـوالا من لئيم ركـارك[٨٢]

ومن القصيدة ذاتها يقول :

ولست وان اودى الزمان بثروتى
وزاحمنـى منـه بخصم ممـاحـك
بمهـد ثنـائى والمنـاديـح جمـة
الى حـوتكى ابشـع اللؤم راعـك

ومهما بلغ الممدوح من غير أهله مكانة ، فمدحه بغيض الى نفسه :

وانى لاشنـا المدح فى غـير سيد
ابوه ابى لو زاحم النجم كاهله[٨٣]

ولكن ارزاء الدهر كانت أقوى - على ما يبدو - من كبرياء نفسه ، فوجد نفسه مضطرا لان يمدح ، ويطلب النوال ، ويرجـو .. فمدح الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢هـ) وبدر الدين لؤلؤ ملك الموصل ، وشمس الدين باتكين أمير البصرة ، وغيرهم ، ويكفى أن نستمع اليه مادحا لوجيه موصلى أيام بدر الدين لؤلؤ :

أبـا الكرم المدعـو للخطب انني
رجـوتـك والمـدعـو لا يتـاول
ففزْ لكريم لم يكن فى حسـابـه
نـزول بـأبـواب السلاطـين يسـال
ولا خـال أن الدهـر يسعى لكيده
فيلقى عليه منه نحـر وكلكل[٨٤]

ويستوقفنا هنا التناقض الذي بدا في خلق هذا الرجل ، تناقض بين القول والسلوك فقد أعلن صراحة فى مواضع كثيرة من ديوانه ، انه لن يرجو نوالا من احـد ، خـارج نطـاق أسرتـه العيونية ، مهما جار عليه الدهر ، وما حكته خصومه ، ولكن حين نقرأ مدائحه فى العراق لمن ذكرنا من الخلفاء والامراء ، نفـاجأ بلهجـة الرجاء والاستعطاف ، وقد يقـول قائل : ان هذه المدائح قد دبجها بعد أن ساءت أحواله فى بلاد الغربة ، واضطر لبيع فرسه ، ليقى عرضه مذلة السؤال ، وليس هذا طبع ابن المقرب . ومع احترامنا لوجاهة هذا التعليل ، الا أنه لا يمنع من الاقرار بنكوس ابن المقرب عما أعلنه من مبادىء وأصحاب النفوس الكبيرة لا تزعزعهم النكبات والنوازل ، مهما عصفت واشتد ريحها ، بـل على العكس لا تزيدهم الا ثباتا وصلابة ، فالظروف الصعبة هى المحك الحقيقي لمعادن الرجال .

ولكن ما يغفر لابن المقرب أنه لم يمدح من رجالات العراق الامن عرف بخطر سياسي او اجتماعي أو علمى .. من أمثال الخليفة العباسى الناصر لـدين اللـه (٥٧٥ - ٦٢٢هـ) والخليفة العباسى المستنصر بـالله

(٦٢٣ ـ ٦٤٠هـ) ، وشمس الدين باتكين أمير البصرة ، وبدر الدين لؤلؤ أمير الموصل[٨٥] ، والملك الأيوبى الاشرف (ت ٦٣٥) والنقيب العلوى تاج الدين اسماعيل[٨٦] ، والرئيس محمد بن عبدالله بن سنان[٨٧] ، والعالم الجليل أبى البقاء العكبرى[٨٨] .

وكان ابن المقرب فاضلا فى خلقه ، عاش في بيئة شهدت قدرا غير قليل من الانحلال والتفسخ ، انحطت فيها القيم ، واضطربت معايير الحكم على الرجال ، وتقييهم ومع هذا أبى لنفسه ـ صيانة لعرضه ـ أن يشينها ، أو يعطى الشانئين فرصة النيل منها ، مهما جار فيها الدهر واعتدى فهو يقول :

فلو أحسن التصفيق والرقص فيهم
ورفع المثانى والغناء المهودا
لعشت عزيزا فيهم ولما اجترا
يمد الى الضيم باعا ولا يدا
ولا راح شرب المقرفين ذوى الخنا
بهانهلا عبا وشربى مصردا
ولو اننى كنت اتخذت رذية
أو يطف رغاء لدى الشد أكبدا
وصاحبت من أدنى البواد مكشما
ضعيف الا يادى قاصر الجاه مسندا
لكانت سنيات الجوائز ترتمى
الى حيث أهوى باديات وعودا
ولكنني لم أرض ذاك صيانة
لعرضى أن أعطى المعادين مقودا
وأكبرت نفسى أن أجالس قينة
ودفا ومزمارا وعوداً وأغيدا
وان أجعل الانذال حزبا وشيعة
ولو جار فى الدهر ماشاء واعتدى
فلست ببدع فى الكرام وهذه
سبيل ذوى الافضال والباس والندى[٨٩]

ومن كانت له أخلاق ابن المقرب ، وهمته العالية ، وهدفه السامى وعاش فى مثل هذا المجتمع المضطرب القيم ، فعليه ان يتحلى بقدر كبير من المرونة ، والا فسيجد نفسه نبتا شاذا بل وغير مرغوب فيه . كما حدث لشاعرنا فقد كان يفتقر لحكمة المرونة مع مجتمعه أول أمره ، فلما رماه الدهر ، ونكب فى ماله ، وسجن ، ونفى ، أدرك الحقيقة المرة ، بأنه قد خلق لزمن غير هذا الزمن ، ومجتمع غير هذا المجتمع ، لذا عليه أن يتحمل ، وأن يدارى ، فالحلم مع ذوى الجهل خير من مناجزتهم :

فلما رمانى الدهر عن قوس نازع
وللدهر حالات تجور وتعدل
واصبحت الحسنى تعد إساءة
على ويستصفى عدوى وأعزل
وماذاك عجز عن مكافاة خائن
ولكن حلمى عن ذوى الجهل أفضل[٩٠]

وتطول مداراته لهؤلاء الجهلة واللئام ، ويعد هذا سفاها منه ، لأنه أمر مخالف لما جبلت عليه نفسه :

وطالت مداراتى اللئام وانما
سفاه لمثلى ان يكون المداريا[٩١]

وأما مداراة العدو فمهانة ، الموت خير منها :

الم تعلمى ان العتو نباهة
وأن الرضا بالذل من شيمة الوغد

وأن مداراة العدو مهانة
اذا لم يكن من سكرة الموت من بد[٩٢]

ولم يفت ابن المقرب ان يتغنى « بالوفاء » ، ويفتخربه خلقا بزفيه أقرانه :

سل الاخلاء عنى هل صحبتهم
يوما من الدهر الا والوفاء معي
القى مسيئهم بالبشر مبتسما
حتى كان لم يخن عهداً ولم يضع
وسلهم هل وفى لى من ثقاتهم
حر ولم يشر في نقصى ولم يبع[٩٣]

وكان شديد الاعجاب بنفسه ، معتدا بها ، لا ينساها حتى اذا مدح ، حيث كانت تذوب ذوات الكثير من شعرائنا ، ويرى أنه خير أبناء قومه ، وفتاهم الاول ، شجاعة واقداما ، وكرما ونفاذا فى الرأى :

ستعلم هند اننى خير قومها
وانى الفتى المرجو للحل والعقد
وانى اذا ماحل خطب وردته
بعزمة ذى جد واقدام ذى جد
وأن ايادى القوم ابسطها يدى
وان زناد الحى اثقبها زندى[٩٤]

ومن القصيدة ذاتها يقول :

وانى متى يدعى الى الباس والندى
فاحضرها نصرى واجزلها وردى
وان كرام القوم لانهز العدى
ليوجعها عتبى ويؤلمها فقدى

ولعل هذا الاعجاب بالنفس تعويض لما لقيه من ظلم ذويه ، وإهمالهم له ، وانكارهم شأنه ، والا فما الذي يدفعه لأن يقول :

فإن لم يكن لى ناصر من بنى أبى
فحزمي وعزمي يغنيانى عن الحشد
وإن يدرك العليا همام بقومه
فنفسى تناجينى بادراكها وحدى
وانى لبدر ريع بالنقص فاستوى
كمالا وبحر يعقب الجزر بالمد[٩٥]

وأول ما يخطر بذهن قارىء هذه الابيات ، روح أبى الطيب ، ونفسه العظيمة ، ولم لا ففيه من أبى الطيب شموسه وإبائه ، وعلوهمته ، وسموأمله ، وكلاهما من أنصار القوة فى الحياة ، ولم يكونا من أصحاب الحظوظ السعيدة ، حاربتهما المطالب ، وحاربهما المجتمع ، بل في كل دار ينزلها ابن المقرب عدو يحاربه :

افى كل دار لى عدو اصاوله
وخصم على طول الليالى أزاوله[٩٦]

وقد كان أعجاب أبى الطيب الشديد بنفسه ، واعتداده بها ، أحد العوامل التى حالت دون تحقيق ما كان يطمح اليه[٩٧] ونستطيع أن نقول مثل هذا عن ابن المقرب فى اعجابه المتناهى بنفسه . والمجال هنا لا يسمح بالمقارنة بين الشاعرين ، ولكنه تداعى الخواطر ، « والشىء بالشىء يذكر » .

وكما كان شديد الاعجاب بنفسه ، فقد كان مزهوا بشاعريته ، ويرى أن نظمه الغريب يبز شعر معاصريه ، ويتردد على الالسن فى كل مكان ، وهو مغبوط على مدائحه :

وغريب نظم فاق اشعار الورى
فيكم بساحة كل ارض ينشد
واليكها يابا على مدحة
من فضلها انى عليها أحسد

جاءت نسيجة وحدها في عصرها
اذ انت في هذه البرية أوحد(٩٨)

بل ربما دفعه هذا الاعجاب الى نوع من الغرور ، فيرى أن فحول الشعر العربي ـ كالفرزدق ، والاعشيين ، والحطيئة ـ أعجز من ان ينافسوه فيما يرصعه من عقود الجواهر :

اليك كمال الدين عقد جواهر
اضن بها عمن سواك وابخل
يقصر عن ترصيعها في عقودها
أخو دارم والاعشيان وجرول(٩٩)

وقد يتجاوز هذا الحد ، فيدفعه اعجابه بشاعريته ، الى التطرف والاسراف في تقدير تفوقه ، فيرى أي نظم دون نظمه ، وكأنه يأبى الا أن يكون أوحد عصره :

ودونك من تيار بحر اذا طمى
اراك بحار الارض جمعا صلاصلا
وانفذتها في حكمة وبلاغة
كست حلة من بعد عهدك عاقلا(١٠٠)

ولم يرض بهذا القدر من المبالغة ، بل يرى أن المعاني الطريفة كلها من ابداعه :

لي النباهة طبع قد عرفت به
وكل معنى من الالفاظ مخترعي(١٠١)

وليس في صنع ابن المقرب ما يشينه ، فهو كما يقول :

هل جاء قومي واخداني الذين هم
إن ارم من قبل الرامين لا قبلي
بانني لم ارد ورداً اعاب به
ولم اقف ذات يوم موقف الخجل(١٠٢)

فعلى الرغم من شيوع الغزل بالمذكر في عصره ، وقبل عصره ، الا أننا لا نجد له سوى ثلاثة أبيات(١٠٣) ضمن مقدمة خمرية قالها ببغداد عام ٦١٤هـ وربما أراد اظهار البراعة والقدرة على النظم في هذا الباب ، الذي افتن فيه شعراء بني العباس ، ومثل هذا شعر الخمرة في مطالع قصائده ، فهو مجرد تقليد لا أكثر .

أما قصيدتاه اللتان هجا فيهما ابن الدبيثي ، واللتان تزخران ببذيء اللفظ وفاحشه ، بل حوتا من نابي اللفظ ما ينفر منه السمع ، وتشمئز منه النفس ، مما لا يليق بابن المقرب ، « فنحسب أنه قد نظمهما ، وهو في حالة انفعال حاد ، وثورة نفسية هائجة ، ضد المهجو ، لم يستطع معهما تمالك أعصابه ، ولا مسك زمام نفسه ، علاوة على أنه قد توفر في المهجو من الاسباب ، ولو في نظر الشاعر على الأقل ، ما يوجب مثل هذا القول » .(١٠٤) بالاضافة الى سوء أحوال ابن المقرب ، وضغط الحياة عليه من كل صوب ، حتى حين جرب حظه في التجارة ، واشترى بعض الحديد بما ناله من عطايا العراقيين ، وانحدر به الى واسط قاصداً الاحساء ، طلب منه عامل واسط مكسا عليه ، خرج منه صفر اليدين ، فكانت تلك القشة التي قصمت ظهر البعير ، فانطلق في ثورته العنيفة ، دون أن يتمالك نفسه :

وما بين أيدينا من أخبار قليلة عن الشاعر ، لا تنفعنا في تصور ملامحه وسماته ، لإغفالها أوصافه ، وشعره

أيضا لم يسعفنا بشىء من ذلك اللهم الا اشارته فى موضعين من ديوانه لنحوله ، والذى كان - كما يبدو - سمة ظاهرة ، ملفتة للنظر ، بل للتساؤل والتوهم :

يظن نحولى ذو السفاهة والغبا
غراما بهند واشتياقا الى دعد
ولم يدر أنى ماجد شف جسمه
لقاء هموم خيلها ابداً تردى(١٠٥)

وتتكرر هذه الاشارة ، وبالمعنى نفسه ، في قصيدة له يمدح فيها الخليفة الناصر لدين الله عام ٦١٤هـ ولكن صفة النحول هنا تصاحبها صفة « الاصفرار » :(١٠٦)

ظننت نحولى واصفرارى من الهوى
وذلك مما يقتضيه التوهم

ولا يترك ابن المقرب من يعنيهم أمر نحوله واصفراره ، يخبطون فى وهمهم كما يشاءون ، بل يفصح لهم عن علة ذلك :

لعمرك مابى من هوى غير اننى
بغر المعالى يا ابنة القوم مغرم
وقد عرضت من دون ذاك فاحرضت
أمور لها يستهلك اللحم والدم(١٠٧)

بل أمور وهموم ، مصت مخ العظم ، فوهن وهزل :

اذا قلت جلى بعض همى أتت له
نوائب امضى من حدود نصال
وقد مص مخ العظم حتى ازاله
وبدله من نيه بهزال(١٠٨)

ومن كان على شاكلة ابن المقرب من حدة طبعه ، ورهافة حسه ، وسمو هدفه ، وعانى مثله اضطهاد ذويه وانكار مجتمعه له ، فالنحول صفة لازمة له ، أما الصفرة التى بدت على محيا شاعرنا عام ٦١٤هـ فلعلها أثر لهمه الذي لا يزايله ، حتى وان بدا ساكنا :

إن ترى شخصى لامر ساكنا
فلعمرى ان قلبى فى طراد(١٠٩)

فهو هم مقلق ومقض لمضجعه :

قليل الكرى ماض على الهول مقدم
على الليل والبيداء والحر والبرد(١١٠)

وربما كان اصفراره ناجما عن مرض مزمن قد اصابه ، وبدأت أعراضه تظهر عليه ، وأدى إلى وفاته فى سن مبكرة ، فقد توفى وهو في السابعة والخمسين من عمره .

حياته ... (٤)

حين ظهر ابن المقرب كانت أوضاع الدولة العيونية آخذه في التردى ، وكانت الدولة العربية الكبرى من حولهم تزداد سوءا وبدأت عوامل الوهن والجمود تنخر في عظامها . وأخذت تتعرض لأخطار عديدة أهمها الغزو الصليبى لفلسطين والشام ومصر .

وكان العصر الذي ظهر فيه ابن المقرب من الناحية الحضارية ، يمثل بداية عهود الانحطاط للحضارة العربية ، فلقد ضعف الحكم العباسى ، وبدت على خلافتهم علامات الشيخوخة ، فتعرضت الدولة للتجزئة والتفكك ، وتوقف الابداع الفكرى

وأصبح الفكر خاضعا للتقليد والمحاكاة . وتعرض المجتمع بدوره للفساد ، والتفسخ الخلقي ، ولم يبق من ظواهر الاصالة فى الحضارة العربية ، غير نفوس أبية حرة ، وفئات فكرية واعية ، تثوربين وقت وآخر ، هنا وهناك فى اجزاء الوطن العربي الكبير محاولة مقاومة الظلم والانحطاط والعودة الى حياة الخلق والابداع والطهارة . وكانت هذه الظواهر الفردية المنعزلة بمثابة مشاعل تضيء طريق الحياة العربية ، بعد ان طغت عليها عوامل الجمود والتخلف والزيف . وكان ابن المقرب من هذه الظواهر الفريدة فقد مثل في ذلك الوقت تمرد الاديب العربى فى منطقة الخليج والجزيرة ضد الاوضاع السيئة . المتحجرة ، التى أخذت تفرض نفسها على حياة المجتمع العربي فتقتل فيه كل بذرة من بذور الخير والخصب والابداع والاصالة .(١١١) .

فقد تهيأت لابن المقرب كل مقومات الشخصية الرافضة الثائرة من حدة في المزاج ، ورهافة في الحس ، وعلو في الهمة ، وشجاعة فى الرأى ، اليس هو القائل :

قد تساوى فى مضاء صارمي
وسناني ولساني وفؤادي(١١٢)

فأخذ على عاتقه مهمة تصحيح ما فسد من أوضاع مجتمعه ، فوقف منه أول الامر موقف الناقد الناصح الشفيق ، صريحا فيما ينتقد ، مبينا « الاخطار المحدقة بوطنه وقومه ، وهو لا ينفك يكرر في ثنايا نقده مبادىء الحياة الصحيحة التى يجب أن يتبعها ، كل من يريد ازالة الظلم ، ومحاربة الفساد ، وطمس الزيف »(١١٣) ولما لم يجد نقده نفعا ، أعلنها ثورة عارمة ، فقد كانت نفسه الكبيرة « تمنعه من الوقوع فى شباك الزيف التى لفت بخيوطها حياة المجتمع ، والاستسلام لحياة التقليد والانحطاط ، والفساد التى كان يعيشها أبناء عمه وبقيه قومه(١١٤) ولقد أثار هذا التفات الناس ودهشتهم وخاف أمراء الاسرة العيونية على ملكهم من هذا الشاعر الفارس ، ونقم عليه الحكام مواهبه .(١١٥) فما كان من أمير الاحساء أبى ماجد محمد بن أبى المنصور على بن عبدالله بن على بن عبدالله بن على العيونى ، الا أن اضطهده ، واجتاح أمواله ، ولم يبق له شيئا منها ، متجاهلا حق القرابة والنسب ، ولم يكفه هذا بل ضيق عليه فى السجن ، وبالغ فى أذاه .(١١٦) وقد احتفظ لنا ديوانه بهذه المعاناة .

وذى اربة اهدى لي اللوم ناصحا
وذو اللب أحيانا يريع الى العدل
يقول بتأنيب أأنسيت ماجرى
عليك من الاغلال والسجن والكبل
واحراز ما أوتيته واكتسبته
على غير ذنب من فراخ ومن نخل
وتفريقه في كل شاو وخارب
وذات هن كالماء فى ردع الوحل

وسلب الحسان المكرمات تهاونا
بهن ودمع الاعين النجل كالوبل
وما كان من اخراجهن صوارخا
من الضيم من بعد القصارة والشكل
وسكنى البوادى دارهن وانها
لدار امرىء لا بالحصور
ولا الخطل(١١٧)

ولم يكن هذا لأمر جنته يداه ، وانما وشى به حساد بيته ، حرصا منهم على اطفاء صيته :

وصاحبت اقواما الا ليت اننى
تبدلت زنجا منهم وصقالبا
ظننتهم ظلا ظليلا وجنة
فكانوا سموما يوم صيف وحاصبا
سعوا في دمي بالجهد حتى كانني
من الروم قد أعلمت جيشا محاربا
ولم يكفهم قيد ثقيل وخشبة
برجلي فى دهاء تنسى المصائبا(١١٨)

وظلم القوى للقوى أمر بالغ الألم ، وظلم القريب للقريب أشد وأقسى :

بلى أن ضيم الاقربين وجدته
اشد على الاحشاء حرا ولاهبا(١١٩)

ويخرج ابن المقرب من سجنه شعلة من الثورة ، ضد الأوضاع الفاسدة ، فحاربوه ، وأوصدوا فى وجهه كل سبل العيش الشريف ، واصطلح على حربه العدو ، والصديق والقريب فاستحالت حياته شقاء وعذابا :

اذا كنت اخشاكم واخشى عدوكم
فإن حياتي شقوة وغرام(١٢٠)

واضطر ازاء هذا للهجرة عن وطنه ، ميمما شطر العراق ، بل قل نفى نفسه اختياريا الى هناك :

لا تحسبوا بغضى الاوطان من ملل
لا بد للود والبغضاء من سبب
قل وذل وخذلان وضيم عدى
مقام مثلى على هذا من العجب
مالى وجسمي وسمعي منهم وفمي
وناظرى عد ومحل الفكر في تعب(١٢١)

فليس لمثله أن يبقى على حال كهذه ، بأرض يدبرها امراء سوء ، وبين قوم الشر ، والوقيعة ديدنهم ، ويعلن عن عزمه للارتحال عنهم ، ولقطع كل صلة بهم حتى المعاد :

سارحل لا مستوحشا لفراقكم
ولا اسفا يوماً ولا متندما
فإن حن قلبى نحوكم أو شكا جوى
فصادف من زرق الاسنة لهذما
وان دمعت عيناى شوقاً اليكم
فعوضتها من ذلك الدمع بالعمى
وان عارض الركبان يسال عنكم
لسانى فوافيت القيامة أبكما
ولا جمعتنا آخر الدهر نية
الى أن يضم البعث عاداً وجرهما(١٢٢)

وهكذا تمضى الحياة بشاعرنا بين حل وارتحال دائمين ، بين الاحساء وسائر مدن البحرين ، وبين الاحساء والعراق ، ويجوب العراق من بصرته الفيحاء الى موصله الحدباء ، وفى كل مرة يعود فيها الى وطنه ، يؤمل ان يجد الصورة قد تغيرت ، ولكن سرعان ما يكتشف أن الاحوال تزداد سوءا ، وأن موقفهم منه لم يطرأ عليه جديد :

أيجمل أن أجفى وانفى وعندكم
لمن ليس مثلى عيشه ومقام ؟
وتقطع ارحامى وتلغى مودتى
ويقعد بى ما بينكم ويقام(١٢٣)

فيلوم نفسه على أوهامها ، وجريها ، وراء سراب خادع ، ويعجب لنفسه أن ترضى المقام في مثل هذا المجتمع ، وعلى مثل هذا الحال :

أقيما على حز المدى أو ترحلا
فلست براض منزل الهون منزلا
فقد سئمت نفسى المقام وشاقني
ركوب الفياق مجهلا ثم مجهلا
وكيف مقامي بين أوباش قرية
أرى الرأس فيها من بها كان اسفلا[١٢٤]

وهكذا تصبح الاقامة على مثل هذه الحال ضربا من الخطل والجهل :

سقها ولو ذهب السرى بسراتها
كم ذاترد النفس عن عزماتها
طال امتراؤك خلف كل رذية
اكدى لدى الابساس من ثفناتها
أو ليس جهلا ان تسيم بمرتع
أكلت به المعزى لحوم رعاتها[١٢٥]

ويفصح الشاعر غير مرة عن مصدر اله ، وبكل الصدق يصور معاناة النفس الكبيرة ، وهو انكى عليها من ضيق ذات اليد ، ووفرة في العدى ، وجهل من يسوسها ، ولا معين لها من أحد:

فاذا رمت نهوضا قعدت
بى أمور انا منها في جهاد
قلة المال وكثر في العدى
وابن عم رأيه غير السداد
لا معين لى من قومي ولا
جدتي تحمل جدى واجتهادى[١٢٦]

وقبل أن نتابع الشاعر في رحلاته الى العراق ، لا بد من أن نسأل ، لماذا اختار العراق دون غيرها ؟ والاجابة على هذا السؤال ميسورة ، اذا ما علمنا ما بين العراق ومنطقة الخليج العربي من وشائح متينة موغلة في القدم ، والعراق اقرب الامصار العربية لتلك المنطقة ، واذا ما أخذنا في أذهاننا أن الخلافة العباسية كانت ما تزال تتمتع بزعامتها الدينية ، وبشيء من مكانتها السياسية وكانت الدولة العيونية تدين لها بالولاء ، كما ذكرنا آنفا .

أما مدن العراق ، كبغداد ، والموصل ، والبصرة ، فكانت ـ آنذاك ـ محط أنظار الشعراء والعلماء واليها تشد رحالهم . هذا الى جانب أن منطقة الجزيرة والموصل ، كانت تابعة للدولة الأيوبية آنذاك ، مما يغنيه عن الارتحال الى الشام أو مصر .

والغريب ان العراق لم ترد ضمن الاسماء المرشحة للرحلة عنده ، حين أفضى بها لممدوحه ، الامير الفضل بن محمد بن أبى الحسين العيونى ، فقال له :

فلا تحملني والمناديح جمة
على مورد يستعذب الموت ناهله
اريتك ان اخرتني وجفوتني
وذا الدهر قد أربى وبان تحامله
وجازت قرى البحرين عيسى وأصبحت
عمانية واستبهلتها سواحله
واصبح في الحى اليمانى رحلها
وحفت به اقياله ومقاوله[١٢٧]
أو استقبلت ارض الحجاز فيممت
بنى حسن[١٢٨] والفضل باد شواكله
أو انتجعت آل المهنا ففيهم[١٢٩]
حمى آمن لا يرهب الدهر نازله

أو اعتامت القوم الذين احلهم
ذرى كل مجد جعفر[١٣٠] وفواضله[١٣١]

وهناك اشارة أخرى ، في قصيدة له ، يمدح فيها الأمير عماد الدين محمد بن مسعود بن أبى الحسين العيونى :[١٣٢]

فلم يبق الا ان تزم ركائبي
ويصبح كيد بيننا ومنام
فخير من الاحساء ان دام عتبكم
أشي[١٣٣] ووادى منهم[١٣٤] ونعام[١٣٥]

ويفهم من هذا أن ابن المقرب قد خطرت بباله كل من اليمن ، واليمامة ، وبلاد الشام والمدينة ، ومكة ، وعمان . ويبدو أنه قد استعرضها ، وقدر موقفه منها جيدا ، ووجد أنها لا تليق به ، وسيكون وضعه فيها محرجا له ، فهو ابن بيت الامارة العيونية ، التى دانت لها أرض البحرين ، من البصرة الى عمان .

وقد أبان عما دار بنفسه ، وهو يستعرض هذه الاسماء المرشحة ، وعن موقفه اذا ما ألقى عصا الترحال على أرضها فيقول مخاطبا الامير عماد الدين الفضل بن محمد بن أبى الحسين :

فقل لى عماد الدين ماذا اقوله
وكل امرىء قدامه من يسائله
اذا قيل لى من أين اقبلت وارتمت
بك العيس او من كنت قدما تواصله
ومن رهطك الادنى الذي لك فخره
ونابه قدر لا يساويه خامله
هناك يكون الصدق نقصا عليكم
ولا يتحرى الكذب الا اراذله[١٣٦]

وربما كان اخفاؤه العزم على الرحلة الى بغداد ، ورحلته الى الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ) ينم فى ظننا عن هدف سياسي ، فلعله كان يبغى تأييدا ومددا من رجالات العراق . وعلى رأسهم الخليفة الناصر ليستخلص الحكم لنفسه ، بعد أن فقدت الخلافة بمقتل الامير محمد بن أبى الحسين العيونى شخصية قوية ساهمت فى الضرب على أيدى العصاة والعابثين بالامن ، وقامت بتأمين قوافل الحجاج ، فسارت من عمان الى حلب ، ومن بغداد الى مكة دون حاجة الى خفارة .

ثم يقع اختياره على العراق ، ويزم ركائبه ميمما شطرها ، ويحدو عيسه اليها ومنها ، ولم يتحول عنها الى سواها حتى أخر العمر . وبهذا يكون قد قدر فأحسن التقدير ، وأجاد الاختيار ، فليس فى التوجه الى العراق ما يشينه ، أو يحرجه ، فهى موئل الشعراء ، وطالبى العلم ، وقصاد الثراء ولا يحط من قدره أن يمدح خليفة المسلمين ، ويجأر بالشكوى اليه من أبناء عمومته وما فعلوه به :

فها أنا قد القيت رحلى عائذاً
بنعماك من ايدى الزمان الغواشم
وقد كنت ذا مال حلال وثروة
يضاعف اكرامى وترجى مكارمى
فأعرانى الوالى المشوم وفاتنى
بما حزته من ضيعة ودراهم

فمال على حالى ومالى وثروتى
مالى واصغى لاختلاق النمائم
وبت عزائى السجن فى مدلهمة
تجاوبنى فيها ثقال الاداهم
واخرجنى من بعد يأس وقد أتى
على نشبى أشكو الى غير راحم[137]

ولنستمع الى مناجاة نفسه، التى سبقت قراره الاخير :

فناجيت نفسى خاليا حيث لم أجد
من القصد بداً واستشرت عزائمى
وملت الى بعض الملوك فاجهشت
إلى وجاشت فوق ملء الحيازم
فمسكتها بالشد منى برحلة
اليك فابدت ثغر جذلان باسم[138]

ولكن مادواعى اضطهاده ؟ وهل كان طامعا في الحكم، متطلعا اليه ؟ حين نستعرض النزر القليل مما كتبه الباحثون المعاصرون عن حياة ابن المقرب، نجد أن بعضهم[139] اكتفى بالاشارة الى اضطهاد قومه له، لا نتقاده أفعالهم، واشتداده فى عزلهم، والبعض الآخر.[140] رأى أن ما حل به، انما هو رد فعل لميله « لآل الفضل » دون غيرهم من فروع أسرته ولم يكن صاحب قضية سياسية، ولكن العاملى فى كتابه « أعيان الشيعة »[141] يرى أنه كان متطلعا الى الحكم، ولم يتجاوز هذا الى ذكر الادلة. أما الدكتور شوقى ضيف فيظن ظنا « أن ذلك لم ينزل به لندبه الامير محمدا ولمز قاتليه ومن خلفوه، بل أيضا لأنه فكر في أن يستخلص الامر لنفسة »[142].

ولم يبق أمامنا سوى ديوان الشاعر حكما وفيصلا فى هذه القضية، فديوانه زاخر بشعر الثورة والرفض، والنقد العنيف، وهذا ملمح بارز في شعره، مما حدا بباحث معاصر[143] ان يطلق عليه « الشاعر الثائر » ولكننا لانكاد نجد في شعره - على وفرته - ما يومىء الى طمع فى الحكم، او تطلع اليه، الا بيتين من قصيدة له نظمها فى أخريات أيام دولتهم - في زمن الامير أبى القاسم مسعود بن محمد - ولهما دلالة كبيرة، اذ يقول :

فقوموا بعزم واجعلونى مقدما
فأى حسام لم ترصع حمائله[144]

ومن القصيدة ذاتها يقول :

سامضى على الايام عزمي وان أبت
لاظفر منها بالذي انا أمله

ففى البيت الاول اشارة صريحة الى نوايا ابن المقرب، وما يخفيه وراء نقده العنيف، ونصحه المتواصل، ودعوته الى الثورة على مافسد من أوضاع، فيرى نفسه الرجل المناسب لقيادتهم فى هذا الظرف العصيب، وكأن ابن المقرب - قبل اليوم - كان يهيىء النفوس للثورة، وهو يفتح أعين القوم على مناحى الفساد من حولهم، والاخطار المحدقة بهم. ولكن لماذا لا نجد عنده مثل هذا التصريح او التلميح من قبل ؟ لعل هيبة الحكام وقوة نفوذهم - آنذاك - قد حالت دون ذلك، أما اليوم فهو زمن حكام ضعاف، فقدوا هيبة السلطة ولم يعد

لهم نفوذ يذكر على رعيتهم .

كما أن البيت الثانى تأكيد لما جهربه في البيت السابق ، فما الذي يتمناه ويبغى الظفربه من هذه الدنيا أيا كانت العقبات ، غير الوصول الى منصب الامارة ؟ وبهذا نستطيع أن نفهم ما يعنيه بالحق المضيع في قوله :

سأطلب حق آبائي وحقي
ولو من بين أنياب الأفاعي(١٤٥)

والآن أصبح من اليسير علينا تفسير حبه لآل الفضل ، وسكوتهم ، ورضاهم لما أصابه من أبناء عمهم « آل علي » ، وكيف سمحوا ان يذهب ضحية ميله اليهم ، وهم قادرون على مكافأته ، وانصافه ، والحد من جبروت الآخرين ، عليه ، وسبق ان أشرنا الى اعجاب الشاعر بابن عمه الامير محمد بن أبى الحسين ، فقد مدحه بعدد من القصائد ، سجل فيها مآثره وبطولاته ، ويبدو أن هذا الاعجاب بآل الفضل ، والانحياز اليهم ، عاد عليه بالنقمة والعداوة من سائر فروع البيت العيونى ، وجرع بسببه الصاب والعلقم ، فقال مخاطبا الامير الفضل بن محمد بن أبى الحسين :

ولاقيت من جرائكم ما علمته
وهل أحد من سائر الناس جاهله
وكم مبغض لى فى هواكم وشانىء
على بنار الحقد تغلى مراجله(١٤٦)

وفى مدحه أخرى يذكر الامير نفسه :

ولا تنسين ما نالنى فى هواكم
وقد ظفر الساعى وقل المساعد(١٤٧)

ويتكرر مثل هذا المعنى فى مدح غير هذا الامير ، كالأمير ابى على محمد بن محمد بن الفضل :

وكم غصص جرعتها فى هواكم
ولم اصغ سمعا للذى جاء عاذلا
وفارقت اهلي غير قال وأسرتي
وولدي وخلان الصبا والمنازلا(١٤٨)

وفى موضع آخر ، يفصح أكثر عن هذا الحب ، والانتماء لآل الفضل ، على الرغم مما ناله بسببهم ، فما زالوا بالنسبة اليه أملا يتعلق بأهدابه :

وانى لمنكم سؤتم او سررتم
الى ان يوارينى ثرى ورجام
أليس أبى فى الانتساب أباكم
على اننى عبد لكم وغلام
أما اجتيح مالى فى هواكم وأسهرت
بذا السجن عينى والعيون نيام
وانكم درعى وسيفى وساعدى
وترسى اذا ضم الكماة زحام
ومن أجل قرباكم حسدت وسددت
الى نصال للعدى وسهام
فبوركتم يا آل فضل فانكم
ضياء وبعض المالكين ظلام(١٤٩)

وفي الحقيقة لم يكن ابن المقرب على وفاق تام مع « آل الفضل » ، والا لما ألح على تذكيرهم بحبه لهم ، وما ناله من ميله اليهم :

ولولا هواكم ما شقيت ولا غدا
يصك برجلي القيد من لا أشاغبه
ولا اجتاحت الاعداء مالى ولا انبرى
يطاولنى من ليس تحصى معائبه(١٥٠)

ولكن « آل الفضل » وان لم

يجاهروه العداء فانهم لم يدافعوا عنه بازاء عداوة أبناء عمه الآخرين التى ساموه فيها ألوان الظلم ، ولنستمع اليه مادحا ومعاتبا الأمير أبا على ابن مسعود من آل الفضل :

يا آل فضل أمات الله حاسدكم
بغيظه وكفاكم زلة القدم
كم يمضغ الدهر فيما بين أظهركم
لحمى ويشرب شرب الهيم فضل دمى
افى المروءة أن اظمى وحوضكم
للكلب والذئب والجرذان والبهم
ويصطفى من أبوه كان عبد أبى
دونى وتقطع فيما بينكم رحمى[١٥١]

ونستطيع الآن القول بأن الفضليين كانوا على بينة بما يدور في خلد ابن المقرب ، ولكن ميله اليهم ، واخلاصه لهم - ولو في الظاهر - حال دون بطشهم به ، ورضوا أن يكون هذا بيد غيرهم من العيونيين ، « وان كانت مدائحه للفضليين قد ساهمت أيضا في زيادة التوتر فيما بينه وبين بنى عمه الآخرين »[١٥٢] وعلى ضوء هذا الفهم لنوايا ابن المقرب ، وتطلعه الى الحكم ، يمكننا ان نفهم عنفه فى نقده لحكام أسرته ، كما يمكننا ان نقف على دواعى رحلته الى العراق ، وعودته الى الاحساء بين الحين والآخر ، ولنقرأ الأبيات التى قالها قبيل رحيله الى العراق ، لنقف منها على ما كان يساور نفسه من ثورة لم يكن فى مقدوره الجهر بها فى موطنه :

عدمت يمينى ان اقمت على القلى
نعم ويليها عن قريب شماليا
وفض فمى أن لم أسير غرائبا
تمزق احسابا وتبدى مساويا
يشق على القوم اللئام سماعها
ويظهر منها بعض ما كان خافيا
فإن عقلت قومى لسانى بأرضها
فليس بمعقول اذا كنت نائيا
سارسل منها بالدواهى شوارداً
تنبه ذا عقل وتفهم واعيا
ولو أن قومى انصفونى لأطلقوا
يدى ولسانى فيهم والقوافيا[١٥٣]

اذا فنقده لحكام الاسرة العيونية ليس الا تعرية لمساوئهم ، وتأليبا للرعية عليهم ، واعدادا للثورة ضدهم . ومثل هذه الشخصية النابهة - وفى أى مجتمع - يكثر حسادها ، وفى مثل تلك الظروف المضطربة ، يكثر سعاة الشر والوقيعة ، حتى أصبح البيت العيونى كله ساخطا عليه ، وامتد هذا السخط بالتالى لمجتمعه . ارضاء للحكام ، فتجافى عنه محبوه ، وربما عادوه :

فليت أخلائى الذين ادخرتهم
جلاء لهمى لا على ولا ليا
واعجب ما ياتى به الدهر اننى
ارى القوم ترمينى بايدى رجاليا[١٥٤]

ولكن متى بدأت تلك الخصومة بين الشاعر وأسرته ، والتى ترتب عليها رحيله الى العراق ؟ هناك اشارة لها دلالتها ، جاءت فى مقدمة قصيدة له[١٥٥] يمدح فيها الأمير محمد بن أبى الحسين العيونى سنة ٦٠٢هـ ، مفادها أن النيات قد فسدت على الشاعر مبكرا ، وأن البعض قد استطاع تشكيك ممدوحه فى مقدرته

على نظم الشعر ، فأوعزوا اليه أن يطلب منه ارتجال قصيدة بداهة ، فاستجاب ابن المقرب لطلبه ، وقد أهمه هذا الاقتراح .

ثم ينجح المتآمرون على الدولة والامير من قتله غيلة ، ويتسنم ابنه الفضل بن محمد سدة الحكم ، فيأتيه ابن المقرب راثيا مادحا ، ومن هذه المرثية قوله :

ولا بد لن من وقفة قبل رحلة
أذيل بها دمعي فينهل وابله
على جدث أضحى به المجد ثاويا
بحيث يرى شط المزار مقابله(١٥٦)

وفي سنة ٦٠٦هـ وقع صلح بين الامير الفضل بن محمد ، وبين ملك جزيرة قيس غياث الدين شاه ، وفى هذه المعاهدة تنازلات عيونية كبيرة ، ولمس منها ابن المقرب فى هذه الآونة بأن الضعف قد بدأ يدب فى كيان الدولة ، وهذا الضعف لا يتواءم مع نفس ابن المقرب ، فأخذ ينظم القصائد الحماسية ، منددا بسياسة الهون واللين ، حتى مقتته الاسرة المالكه .(١٥٧) .

ونستطيع الآن القول بأن خيوط المؤامرة ، قد بدأت تحاك ضده ، فى اخريات عهد الأمير ابن ابى الحسين ، وأن بداية اصطدامه بأسرته كان في عهد امير الاحساء أبى ماجد محمد بن أبى المنصور على بن عبدالله بن على بن عبدالله ابن على العيونى ، الذي نكبه واجتاح ماله ، وسجنه ، وأن الأسرة العيونية قد مقتته وسخطت عليه ، بعد المعاهدة التي أبرمت مع حاكم جزيرة قيس ، وأن رحلته الأولى الى العراق كانت ما بين عامى ٦٠٢هـ ـ ٦٠٦هـ والمرجح انها كانت عام ٦٠٤هـ ، كما جاء فى صدر لا ميته التى مطلعها :

سمالك من ام العبيد خيال
ودون لقاها أجرع وسيال(١٥٨)

وأنه قد امتدح بها شمس الدين باتكين عند انحداره من مدينة السلام عام ٦٠٤هـ . وقد ذكر شارح نسخة لندن (تسلسل ٧٢٨٨) ان قصيدته التى مطلعها :

ظننت حسودى حين غالت غوائله
يريع الى البقيا وتطوى حبائلة(١٥٩)

قد نظمها فى مدح الامير الفضل بن محمد بن أبى الحسين ، بعد سفره الأول الى العراق ، ووروده على الامير أبى ماجد محمد بن على بن عبدالله بن علي ومدحه له سنة ٦٠٥هـ ببائيته التى يستعطفه فيها برد بعض ما أغتصب منه ، ومطلعها :

خذوا عن يمين المنحنى أيها الركب
لنسال ذاك الحي ما صنع السرب(١٦٠)

وهذا ما يجعلنا نطمئن إلى التاريخ الذي رجحناه ، لأولى رحلاته العراقية .

لم يسجل لنا كاتب مقدمة ديوانه سوى رحلات ثلاث للشاعر ، ولكن باحثا معاصراً(١٦١) استطاع ان يستدرك رحلتين أخريين له ، فقد استهل رحلاته الخمس الى العراق ،

بتلك الرحلة التى ذكرنا عام ٦٠٤هـ ، حيث ودع الشاعر بلده ، وترك فيها الاحباء من أهله وولده ، وقصد العراق بطريق البحر ، وحل في البصرة . وهناك يجد الفتى الأبى الخارج من ظلام السجن ، وثقل القيد ، المصاب بمصادرة ماله ، وتشريد عياله ، ما ترتاح له نفسه ويبتهج به قلبه . وتستقبله فى البصرة الفيحاء بواكير الخير وطلائع الأمل ، ويبتسم له الزمان بعد عبوس ، ويبسط عليه أمير البصرة ظلا(١٦٢) من رعاية ، ويمد اليه يدا من اعزاز ، وينطق الشاعر بقصائد عديدة - سيأتى الحديث عنها - من عامر الشعر ، يمدح بها هذا الامير ، أو يكتب بها اليه .(١٦٣) واستهلها بلامية مطلعها :

ما شئتما يا صاحبى فقولا
هيهات لن تجدا لدى قبولا(١٦٤)

ثم يمضى الشاعر قاصداً بغداد ، وتلقاه بغداد ، مثلما لقيته البصرة ، بالاعزاز والمودة ويمدح فى هذه الرحلة والرحلات التى تلتها الخليفة العباسى الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢هـ) بثلاث قصائد ، كان أولها حائية مطلعها :

أرتها المآقى ما تكن الجوانح
فبح فالمعنى بالصبابة بائح(١٦٥)

وأشار فى هذه القصيدة لدوافع الرحة الى بغداد ، من ذكر طيب لأمير المؤمنين ، ومن رغبة تفريج همه ، وتحقيق رجائه :

فلولا أمير المؤمنين وذكره
لما قطعت بى البيد هوج مشانح
هو البحر والناس الذين ترونهم
سواق طمت من فيضه وهو طافح(١٦٦)

ومن القصيدة ذاتها يقول :

اليك رمت بى عزمة لم أجد لها
سواك وهم لم تسعه الجوانح
ومن كنت يا ابن المستضىء ماله
رجاه وحاشاه محب وكاشح

ولم يكن ابن المقرب فى علاقته بالخليفة شاعرا فحسب ، بل كان أيضا سفيرا سياسيا ، أوفده سنة ٦٠٦هـ الامير الفضل بن محمد بن أبى الحسين العيونى من البحرين الى بغداد ، ليلقى الخليفة ، ويطلب منه سددا من المال ، يستعين به في حرب له بالقطيف ، وقد لبّى الخليفة الطلب ، وانحدر ابن المقرب بالمال الى القطيف .

وفى قصيدة له رثى فيها ابن عمه مذكور بن عبدالله بن منصور مطلعها :

أظنك خلت الشوق والنأى ابكانى
فأقبلت نحوى يابس الدمع تلحانى(١٦٧)

أشارة الى هذه السفارة السياسية ، والى « الركب العراقى » الذي رحل من بغداد ، ووصل الى « الخط » و « فرقان » البحرين ،(١٦٨) وكانت هذه رحلته الثانية الى العراق .

ثم نجد الشاعر فى الاحساء بعد هذه الرحلة بعدة سنوات ، يلقى أميرها أبا ماجد محمد بن على(١٦٩)

مؤملا زوال الشحناء فينظم فيه قصيدة بائية مطلعها :

خذوا عن يمين المنحنى ايها الركب
لنسأل ذاك الحى ما صنع السرب(١٧٠)

ثم يستخبره وعده بكافيته التى مطلعها :

أمن دمنة بين اللوى والدكادك
شغفت بتذراف الدموع السوافك(١٧١)

ولكنه لم يحظ منه بشيء ، فقد أوغر عداته صدر أميرهم عليه ، فخاف على نفسه ، وخرج الى القطيف ، يرجو خيرا عند واليها الأمير فضل بن محمد الذي استطاع بمساعدة الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ) وما أمده به من الجند والسلاح ان يستولى على القطيف وأن يفتك بغرير وقتلة أبيه ، فأخذ ابن المقرب يذبج فيه مدائح كثيرة ، مثنيا فيها على أبيه مترحما ، غير أنه لم يحظ منه بطائل ، الا قليلا ومقدارا حقيرا .(١٧٢) .

وزادت القطيعة بين الشاعر والفضل وغيره من أبناء عمومته حين وقع صلحا مع أمير جزيرة قيس (كيش) عام ٦٠٦هـ تنازل له فيها عن بعض جزر البحرين ، وبعض مقاسيمها ، وفرض على نفسه إتاوة له سنوية : خمسمائة دينار مما جعل الناس فى القطيف والاحساء يسخطون عليه سخطا شديدا(١٧٣) وينجح الامير على بن ماجد بن محمد بن أبى الحسين فى الثورة على عمه الفضل بن محمد ، ويفرح به الشاعر وأهل البحرين ، فيمتدحه ببائيته :

صدت فجذت حبل وصلك زينب
تيها وأعجبها الشباب المعجب(١٧٤)

غير أن فرحتهم لم تدم طويلا ، اذ ثار عليه مقدم بن غرير بن الحسين بن شكر بن على بن عبدالله بن على العيونى بمساعدة ابن ابى جروان احد رؤساء قبيلة عبدالقيس . ولم يكن مقدم على دراية بشئون الامارة ، فضعفت أداة الحكم ، وعاث فيها المفسدون ،(١٧٥) ويتجه ابن المقرب الى ابن أبى جروان باللوم العنيف ان يكون أداة من أدوات الخراب فى الامارة العيونية . ثم يأخذ فى استعطافه ، حتى يكف عن ظلم الناس ، اذ كان مقدم بن غرير لعبة فى يده(١٧٦) وتظلم الدنيا فى عين ابن المقرب ، فيخرج من البلاد الى العراق فى ثالث رحلاته اليها قاصدا بغداد ، ولا تذكر لنا المصادر تاريخ هذه الرحلة ولكننا نستنتج مما هو مؤرخ من قصائد الديوان أنها كانت فى سنتى ٦١٣ ، ٦١٤هـ ، فقد جاء في صدر مطولته «الميمية» التى يفتخر فيها بآبائه وأهل بيته ومطلعها :

قم فاشدد العيس للترحال معتزما
وارم النجاج بها فالخطب قد فقما(١٧٧)

أنه قد نظمها ببغداد عام ٦١٣هـ . وامتدح عام ٦١٤هـ الخليفة العباسى الناصر لدين الله بميمية استهلها بقوله :

أمــارات سر الحــب مــالايكتــم
وأبــين شيء مــا يجــن المتيم[١٧٨]

ويبدو أن ابن أبي جروان قد نزل على رغبة ابن المقرب بخاصة وأهل البحرين بعامة ، فنحى الامير مقدم بن غرير وولى الأمير محمد بن ماجد أخا الامير على بن ماجد ، غير أن الامير عماد الدين أبا على محمد بن مسعود بن أبى الحسين أحمد بن أبى سنان محمد بن الفضل بن عبدالله بن على العيونى[١٧٩] قد قام بقتله ، ونصب نفسه أميرا على البحرين ، ويعود ابن المقرب الى موطنه فى زمن هــذا الامــير[١٨٠] ، فيمتــدحــه بقصيدتين : دالية وميمية ، كما امتدح ابنه مسعودا بقصيدتين : لامية وميمية . ويتولى امارة البلاد أخوه الفضل على بن مسعود فيمتدحه بلامية يشيد فيها بحكمه وحسن تدبيره ولكنه يلوح له بالاغتــراب والهجــرة عن الــوطن لأن أسرة (مسعود) لم تكن تسبغ عليه مودتها وعطاءها ، فيقول :

ولى عن مكان الذل مناى ومرحل
وذا الناس في الدنيا غريب وأهل[١٨١]

ثم يخرج قاصدا العراق فى عزمه المسير الى الموصل وديار بكر بغية لقاء الملك الاشرف بن العادل ، وكانت هذه رابع رحلات ابن المقرب الى العراق .

وبعد رحلة شاقة يصــل ابن المقرب ، مع همومه وطموحه وآماله الى الموصل ، ولم يتيسر له لقاء الملك الأشرف (ت ٦٣٥هـ) ، لأنه كان قد نهض هو واخوته وجنوده الى لقاء الافــرنــج في دميــاط سنــة ٦١٦هـ [١٨٢] .

وكان قد أعد له مدحة مطلعها :

ابــر شهودى انني لــك عــاشق
سهادى وسقمي والدموع الدوافق

وفيها وصف لما عاناه الشاعر في رحلتــه اليه من مصــاعب ، وما استغرقة قطع الطريق من وقت :

شهــور تبــاع سبعــة وثــلاثــة
ارافق لا الــوي بها وافــارق[١٨٣]

ويقول أنه كان يسير مجداً أربع ليال ، ولكنه كان يتوقف عن السفر ثماني ليال بسبب الحمى والخوف :

أسير مجــدا اربعــا ويعــوقني
ثمــان من الحماء والخــوف عائق

وقد وصل الشاعر الى الموصل في سنة ٦١٧هـ [١٨٤] فامتدح واليها بدر الدين لؤلؤ ، فأجازه ، وخصه بفنون التقدير والاكرام ، ورجع عنه شاكرا . [١٨٥]

ويذكر لنا ابن الشعار الموصلي في كتابه (قلائد الجمــان في شعــراء الزمان) أن الشاعر كان في بغداد سنة ٦٢٣هـ ، قال : «شاهدته بمدينة السلام سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وأنشدني الكثير من قوله ، ومعظم شعره يحفظة ويردده» .. [١٨٦] ويؤيد ماذكره ابن الشعار أن لابن المقرب قصيدة مطلعها :

اليــوم سر العلا واستبشر الأدب
وأحمدت سيرها المهرية النجب[١٨٧]

وفي هذه القصيدة مايدل على أنها قيلت في مدح الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣ - ٦٤٠هـ) الذي ولي الخلافة عام ٦٢٣هـ بعد الخليفة العباسي الظاهر (٦٢٢هـ) وهي السنة التي ذكر ابن الشعار أنه رأى فيها ابن المقرب ببغداد ، وفي هذه القصيدة ما يشير الى أن الشاعر قد قصد بغداد من البحرين في رحلته الخامسة ليلقي الخليفة الجديد ، وليشكو اليه الولاة الذين أودوا بثروته ، وليستعين به على أستردادها (١٨٨) وربما ليكسب تأييده في استخلاص الحكم لنفسه .

وهكذا تمضي به الأيام بين حل وترحال ، فلا يكاد يستقر بمه المقام ، حتى يزم ركابه ميمما شطر مدينة جديدة ، والملاحظ أن «الزوراء قد رحبت به ، والحدباء استقبلته بحرارة ، فأرفدوه مالا ، واحترموه مقاما ، وعاد لوطنه مقدراً ، غير أن الحساد والخصوم في بلاده لم يفسحوا له مجالا : (١٨٩)

ماعذر حر في المقام ببلدة
اسادها ضرب من المعزاء
وبجانب الزوراء لي مستوطن
ان شئت أو بالموصل الحدباء
في حيث لا القي الحسود اخا شجى
تغلي مراجله على الخلطاء
وبحيث اخوان الصفاء يضمها
حسن الوفاء وشيمة الأدباء(١٩٠)

لذا لانكاد نراه يصل الاحساء ، حتى نجده يعتسف الصحراء عائداً الى العراق ، ولم لا وقد قرت فيها عينه ، بعيدا عن الحسدة والحاقدين . كما وجد فيها ما افتقر اليه في موطنه ، مما سهل عليه فراقهم ، غير نادم لفقدهم :

لقد نايت فلم أسف لفقدكم
ولا تداخلني من نايكم ضجر
والله ماطال ليلي وحشة لكم
ولا عراني من وجد بكم سهر
وانني لقرير العين مذ شحطت
بي النوى عنكم واخروط السفر(١٩١)

حياته .. (٥)

هل يعني رحيل ابن المقرب بعيداً عن موطنه الاحساء ، أنه قد تخلى عن القضية التي ناضل دونها ، وسجن وشرد في سبيلها ؟

ليس من شك أنه «في البداية كان يشغلة واقعه الذاتي ، وما لقيه من ظلم أقربائه وبني عمه الذين عاملوه - كما عومل طرفة بن العبد من قبله - ولكنه عندما نضج وتأمل في واقع بلاده ، رأي أن المصيبة شاملة ، والظلم منتشر في كل مكان ، فنسى مشكلته الذاتية ، وأخذ يبكي مشكلة اخوته جميعا وشعبه وموطنه(١٩٢) .

كنت قبل اليوم ابكي بشجى
هم نفسي وطريفي وتلادي
ثم قد أصبحت أبكي ناسياً
شجو اخواني ورهطي وبلادي(١٩٣)

وقد صاحبته هذه النغمات الحزينة في أخريات حياته ، وهو يرى أموالهم نهبا للدخلاء فبعد أن كان يشكو الفقر

وضيق ذات اليد ، أصبح يراه خيرا ونعمة من الله ، تدرأ عن صاحبها شر الطامعين :

والفقر في ارضنا خير لصاحبه
من الغنى والقليل النزر يرضينا
لما يعانيه رب المال من تعس
في ارضنا لا لان المال يطغينا
وكم غنى عندنا قد جر داهية
دهياء تترك فحل القوم عنينا(١٩٤)

ومن القصيدة نفسها يقول :

كنا نضج من الحرمان عندهم
ونطلب الجاه فيهم والبساتينا
فاليوم نفرح ان يبقوا لموسرنا
من ارث جديه سهما من ثمانينا(١٩٥)

وفي التزام ابن المقرب بقضية قومه وبلاده ، يرى الدكتور محمد زغلول سلام أن هناك تقاربا في الروح والطريقة بينه وبين الأبيوردي (١٩٦) ، فكل منهما صاحب نفس طموح ، يسعى الى المجد وبلوغ أمل بعيد ، ظل طول حياته يعمل لبلوغه ، وتعترضه الصعاب ، ولكنه يكافح ويغالب ولا يستسلم . واذا كان الأمل البعيد للأبيوردي هو اعادة خلافة أجداده بني أمية ، فان ابن المقرب كان يأمل في استرجاع السلطة للعرب ، بعد أن رأى غيرهم من الأعاجم والمولدين يسلبونها منهم ، ونرى ابن المقرب يجاهد ليخلص بلادة الأحساء من سلطان الدولة العباسية ، وحولها الأعاجم من الترك والفرس ، وشعره يموج بهذا اللون القاتم الساخط .. (١٩٧)

حقا ان ابن المقرب كان يجاهد ليدفع عن بلادة خطر الأعاجم وأطماعهم ، وكانت عروبته وعيونيته تأبيان عليه ذلك ، ولكن شعره يخلو من جهاد يهدف لتخليص بلاده من سلطان الدولة العباسية ، فقد سبق وأن أشرنا الى العلاقة الطيبة بين خلفاء الدولة العباسية وحكام الدولة العيونية ، ثم لاحظنا الصلة الطيبة للشاعر بالخليفة الناصر لدين الله ، وبالمستنصر بالله من بعده ، وبولاة الدولة العباسية في البصرة والموصل .. حيث شد اليهم رحاله ليجأر لهم بشكواه ، مما ناله من حكام أسرته .

وابن المقرب في سعيه الدائب كان صاحب همة عالية ، ونفس طموح ، لم تكن تقف به عند حد (الري والشبع) :

ولا اكون كمن يسعى وغايته
ومنتهى سعيه للري والشبع(١٩٨)

ولم يعد يلتفت ـ في أخريات حياته ـ الى مشكلته الذاتية ، فالقضية الكبرى في وطنه أهم ، وهي قضيته أيضا كأمير عيوني ومواطن مخلص :

ساطلب حق ابائي وحقي
ولو من بين انياب الأفاعي(١٩٩)

"فهو أشبه بالأمير الشجاع أبي فراس الحمداني ، ومن استعرض حياتهما ، لوجد أن بين الأثنين قرابة في المقصد ، وروحا في المنهج (كذا) واباء في النفس وصراعا مع الخصوم ، وثورة على الظلم ، ودعوة للسيادة

وقراءة الكتب »(٢١٣).

« ومن الشعراء الذين كانوا يختلفون الى بلاطه أبو الطيب بن الحلاوى الموصلى ، وجمال الدين يحيى بن مطروح ، وكمال الدين حيدرة بن عبدالله الحسنى الموصلى »(٢١٤) .

وكانت له علاقة من نوع مختلف مع ابن الدبيثى الواسطى المؤرخ والمحدث ، فقد مدحه بسبعة أبيات ، لم أعثر عليها في ديوانه مخطوطا ومطبوعا ويبدو أنه رفعها من الديوان بعد أن ساءت العلاقة بينهما ، ثم هجاه غير مرة ، وأشار في هجائه الى تلك الأبيات السبعة ، مبديا أسفه لنظمها فيه :

والعذرلى فيما هذيت به
ان كانت الحمى من العذر
الا فمثلك لا أجود له
بالمدح في نظم ولا نثر
هى سبعة تأتيك سبع منى
تنسيكها والحصد للبذر(٢١٥)

ولم يكن ابن المقرب حبيبا الى نفوس الولاة والخلفاء فحسب ، بل كان صاحب منزلة لدى العلماء والادباء .

وبعد هذا يبقى ديوان شعره مصدرا ثرا للتعرف على ثقافته ، فقارىء ديوانه يخرج منه وهو موقن باستبحار ناظمه فى اللغة واحاطته بغريب مفرداتها واشتقاقها وتصريفها ، وان كان هذا ملمحا عاما في ديوانه ، الا أنه قد أوغل فى الاغراب في حائيته ، وثائيته ، وكافيته ، والاولى نظمها في مدح الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢هـ) ومطلعها)(٢١٦) .

أرتها المآقى ماتكن الجوانح
فبح فالمعنى بالصبابة بائح

والثانية قالها في مدح النقيب العلوى تاج الدين اسماعيل ، وأولها :(٢١٧)

أعيذك ان تسمو اليك الحوادث
وان تتغشاك الخطوب الكوارث

والاخيرة وقد نظمها في مدح الامير أبى ماجد محمد بن على العيونى ومطلعها :(٢١٨)

امن دمنة بين اللوى والد كادك
شغفت بتذراف الدموع السوافك

كما يخرج قارىء ديوانه منه بأن ناظمه ملم بعلم الفلك ، نظرا لكثرة اشاراته الفلكية ، ولعل نشأته البدوية ، وحياته الحافلة بالرحلة ، كان لهما أثر في ذلك . فمن أسماء النجوم والكواكب التى دارت في شعره ، « السها » .

فلولا أفول الشمس لم يبن السها
ولولا الدجى مالاح ضوء ذبال(٢١٩)

ومن ذلك « زحل » :

أبو سنان حليف المكرمات ومن
أناف سؤدده السامى على زحل(٢٢٠)

ومن الاسماء التى كثر ورودها « السماك » :

غر بنى لهم الأغر ابوهم
بيتا أناف على السماك الأعزل(٢٢١)

وقد يرد أحيانا أكثر من اسم في البيت الواحد ، ومن ذلك قوله :

ذوهمة صعدت وأ صبح دونها
زحل وأوج عطارد والمشترى(٢٢٢)

وهناك كثير من الاسماء التى لم ترد سوى مرة واحدة ، ومن ذلك قوله :

أحيى جريا في السماحة وابتنى
شرفاً اناف على بهرام(٢٢٣)

ومن ذلك قوله :

فامر به ذنب التنين(٢٢٤) يخسفه
حتى يصير كقرص الأرز الخاسى(٢٢٥)

وغير هذا فى شعره كثير ، وماذكرناه كان على سبيل المثال لا الحصر .

ومن الظواهر الفلكية التى وردت فى شعره ، قوله :

وقد يامن النقص السها لا حتقاره
ويخشي الخسوف البدر والبدر كامل(٢٢٦)

ومنه قوله :

ضحوك اذا ما العام قطب وجهه
عبوسا وخوى كل نجم واخلفا(٢٢٧)

ومنه قوله :

ولو قال للافلاك فى سيرها قفى
لباتت ركودا لا تدور ولا تجرى(٢٢٨)

ومنه قوله :

ولولا اياديهم وفضل حلومهم
لزلزلت الارضون وانقضت الشهب(٢٢٩)

ومن أسماء الابراج التى تكرر ورودها في شعره : « الحوت » و «الحمل» .

كسوت قومي والبحرين ثوب علا
يبقى جديداً بقاء الحوت والحمل(٢٣٠)

ومن ذلك « الجوزاء » :

غدا به الملك بالجوزاء منتطقا
وراح وهو بظهر الحوت منتعل(٢٣١)

وغير هذا ، فابن المقرب صاحب علم واسع بانساب القبائل ، وله دراية كبيرة بايام العرب وأبطالها ، وبخاصة ما يتعلق منها بقبيلته « ربيعة » ، في الجاهلية والاسلام وقد ورد فى شعره كثير من أعلامها ومشاهير رجالاتها ، ونونيته(٢٣٢) التى مطلعها :

الا رحلت نعم واقفر نعمان
فبح باسمها ان عز صبر وسلوان

تعد دليلا على ثقافة الشاعر ، وبخاصة علمه بالانساب والايام وحوادث التاريخ ، ومشاهير الرجال وما امتازوا به . وقد سجل فيها مفاخر قومه فى الجاهلية والاسلام مما سنعرض له في فخره بقومه وقبيلته ، ومثله نونيته التى مطلعها :

كم بالنهوض الى العلا تعدانى
ناما فما لكما بذاك يدان(٢٣٣)

ففى هذه القصيدة كثير من الاشارات التاريخية القديمة فى فخره بقومه وقبيلته :

كما أن ميميته في رثاء صديقه الحسن بن عبدالله ، لا تقل عنهما دلالة على علمه بالانساب، لما حشده فيها من اسماء أبطال بكر وتغلب وساداتهما ، ومنها قوله :

اين الملوك وأرداف الملوك ومن
ساد القبائل من عاد ومن إرم ؟
واين طسم وأولاد التبابع من
أولاد حمير والسادات من عمم ؟
واين آل مضاض فى قبائلها
من جرهم ساكنى بحبوحة الحرم ؟

افناهم وأدار الكاس مترعة
في وائل فسقاها غير محتشم
أردى ابن مرة هماما وكان له
عقد الرئاسة عن أبائه القدم
ومانع الجار جساسا أتيح له
سهم المنون على عمد فلم يرم
والحوفزان الذي كانت تنوء به
بكر سقاه بكاسات من النقم(٢٣٤)
ومنها يقول :
وقد اذاق شبيبا في شبيبته
كاس الحتوف بلا سيف ولا سقم
والمزيديين غالتهم غوائله
واجتاحهم مزبد من سيله العرم
ولم تدع هانئا وهو الذي انتصفت
به الاعاريب واستولت على العجم(٢٣٥)

ومن القصيدة ذاتها يقول :
وفارس العرب العربا وسيدها
أعني كليبا قريع العرب والعجم
لم يحمه عدد مجر ولا دفعت
عنه المنية اذ جاءت بنوجشم
ولم يكن لعدى بعده عصم
منه وكان عدى اى معتصم
وآل كلثوم سادات الاراقم لم
يترك لهم من حمى حام ولا حرم(٢٣٦)
ولا بن المقرب علم واسع بأنساب
الابل والخيل لا تكاد تخلو منها
قصيدة ، كقوله :
اليك خدت بى عوهج شد قمية
لها السوط عن رعى الخميم كعام(٢٣٧)
وقوله :
ذريني فإن الحر لا يالف الاذى
وقد أكثر النسل الجديل وشدقم(٢٣٨)
وقوله :
نهد على نهد المراكل سابح
رحب اللبان محجل للأرجل
متمطر سامى التليل مقابل
بين النعامة والحرون وقرزل(٢٣٩)
وقوله :
عل كل محبوك القرى شنج النسا
تجىء وعالا من وراء وعال
نتاج ابن حلاب وقيد ولاحق
وغل المذاكي كامل وعقال(٢٤٠)
كما أن قارىء ديوانه - لاسيما قصائد المدح والفخر فيه - يخرج منه بحصيلة من الامثال العربية السائرة . فله فيها حافظة واعية ، فاذا ما فخر أو مدح، تدفقت على لسانه المثل العليا للسماحة والجود ، والوفاء ، والبأس ، والاقدام والفصاحة ، والفقه ، والعدل .. الخ ومنها أسماء مألوفة تطالعنا في شعر الكثرين من شعراء العربية ، كسماحة حاتم ، وحلم أحنف ووفاء السموأل ، واقدام عمرو ، وذكاء اياس ، وعدل كسرى ، وفصاحة قس ، وبلاغة سبحان ، وعى باقل .. ومنها أسماء لانكاد نجدها في غير شعره ، كاتخاذه لقبيلة (هتيم) مثلا للضعة والتحقير ، وهى من القبائل التى لانكاد نجد لها ذكرا في معاجم اللغة وكتب الانساب ، فيقول في معرض شكواه وهجوه لقومة :
وكيف مقامى بين أوباش قرية
أرى الرأس فيها من بها كان أسفلا
بنى عم من أمسى كثيراً سوامه
وإن كان أدنى من هتيم وأرذلا(٢٤١)
ويذكرها في موضع آخر مشيرا الى

شيء من وضيع عاداتها ، وما اشتهرت به ، فيقول :

فإن هتيما لوحوت مال هاشم
هتيم فلا يغررك طيف خيال
سترجع فيما عودت من حميرها
ومن خرق اشنان وخصف نعال(٢٤٢)

ولا تزال بعض أحياء هتيم معروفة عند قبائل العرب بالخمول وسوء القدر ، وضعة الحال(٢٤٣) ومن الاسماء التي لانكاد نجدها في غير شعره « أبو غبشان » ، ويتخذه شاعرنا مثلا للحماقة ، فيقول حاثا قومه ـ بعد أن تصدع أمرهم ـ على التلاحم تحت راية أميرهم العيوني :

وارضوا رضاه فإن ساخط أمره
منكم لأخسر من ابي غبشان(٢٤٤)

وتشيع الروح الاسلامية في الفاظه ومعانيه ، ويقتبس أحيانا من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، مما يدل على أخذه بحظ من الثقافة الاسلامية ومنه قوله :

أبعد اشتعال الرأس شيبا تعرض
لوصل الحسان البيض ام انت مازح(٢٤٥)

فهو يقتبس هنا معنى الآية الكريمة « واشتعل الرأس شيبا »(٢٤٦) .

وقوله :

وصل واحتمل واخفض جناحك رحمة
لهن ولا تقطب عليهن حاجبا(٢٤٧)

فهو متأثر هنا بقوله تعالى « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ..»(٢٤٨) .

فإن ساءني منهم على القرب معشر
واصبح من تلقائهم ما أكابد

فقد باعت الاسباط قبلي أخاهم
ببخس وكل منهم فيه زاهد(٢٤٩)

فالبيت الثاني يشير الى قوله تعالى « وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين »(٢٥٠) .

وفي قوله :

وعف فلم يمدد الى مسلم يدا
بسوء ولا باتت له عقرب تسرى(٢٥١)

يقتبس معنى الحديث الشريف « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »(٢٥٢) وقد يضمن شعره حكما فقهيا كقوله :

وماذاك مني باختيار ولا رضا
ولكن يحل الشيء وهو حرام(٢٥٣)

فهو يضمن هنا الحكم الفقهي القائل بأن « الضرورات تبيح المحظورات » .

كما كانت تشيع الالفاظ الاسلامية في شعره وبخاصة في مدائحه للخليفة الناصر لدين الله ، كقوله :

وحسبهم بالناصر المهتدى به
فخاراً اذا ما الناس للحج وسموا
به يرفع الصوت الملبي وباسمه
على الله في دفع الملمات يقسم
تقر منى والمأزمان بفضله
ويشهد جمع والمصلى وزمزم
وكعبة بيت الله تعلم انها
له وكذا البيت المقدس يعلم
وكل بقاع الارض قد جعلت له
حلالا فيعطى من يشاء ويحرم(٢٥٤)

ونخلص من هذا وذاك بالقول أن ابن المقرب قد ألم من ثقافة عصره ، بما يعينه على أن يكون شاعراً متمكنا من أدواته الفنية ، من ثراء في

الألفاظ ، وقوة فى الصياغة وسلامة فى البناء ، وغنى فى الموسيقى ، بالاضافة الى ثقافته الدينية ، والفلكية ، وعلمه بالأنساب واحاطته بأيام العرب ، وبتاريخ قبيلته في الماضي والحاضر ، ووقوفه على دقائق تاريخ دولتهم منذ نهوضها ، وحتى تقوض سلطانها .

وهل ثم من ثقافة قد تضاف الى هذه الحصيلة الغنية ؟

وهل يراد من أى شاعر مثقف فى عصره ـ أو غير عصره ـ فوق ذلك ؟

فالشعراء ليسوا علماء ، وليسوا مطالبين ان يكونوا كذلك ، فالعلم آفة الشعر ، ومما لا شك فيه أن ابن المقرب كان شاعرا مثقفا فى عصره .

حياته ... (٧)

نظرا لما لمذهب الشاعر من أثر على نفسه وخلقه وتفكيره وابداعه ، فقد وجدت لزاما على أن أقف عند معتقد ابن المقرب وقفة مستأنية ، عارضا فيها لآراء بعض أصحاب التراجم المحدثين ، محاولا أن أخلص من خلالها الى رأى أطمئن اليه ، بعد استقصائى لشعره ، ووقوفى على خصائصه .

وقد اختلف المترجمون فى هذه القضية ، فمنهم من قال انه شيعى امامى ، كدائرة المعارف .[٢٥٥] ومنهم من ترجم له فى كتب تراجم أدباء الشيعة وعلمائها، كصاحب «أعيان الشيعة[٢٥٦] او صاحب أنوار البدرين[٢٥٧] فقد ذكر الأخير ان ابن المقرب من شعراء أهل البيت ومادحيهم المتجاهرين ، ويضيف ان جامع ديوانه وشارحه من المخالفين له في المذهب ، ولهذا حذف من أشعاره المراثى والمدائح ، وجرد منها ماهو الأولى والأحرى بالذكر ، وتحتمل التقية فى حقه ، ويذكر أنه قد وقف له على مراث كثيرة في الحسين بن على (رضى الله عنهما) منها المربعة فى مقتل الحسين ، ومنها قصائد من جملتها المشهورة التى أولها :

من اى خطب فادح نتالم
ولاى مرزئة ننوح ونلطم

الى أن يقول في آخرها :

قمنا بسنتكم وحطنا دينكم
بالسيف لانالوا ولا نتبرم
وعلى المنابر صرحت خطباؤنا
جهرا بكم وانوف قوم ترغم
لا تسلمونى يوم لا متاخر
لى عن جزا عملى ولا متقدم

ومنهم من يرى أنه سنى المذهب كعمران العمران .[٢٥٨] وقد اعتمد من قالوا بتشيعه على عينيته التى يبكى فيها الحسين بن على (رضى) ، ثم على الأبيات التى نسبها صاحب أنوار البدرين اليه ، ومدحه لآل البيت ، ومنه قوله مادحا النقيب العلوى تاج الدين اسماعيل :

وكل علياء فى الاسلام فهى بهم
تبنى وقطب الرحى منهم وهاديها
يا من يسامى الى مجد بنى حسن
عدمت رشدك هل خلق يساميها ؟

قبيلة من رسول الله عنصرها
ومن على فتى الدنيا ومفتيها
ان القروم السوامي من بني حسن
يحصى التراب ولا تحصى اياديها(٢٥٩)

ومنها قوله :

لكننا لم نزل طوعا لامركم
هوى وحرمة انساب نراعيها

كما يعتمد على قصيدة أخرى مدح بها النقيب تاج الدين اسماعيل العلوى الحسنى ،(٢٦٠) ولا شيء غير ذلك فالمصادر التى بين أيدينا ليس فيها ما يشير الى ذلك من قريب أو بعيد ، وما زال تاريخ الدولة العيونية بحاجة الى من يكشف غوامضه ، ويحسم أمر معتقدها ، أسنية كانت أم شيعية ؟ ولكن يمكن الائتناس الى سنيتها بالنظر الى دورها البارز فى القضاء على القرامطة وعقيدتهم من بعدهم(٢٦١) .

اذا فليس امامنا سوى شعر الشاعر ليسعفنا في هذه القضية فهل قصيدته المذكورة تشبه شعره ، وتحمل روحه ، وخصائصه ، وهل في غيرها من قصائده ما يشير الى تشيعه ؟ أما عينيته المشار اليها ، والتى تتسم بمظاهر التشيع ، وتزخر بصور شتى منه ، فالناقد الفاحص لا يمكنه الجزم بصحة نسبة هذه القصيدة الى ابن المقرب للأسباب التالية :(٢٦٢)

١ ـ ان روح ابن المقرب الشعرية والفكرية ، وطابعه اللغوى والاسلوبى ، أمور تنعدم تماما في القصيدة ، وان لاح لناشيء من ذلك فيها ، فهو لا يزيد عن مجرد تقليد له .

٢ ـ وأن هذه القصيدة فيها من الأخطاء ما لا نجده في غيرها من قصائد ديوانه لننظر مثلا الى قوله :(٢٦٣)

لهفى له وراسه فى ذائل
كالبدر يزهى فى اتم مطلع

والصحيح كالبدر يزهو .. ومثل هذا الخطأ قوله :(٢٦٤)

يحدى بنا حاد عنيف سيره
لو قيل إرتع ساعة لم يرتع

والصحيح ، يحدوبنا حاد .. كما قطع في الفعل (ارتع) وكان ينبغي الوصل .. وهذه الأخطاء لم يحدث ان وقع فيها الشاعر في سائر شعره . ولننظر الى البيت التالى :(٢٦٥)

نهدى الى الطاغي يزيد لعشا
شعثا باسوا حالة وابدع

ولا يخفى أن كلمة (ابدع) ليست في محلها ، وافضل منها واقل قلقا كلمة « ابشع » بل هى الكلمة التى يتطلبها السياق .

وبعد هذا لنقرأ البيت التالى(٢٦٦) ، لنرى ما فيه من خلل فى الوزن والاسلوب :

هل لكم ان تفوا ببيعتى
ان تسمحوا لى عنكم بمرجع

والصحيح :

فهل لكم من ان تفوا ببيعتى
او تسمحوا لى عنكم بمرجع

ولندع هذا البيت لنمعن النظر فى

البيت التالى :[٢٦٧]

فخروا لهفا له كانما
عليه ردع او خلوق او دع

اليس من الافضل قوله : عليه درع من خلوق أودع :

ومثل هذه الابيات المضطربة يندر وجودها فى ديوانه .

٣ ـ وأن بحر الرجز الذي اتخذه وزنا لقصيدته من الأوزان الخفيفة والحديثة ، والنادرة عنده والنغم فيها قلق ، وأشبه ما يكون بالنغم الذي يقال في الأذكار ، ويستر بعض العيوب العروضية في الشعر ، فلو أمعنا النظر في قوله منها :

قالوا له هيهات ذاك انه
مالك في سلامة من مطمع

لوجدنا أن كلمة (ذاك) كان حقها أن تكون ذلك .

ومثل هذا قوله منها :

تسبى ذرارى المصطفى محمد
رضا لشانيه الزنيم الدكع

فصدر البيت فيه خلل عروضى .

أما في قوله :

فعندها جرد سيفا لم يضع
نجاده منه على اى موضع

فنجد ان حركة طويلة قد زادت فى كلمة (اى) .

٤ ـ وأن القصيدة قد انفردت بها نسختان خطيتان ، احداهما بدار الكتب المصرية ، والاخرى بمكتبة الاسكوريال بمدريد، علما أن مخطوطات الديوان يصل عددها الى ست وعشرين مخطوطة .

٥ ـ وأن القصيدة قد ختمت بهذه الابيات :[٢٦٨]

اليكم نفثة مصدور اتت
من مقحم الشعر الى مصقع

مقربى عربي طبعه
ونجرة وليس بالمدرع

ينمى الى البيت العيونى الى
اجل بيت في العلى وارفع

ونسبة القصيدة اليه بهذه الطريقة تزيد من الشك فيها ، وفي كونها من شعر ابن المقرب حقا :[٢٦٩]

ونذكر في هذا الصدد ما وقع فيه ناسخ ديوانه في النسخة الخطية بالفاتيكان (تسلسل ١١٥٠) من لبس حين الحق بديوانه قصيدة ميمية لشاعر آخر يعرف بعلوى البصرة وهو جمال الدين على محمد بن زايد بن على ، ولعل تشابه اللقب والاسم (جمال الدين على) بين الشاعر والمذكور كان وراء هذا الخلط واحتفظت بالقصيدة ذاتها خمس نسخ أخرى نسخة كانت الفاتيكان اصلا لها ، وسيأتى تفصيل ذلك في حينه .

لذا فلا أستبعد أن يكون هذا الخلط وراء ما نسب من شعر التشيع الى ابن المقرب .

وشعر ابن المقرب على سعته وكثرته ليس فيه اية صورة من صور التشيع . اللهم الا تلك الاشارة التى وردت فى نونيته التى مدح بها الأمير العيونى محمد بن أبي الحسين واستهلها بقوله :

الا رحلت نعم واقفر نعمان
فبح باسمها ان عز صبر وسلوان(٢٧٠)

ففى معرض فخره بقومه فيها ، وتعداده لمناقبهم المشرفة فى الجاهلية والاسلام ، يقول :

وهم نصروا بعد النبى وصيه
ولا يستوى نصر لديه وخذلان

ولا نستطيع ان ننكر دلالة هذا البيت على احتمال تشيعه ، وتقف هذه الاشارة شاهد النفى الوحيد لسنيته ، ازاء الأدلة الكثيرة والمقنعة على نفى تشيعه .

وفيما يتعلق بهذا البيت فلا أستبعد أمرين :

اولهما : أنه ربما قصد بكلمة (وصيه) أبا بكر (رضى) لا عليا (كرم الله وجهه) . مشيرا بذلك الى الدور الذي نهض به قومه فى مساعدة الخليفة لا خماد فتنة الردة بالبحرين بعد وفاة الرسول ﷺ .

وثانيهما : أن يكون هذا البيت مقحما على قصيدة الشاعر ، لأنه غير موجود فى المطبوعة المكية لديوانه ، كما أن الأبيات التى تسبقه ، والأبيات التى تليه يتحدث فيها الشاعر عن مفاخر قومه فى الجاهلية . وابن المقرب فى فخره القبلى حريص على التسلسل الزمنى للأحداث ، فما الذى يدفعه اذا الى الحديث عن مفاخرهم الاسلامية ولما ينته بعد من حديثه عن مفاخرهم فى الجاهلية ؟ وتفسير هذا التداخل أن من اقحم هذا البيت كان على جهل بطريقة ابن المقرب فى عرضه لمفاخر قومه بعامه ، كما أنه لم يلتفت الى التسلسل الزمنى للأحداث داخل هذه القصيدة بخاصة .

أما الأبيات القليلة التى أوردها صاحب أنوار البدرين ، فلم يذكر لنا مصدرها .

وقد عاصر ابن المقرب الخليفة العباسى الناصر لدين الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ) « الذي أطلق العنان للشيعة ، وأعاد احتفالاتهم الدينية ، حتى أصبحت تقام أمام حجرة الخليفة مباشرة »(٢٧١) وهذا شيء عرف به الناصر في سياسته الداخلية ، منعا للفتن والقلاقل ، فلو كان ابن المقرب شيعيا لما احتاج الى الحيطة والميل الى التقية ولصرح بذلك فى قصائده الكثيرة التى نظمها فى العراق . بل هناك ما هو أشد لفتا للنظر ، وأدل على عدم تشيعه ، أن عراقياته بخاصة ، وسائر قصائده بوجه عام ، قد خلت من ذكر للأماكن المقدسة عند الشيعة فى العراق ، وهى كثيرة ، ومنتشرة فى مدن العراق فلو كان شيعيا لسجل لنا أحدى تلك الزيارات ، ولوصف لنا أحد تلك الأماكن ، ونحن نعلم أن شعره صورة صادقة لحياته وبيئته ، « والشعراء اذا تشيعوا كانوا شيعة حقا كغيرهم من الناس ، وربما أفرطوا فزادوا فى ذلك على غيرهم من عامة المتشيعين »(٢٧٢) .

ولو أمعنا النظر في الظروف التى جاءت فيها دولتهم ، ودواعى قيامها ، لوجدنا أنها جاءت لتستأصل شأفة

الوجود القرمطي ـ ومذهبهم كان شيعيا متطرفا ـ ولا حياء ما اندرس من معالم السنة ، ويرى الاستاذ العمران ، أنهم يسيرون في معتقدهم وفي أحكامهم وتطبيقهم لحدود الشريعة ، وفق مذهب السنة(٢٧٣) .

اما مدحه لأهل البيت فهذا ليس دليلا على تشيعه ، فإن السنة يجلون اهل البيت ، ويكنون لهم صادق الحب ، وعظيم التقدير ، ولهم في أهل البيت شعر كثير .

اما مدحه للنقباء العلويين ، وتردده على مجالسهم ، فهذا ايضا دليل واه على تشيعه ، كما يرى البعض ، لأن صلة ابن المقرب بعلماء السنة وبخاصة الحنابلة والشافعية ، ومدحه لبعضهم ، ثم ثناؤهم عليه ، وكذلك مديحه للأمير شمس الدين باتكين لأنه أحيا سنن مالك وأبي حنيفة والشافعي(٢٧٤) ، كل هذه الامور تنفي الشك في معتقده .

وتحتفظ لنا نسخة الظاهرية بخبر له أهميته ، ويضيف دليلا آخر على عدم تشيعه ، فقد جاء في صدر مدحته التي استهلها بقوله :

ألقت اليك مقادها الايام
وامدك الاجلال والاعظام(٢٧٥)

مودعا بها الشيخ محب الدين عبدالقادر بن داود محمد الواسطي الشافعي « وكان بينهما مودة وصداقة ، ومحب الدين يومئذ متولى سبيل الفقير للخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ) وكان أيضا معيدا بمدرسة نظام الملك ، وكان ابن المقرب يقرأ عليه » .(٢٧٦)

فلا يعقل ـ ان صح هذا الخبر ـ أن يتلقى ابن المقرب العلم وقد قارب الاربعين من عمره على يدى فقيه سنى شافعى ، وهو شيعى المعتقد ، ولا سيما أن بغداد كانت تعج ـ حينئذ ـ بعلماء الشيعة ، وكان الخليفة الناصر لدين الله قد أطلق العنان للشيعة ، حتى أن بعضهم قد رماه بالتشيع .

وحين مدح الخليفة الناصر ، اطلق عليه صفة (امام الهدى) ، فقال في مدح الناصر :

امام هدى ببطحاء مكة مولد
لآبائه الشم الذرى لا البطائح(٢٧٧)

ومن القصيدة ذاتها يقول :

امامته الحق اليقين وغيرها
اذا ما استبينت ترهات صحاصح

ومن قصيدة أخرى يقول :

ففي شاطىء الزوراء من آل هاشم
إمام هدى يؤدى اليه فيعصم(٢٧٨)

ومن المعروف ان الشيعة الامامية لا تطلق مثل هذه الصفة على غير ائمتهم ، كما انه قد اشار الى أحقية هذا الخليفة العباسى بالخلافة ، وهذا مخالف لمبادئهم .

وبعد هذا وذاك أرى أن ابن المقرب سنى المعتقد في حدود ما بين أيدينا من شعره ، اللهم الا اذا كشف البحث العلمى عن قصائد أخرى للشاعر غير التى بين أيدينا ، تحمل في ثناياها اشارات ، دالة على تشيعه ، فعندئذ

سيكون للمهتمين بهذا الشاعر ودولته موقف آخر من معتقدهم .

حياته ... (٨)

كان لا بد لرحلات ابن المقرب المتلاحقة ، من أن تختتم برحلة أخيرة ، رحلة لا يملك من أمرها شيئا ، سوى الاستسلام لارادة القدر .. وفى البحرين ، وعلى أرض الاحساء ، التى ناضل دونها ، وارتحل عنها من أجلها ، لفظت تلك النفس الكبيرة أنفاسها الأخيرة مشيعا بما أخلص من نية ، وأحسن من عمل ، وبذل من جهد وابدع من قول ، فى مواقف الاباء والنضال والقومية »[٢٧٩] .

ومن المألوف فى حياة السابقين ، الاتفاق على سنة وفاتهم ، والاختلاف فى تاريخ ولادتهم ، أما ابن المقرب ، فقد حدث عكس ذلك عند من ترجموا له ، فقد أجمع من ترجموا له ـ قديما وحديثا ـ أنه قد ولد في العيون عام ٥٧٢هـ ، أما وفاته فقد اختلفوا فى تحديد زمانها ومكانها .

فمنهم من قال انه قد توفى عام ٦٢٩هـ[٢٨٠] ، وهذا ما لا نسيل الى الاخذ به ، نظرا لأن من قالوا به من المحدثين ، عدا المنذرى الذي بدأ حديثه عن وفاته بقوله « وقيل » وهذا مما يدعو الى الشك . اما ابن الشعار الموصلى[٢٨١] فقد قال ، أنه قد توفى فى أواخر المحرم عام ٦٣٠هـ وهذا ما نطمئن اليه ، لأن ابن الشعار معاصر لابن المقرب . وهناك فريق ثالث[٢٨٢] ، انه قد توفى فى أواخر المحرم عام ٦٣١هـ . وهم من غير المعاصرين للشاعر .

كما قال بعضهم[٢٨٣] انه قد توفى ببغداد ، وهذا ما نستبعده ، لأنه لم يرد عن معاصر له ، وآخرون[٢٨٤] قالوا انه قد توفى بالبحرين ، وهذا ما نطمئن اليه ؛ لأن ابن المقرب قد اختفى من بغداد ، وسائر حواضر العراق ، منذ عام ٦٢٣هـ حيث مدح الخليفة العباسي المستنصر بالله ـ أبا جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله ، الذي بويع بالخلافة عام ٦٢٣هـ ببائية مطلعها :[٢٨٥]

اليوم سر العلا واستبشر الادب
واحمدت سيرها المهريه النجب

ولعل سر اختفائه أنه كان يعانى من مرض ما ، وربما كان هذا سبب نحو له واصفراره الذي أشرنا اليه أنفا ، وحين أحس بدنو أجله ، عاد الى اهله وعشيرته وموطنه ، ليموت مطمئنا بينهم .

وهناك رأى ثالث يقول :[٢٨٦] انه قد مات في عمان وفى قرية « طيوى » من بلاد عمان جبل شاهق ، وفى رأسه قبر ، ويقول : أهل طيوى ، انه قبر ابن المقرب والله أعلم .

وهذا قول يبعث على الدهشة ، فليس في شعر الشاعر ما يدل على رحلته الى عمان ، ولم يسبق له ذلك ، وان كان قد فكر في ذلك قبل رحيله ، الى العراق ، وهل يعقل أن يرتحل ابن المقرب وهو فى نهاية العقد الخامس من

عمره ، ليجرب حظه فى عمان ، بعد أن جربه فى العراق ؟! وهل كان سيجد فيها ما لم يجده في العراق ؟! ثم أن هذا الخبر لم يرد في غير هذا المصدر ، وربما كان المقصود شخصا أخر غير الشاعر ابن المقرب .

توفى ابن المقرب ، ولا نعرف كم ترك من البنين ، فقد ورد فى شعره ما يفيد أنه كان متزوجا ، وأبا ، يسعى لتحقيق حياة كريمة لأسرته ، بعد أن جار عليهم الزمن ، فمن قصيدة له يمدح فيها الأمير محمد بن على العيونى عام ٦٠٥هـ يقول :

فصن حر وجهى عن سؤال فانه
على ولو عاش ابن زائدة صعب
ورد كثيرا من يسير تفت به
فراخاً قد استولى على ربعها الجدب[٢٨٧]

وقال من مدحة له في الخليفة العباسى الناصر لدين الله :

وخلفت بالبحرين اهلى ومنزلى
رجاء الغنى من سيبك المتراكم[٢٨٨]

وقال مودعا أمير البصرة أبا شجاع باتكين :

أما الفراق فتاتينا رواحله
غدا ويحد جن للترحال بعد غد
والله يعلم انى لا اسر به
لكن اخاف شقاء الأهل والولد
الا ووجهك اشهى من وجوههم
عندى وانهم الافلاذ من كبدى[٢٨٩]

الهوامش

١ ـ العبدلي : نسبة الى جدهم عبدالله بن علي مؤسس الدولة العيونية ، ويطلق على عشيرتهم (آل عبدل) .

٢ ـ يقول ابن المقرب مفتخرا بقومه :

لكيزية انسابها عامرية

يلوذ المناوى ضيمها واعتصابها

(الديوان : ٢٤٢)

٣ ـ نقلا عن الدكتور مصطفى جواد : مجلة المكتبة /بغداد / السنة الخامسة / العدد ١٩٦٤/٤١ «أيار» .

٤ ـ نقلا عن الديوان : من المقدمة : ٧ .

٥ ـ نقلا عن الديوان : من المقدمة : ٨ .

٦ ـ معجم البلدان ٢٥٩/٦ .

٧ ـ نقلا عن د . مصطفى جواد : مجلة المكتبة .

٨ ـ الزبيدي : تاج العروس : جـ ٣١/٣ المطبعة الوهبية ـ مصر ـ ١٢٨٦ هـ .

٩ ـ نقلا عن الديوان : من المقدمة : ٧

١٠ ـ المصدر السابق نفسه : من المقدمة : ٨ .

١١ ـ الديوان : من المقدمة : ٩ ، ونقلا عن : مجلة المكتبة : بقلم د . مصطفى جواد

١٢ ـ نقلا عن : الديوان : من المقدمة : ٩ ، ونقلا عن : مجلة المكتبة : بقلم د . مصطفى جواد .

١٣ ـ نسخة مخطوطة ببرلين ـ تسلسل ١٩٨ .

١٤ ـ نسخة مخطوطة ـ بمكتبة الأوقاف العامة بالموصل تسلسل ٦٨٤ .

١٥ ـ نسخة مخطوطة بالمتحف العراقي ببغداد تسلسل ٨٩٨٩ .

١٦ ـ نسخة مخطوطة ـ بظاهرية دمشق تسلسل ٦٧٣٤ .

١٧ ـ نسختان مخطوطتان بمكتبة الدراسات العليا ببغداد تسلسل ٢٠٣،٦٦ .

١٨ ـ نسخة مخطوطة بمكتبة جامعة برنستون تسلسل ٤٤ .

١٩ ـ اسماعيل باشا البغدادى : هدية العارفين : ٧٠٦/١ ـ ٧٠٧ : مطبعة المعارف استانبول ١٩٥١م .

٢٠ ـ انظر : هذا البحث .
٢١ ـ جورجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية : ٣٣/٣ مطبعة الهلال ١٩٣١ .
٢٢ ـ خير الدين الزركلي : الاعلام : ١٧٥/٥ : ط ٣ بيروت ١٩٧٠ .
٢٣ ـ عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين : ٢٤٥/٨،٧ : مطبعة الترقي بدمشق ١٩٥٩ وقد ترجم عمر رضا كحالة في معجمه المطبوع بدار احياء التراث العربي ببيروت ، (٢٤٥/٧) مرتين لابن المقرب احداهما باسم علي بن المقرب الاحسائي المتوفى عام ١١١١هـ (نقلاعن اعيان الشيعة جـ ٤٢) ١٦٤ ـ ١٦٦ لمحسن الامين العاملي بتحقيق ولده حسن الامين ط ١ ١٩٦٣م) .
وثانيتهما تلت الاولى مباشرة باسم علي بن المقرب بن منصور بن المقرب .. المتوفى عام ٦٢٩هـ .
وقد توهم انهما شخصيتان مختلفتان ، وكان العاملي وراء هذا الخلط ، فقد ترجم له ثلاث مرات في كتابه :
سماه في الاولى علي بن عبدالله المقرب العيوني المتوفى عام ٦٥١هـ (جـ ٣٢٧/٤١) وسماه في الثانية علي بن المقرب الاحسائي المتوفى عام ١١١١هـ (جـ ٤٢٪ ١٦٤ ـ ١٦٦) .
وجعل وفاته في الثالثة ٦٢٩هـ (جـ ٥٦/ص ٣) نقلاعن كتاب ساحل الذهب الاسود .
٢٤ ـ فؤاد البستاني : دائرة المعارف : ٦١/٤ : بيروت ١٩٦٢م .
* ـ ARABISCHEN LITTERATUR BROCKELMAN : 1·460 LEIDEN 1937
٢٥ ـ انظر : رواية ديوانه المطبوع بالهند : في هذا البحث ، ورواية : عبدالفتاح الحلو في مقدمة ديوانه المطبوع بالقاهرة ص ٥٩ وانظر : رواية نسخة برلين ص ٥٨ ورواية هدية العارفين ٥٩ .
٢٦ ـ الديوان : ١٠٧ .
٢٧ ـ انظر : من هذا البحث : رواية ابن النجار ورواية ابن الشعار ورواية ياقوت ورواية ابن الدبيثي ورواية المنذري ورواية ابن الفوطي والصفدي .
٢٨ ـ الديوان : ٣٤٨ .
٢٩ ـ انظر : مجلة المكتبة ، العدد ٤١ .
٣٠ ـ نسخة مخطوطة بمكتبة الامبرزيانا بميلانو تسلسل (C ١٦٣) .
٣١ ـ الديوان : ٧٨ .
٣٢ ـ نفسه : ٥٥ .
٣٣ ـ نفسه ٨٢ .
٣٤ ـ نفسه : ٣٨٩ .

٣٥ ـ ٣٦) نقلاعن مقدمة الديوان : ٧ ـ ٨ .
٣٧ ـ الديوان : ٥٦٣ ـ ٥٦٤ ، وثلم : موضع بالصمان ، والثلماء : نواحي اليمامة (معجم البلدان : ٢١/٣) والجرعاء : الرملة التي لا تنبت شيئا ، وجرعاء مالك بالدهناء قرب حزوى (معجم البلدان : ٨٦/٣) والجديد : اسم نهر أحدثه مروان بن أبي حفصه الشاعر باليمامه ، او أسم جبل من جبال أجا ، أو اسم جبل في ديار الأزد (معجم البلدان : ٦٨) والحصنين : في معجم البلدان أسماء لحصون كثيرة . منها بارض اليمامة حصن عام (معجم البلدان : ٢٨٥/٣) والمصلى : موضع الصلاة : وهو موضع بعينه في عقيق المدينة (معجم البلدان : ٧٩/٨) وقبسة العجلان : مثل في الاستعجال (اللسان : مادة قبس) وعزاليها : يقال انزلت السماء عزاليها اشارة الى شدة وقع المطر (اللسان :) عزل) .
٣٨ ـ الديوان : ٦٥١ .
٣٩ ـ الديوان : ١٦٠ ـ ١٦١ وحجر : قصبة اليمامة وفي الصحاح الحجر (اللسان : مادة حجر) والغداف : غراب القيظ ، والجناح الاسود (القاموس : ١٧٩/٣) .
٤٠ ـ أبان : وأبانان جبلان في البادية ، وقيل هما جبلان أحدهما أسود والآخر ابيض ، فالأبيض لبني أسد والاسود لبني فزارة ٨ (اللسان : مادة ابن) .
٤١ ـ الديوان : ٦٢٨ ـ ٦٢٩ .
٤٢ ـ المصدر نفسه : ٤٠ .
٤٣ ـ الديوان : ١٣٣ .
بنظر رثاؤه لصديقه الحسن بن عبدالله وفخره بأبطال بكر :
٤٨٦ ـ ٤٨٧ ـ ٤٨٨ ، والحوفزان : اسم للحارث بن شريك الشيباني ، سمي بذلك لأن بسطام بن قيس وقيل قيس بن عاصم حفزه بالرمح فعرج فسمي بتلك الحفزة حوفزانا (اللسان: مادة حفز).
جاء في هامش النسخة الهندية المطبوعة ان مسلمه الجعد هو مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن الدؤل بن حنيفه ، وسمي الجعد لقوته ، وهو أول من خط حجرا ونزل اليمامة ، وكان له من الأولاد عشرة ذكور ، وجاءه اعمامه يطلبون فيها الشرك فاعطى كل رجل من أعمامه قرية .
٤٤ ـ الديوان : ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .
٤٥ ـ طه حسين : حديث الاربعاء : ٢٢٢/١ : الجلبي : القاهرة ١٩٣٧ .
٤٦ ـ عباس محمود العقاد: ابن الرومي، حياته من شعره: ٧ الطبعة السادة: دار الكتاب العربي: بيروت ١٩٦٧م.
٤٧ ـ الديوان : ١٣٣ ـ ١٣٤ .
٤٨ ـ الديوان : ١٤٣ .

٤٩ ـ المصدر نفسه : ١٥٢ .
٥٠ ـ المصدر نفسه : ٦٦ .
٥١ ـ المصدر نفسه : ٤١٣ .
٥٢ ـ المصدر نفسه : ١٣٨ .
٥٣ ـ المصدر نفسه : ٦٦ .
٥٤ ـ المصدر نفسه : ١٨١ .
٥٥ ـ المصدر نفسه : ٤١٣ .
٥٦ ـ الديوان : ٤١٣ .
٥٧ ـ المصدر نفسه : ٥١٣ .
٥٨ ـ المصدر نفسه) ٣٣٩ .
٥٩ ـ د . محمد زغلول سلام : الادب فى العصر الايوبى : ٢٥٤ : دار المعارف بمصر ١٩٧١م .
٦٠ ـ المصدر نفسه : ٥٢٧ .
٦١ ـ الديوان ٦٦ .
٦٢ ـ المصدر نفسه : ١٣٢ .
٦٣ ـ المصدر نفسه : ص ١٣٣ .
٦٤ ـ المصدر نفسه : ١٣٦ .
٦٥ ـ الديوان ١٥٥ .
٦٦ ـ الديوان : ٦٢٦ والمصاد : الهضبة العالية وأعلى الجبل .
٦٧ ـ المصدر نفسه : ٥٢٩ .
٦٨ ـ المصدر نفسه : ٦٦ .
٦٩ ـ الديوان : ٢١٥ والعنقفير : الداهية .
٧٠ ـ المصدر نفسه : ٢٧٤ .
٧١ ـ الديوان : ٢٤٨ .
٧٢ ـ المصدر نفسه : ٦٥٩ فى رأسه خنزوانه : أى كبر .
٧٣ ـ المصدر نفسه : ١٦٨) .
٧٤ ـ المصدر نفسه : ١٢٣ . المرزئات : التى تصيب بالرزيئة وهى المصيبة . والضوابح : يسمع منها صوت ليس بصهيل ولا حمحمة .
٧٥ ـ المصدر نفسه : ٤١ .
٧٦ ـ المصدر نفسه : ٢١٨ .
٧٧ ـ ابن مقرب حياته وشعره : ٢٥ :
٧٨ ـ الديوان : ١٤٤ .
٧٩ ـ المصدر نفسه : ٤٥٠ .
٨٠ ـ الديوان ٣١ ـ ٣٢ .
٨١ ـ الديوان : ٣٩٤ ، والعضل : المنع ، والبسل : الحرام .

٨٢ ـ المصدر نفسه : ٣١٢ . والحارك : أعلى الكاهل ، وركـارك : ضعيف ، والحوتكى : القصير اللئيم (اللسان : حتك) وراعك : ليس فيما بين يدى من معاجم معنى لها ، وكذا المحقق .

٨٣ ـ المصدر نفسه : ٣٤٠ .

٨٤ ـ المصدر نفسه : ٤٣٣ .

٨٥ ـ ويعرف بصاحب الموصل ، كان مملوكا لنور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى اقسنقر الاتابكى ، بدأ تدبير الملك منذ وفاة مولاه نور الدين عام ٦٠٧هـ الذي عهد بالولاية لولده عز الدين مسعود من بعده ، وطلب من بدر الدين تدبير المملكة ، ولكنه استطاع فيما بعد ان يستقل بالسلطة ، وتوفى عام ٦٥٧هـ ، وكان هولاكو قد اقره على الموصل بعد تقديم الطاعة (انظر دائرة المعارف : بطرس البستانى ٢٤٢/٥ مطبعة المعارف ببيروت ١٨٨١م .

٨٦ ـ وهو النقيب تاج الدين اسماعيل ابن النقيب جعفر بن يحيى بن النقيب طالب بن محمد بن أبى الحسين محمد بن أبى القاسم على بن العباس محمد بن زيد العلوى الحسنى . (نقلا عن الديوان : ٦٤٩ كما احتفظ به صدر القصيدة فى المطبوعة الهندية) .

٨٧ ـ الرئيس محمد بن عبدالله بن أبى سنان المقرى شمس الدين الموصلى الشافعى المتوفى سنة ٧٥٢هـ ، من تصانيفه الزواجر ، والكامل فى الفروع (انظر : هدية العارفين للبغدادى ١٥٩/٦ مطبعة المعارف باستانبول/ ١٩٥٥م) .

٨٨ ـ أبو البقاء العكبرى : هو عبدالله الحسين بن عبدالله النحوى الضرير ، ويلقب محب الدين ، تعلم فى بغداد ومات فيها ، وكان فى آخر عمره أشهر علمائها في عصره وكان متضلعا فى علوم كثيرة . وانما غلب عليه النحو ، وخلف مؤلفات كثيرة .
(انظر : تاريخ آداب اللغة العربية : ٤٤/٣ ، وانظر وفيات الاعيان : ٢٦٦/١) .

٨٩ ـ الديوان ١٥٧ ـ ١٥٨ . والرذية : الناقة المهزولة ، والوطف كثرة شعر الحاجبين والعينين ، والمكشم : الناقص الخلق والحسب .

٩٠ ـ الديوان ٤٣٢ .

٩١ ـ نفسه : ٦٥٩ .

٩٢ ـ نفسه : ١٣٦ ، وعتاعتوا : استكبر وجاوز الحد .

٩٣ ـ نفسه : ٢٧٤ .

٩٤ ـ نفسه : ١٣٩ .

٩٥ ـ الديوان : ١٣٧ .

٩٦ ـ المصدر نفسه : ٣٣٤ .

٩٧ ـ انظر : ابن رشيق : العمدة : جـ ٧٥/١ تحقيق محمد محى الدين

عبدالحميد : دار الجيل ، ببيروت ١٩٧٢م .
٩٨ ـ الديوان : ١٦٧ .
٩٩ ـ المصدر نفسه : ٤٣٣ .
اخودارم : لعله يعني الفرزدق فهو من دارم ، أو يعني مسكين الدارمي وهو ربيعة بن عامر كان من اشراف تميم وشجعانها وشعرائها ، اتصل بمعاوية وزياد بن ابيه توفى عام ٨٩هـ .
والاعشيان: أعشى قيس، ميمون بن قيس بن جندل الوائلي، ابوبصير، من شعراء الطبقة الاولى في الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات ، أدرك الاسلام ولم يسلم ، توفى في السنة السابعة للهجرة .
والثاني : أعشى باهله ، عامر بن الحارث وهو جاهلي ، أشهر شعره في رثاء أخيه لأمه (انظر : الديوان : ٤٣٣) ، (والجمهرة : ٢٤٦ ، ٣١٩) وجرول ابن اوس بن مالك العبسى ، الحطيئة ، أدرك الجاهلية والاسلام وضرب في الهجاء بسهم وافر . (انظرد . شوقى ضيف : العصر الاسلامى : ١٥ وما بعدها دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٦م) .
١٠٠ ـ المصدر نفسه : ٤٠٥ والصلصل : بقية في الغدير.
١٠١ ـ المصدر نفسه : ٢٧٨.
١٠٢ ـ الديوان : ٣٨٢ .
١٠٣ ـ المصدر السابق نفسه : ٢٨٣ .
١٠٤ ـ ابن مقرب حياته وشعره ص ٢٦ .
وابن الدبيثى هو الحافظ جمال الدين أبو عبدالله محمد بن سعيد بن الدبيثى قدم بغداد وروى فيها شيئا من شعره ، وكان قد ضمن البيع بواسط وظلم الناس وصودر ومقته الناس توفى بواسط عام ٦٣١هـ . وهو ابن عم عميد الدين أبو العباس أحمد بن جعفر بن احمد بن محمد بن الدبيثى الواسطى الاديب ، وكان من اعيان أهل بلده حشمة وتقدما وتجملا ، وله معرفة بالأدب .
(انظر : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب : لابن الفوطى : تحقيق : د . مصطفى جواد : بغداد ١٩٦٥م) .
١٠٥ ـ الديوان : ١٣٣ ـ ١٣٤ .
١٠٦ ـ المصدر نفسه : ٤٤٨ تردى : ترجم الارض بحوافرها .
١٠٧ ـ المصدر نفسه : ٤٤٨ .
١٠٨ ـ المصدر نفسه : ٣٧١ .
١٠٩ ـ المصدر نفسه : ١٨٠ .
١١٠ ـ الديوان : ١٣٤ .
١١١ ـ لمحات من الخليج العربي : ٢٩ وما بعدها : الشركة العربية : البحرين ١٩٧٠م .

١١٢ ـ الديوان : ١٨١ .
١١٣ ـ لمحات من الخليج العربي : ٣٣ .
١١٤ ـ لمحات من الخليج العربي : ٣٢ .
١١٥ ـ الديوان : من المقدمة .
١١٦ ـ نفسه : ٦ ـ ٧ .
١١٧ ـ نفسه : ٣٢١ والشاوى ، راعى الغنم والخارب : سارق الابل خاصة (اللسان : مادة خرب) والشكل غنج المرأة ودلالها وغزلها والحصور : الضيق الصدر ، والخطل : خفة واضطراب .
١١٨ ـ ديوانه : ٣٦ .
١١٩ ـ نفسه : ٣٩ .
١٢٠ ـ نفسه : ٤٨٠ .
١٢١ ـ نفسه : ٧٦ ـ ٧٧ .
١٢٢ ـ نفسه : ٤٧٢ ـ ٤٧٣ .
١٢٣ ـ الديوان : ٤٨٠ .
١٢٤ ـ نفسه : ٣٦٤ .
١٢٥ ـ المصدر نفسه : ١٠٥ .
١٢٦ ـ المصدر نفسه : ١٧٨ ـ ١٧٩ .
١٢٧ ـ القيل والمقول : الملك من حمير يقول ما يشاء فينفذ .
١٢٨ ـ يعني بني حسن بن على بن ابى طالب وهم ملوك مكة .
١٢٩ ـ يعني الحسن بن على وهم ملوك المدينة .
١٣٠ ـ يعني بني ربيعة ، امراء بلاد الشام .
١٣١ ـ الديوان : ٣٣٣/٣٣٢ .
١٣٢ ـ الديوان : ص ٤٨١ .
١٣٣ ـ أشى : موضع باليمامة بوادى الوشم ، مراصد الاطلاع ٨٦ .
١٣٤ ـ « منهم » قرية من قرى اليمامة المراصد : ١٣١٠ .
١٣٥ ـ نعام : واد باليمامه وقيل موضع باليمن ، المراصد ١٣٧٨ .
١٣٦ ـ الديوان : ص ٤٣٤/٤٣٣ .
١٣٧ ـ الديوان : ٤٩٦ ـ ٤٩٧ .
١٣٨ ـ المصدر نفسه : ٤٩٧ .
١٣٩ ـ انظر : لمحات من الخليج العربي : ٣٢ ومقدمة الديوان وتحفة المستفيد : ١٠٨ .
١٤٠ ـ ابن مقرب حياته وشعره : ٢٢ ، ٤٤ .
١٤١ ـ انظر : محسن العاملي : أعيان الشيعة : ٣/٥٦ (بدون ذكر لمكان الطبعة) ١٩٦٣م .
١٤٢ ـ مجلة مجمع اللغة العربية : ص ٣٣ عدد ٣٨ .

١٤٣ ـ د . محسن جمال الدين : مجلة النفط والعالم : العدد الأول : السنة الأولى عام ١٩٧٣م ، ص ٢٠/٢١ .
١٤٤ ـ الديوان : ٣٣٩ .
١٤٥ ـ الديوان : ٢٦٩ .
١٤٦ ـ الديوان : ص ٣٣٢ .
١٤٧ ـ المصدر نفسه : ص ٤٠٥ .
١٤٨ ـ المصدر نفسه : ص ٤٨١/٤٨٢ .
١٤٩ ـ المصدر نفسه : ص ١٤٧ .
١٥٠ ـ الديوان : ٦١ .
١٥١ ـ المصدر نفسه : ٥٦٠ .
١٥٢ ـ انظر : ابن مقرب حياته وشعره : ٤٤ ـ ٤٥ .
١٥٣ ـ الديوان : ٦٥٧ .
١٥٤ ـ المصدر نفسه : ٦٦١ .
١٥٥ ـ المصدر نفسه : ٥٨٥)
١٥٦ ـ المصدر نفسه : ٣٣٠ ـ ٣٣١ .
١٥٧ ـ انظر : تحفة المستفيد : ١٠٨ ـ ١٠٩ .
١٥٨ ـ الديوان : ٤٣٤ .
١٥٩ ـ المصدر نفسه : ٣٢٦ .
١٦٠ ـ د . رزوق فرج رزوق ـ بحثه الذي القاه في الندوة العلمية العالمية الثانية لمركز دراسات الخليج العربي في جامعة البصرة في أذار ١٩٧٧م . عن « عراقيات ابن المقرب » .
١٦١ ـ المصدر نفسه : ٢٦ .
١٦٢ ـ شمس الدين باتكين الرومي .
١٦٣ ـ عراقيات ابن المقرب ص ٨ ـ ٩ .
١٦٤ ـ الديوان ص ٤٠٦ .
١٦٥ ـ الديوان : ١٢٠ .
١٦٦ ـ القصيدة السابقة ذاتها : ١٢٦ . والشناحي : الجسيم الطويل من الابل (القاموس ١/٢٣٢) .
١٦٧ ـ الديوان : ٥٩٤ .
١٦٨ ـ المصدر نفسه : ٥٩٤ وانظر عراقيات ابن المقرب ١٤ .
١٦٩ ـ وليس الامير محمد بن ماجد كما ذكر صاحب (عراقيات ابن المقرب : ١٥) ، وكما جاء في مقدمة الديوان : ص ٩ وفي صدر بائيته ص ٢٦ .
وهذا خطأ بين من الناسخ ، اخذ به صاحب عراقياته لسببين :
اولهما : ان البائية قالها مؤملا زوال الشحناء بينهما ولم يكن بينه ومحمد

بن ماجد مثل هذه الشحناء لأن الاخير ولي برغبة من الشاعر بعد ان أنب بعنف اهل الحل والعقد لثورتهم على على بن ماجد بن محمد بن أبى الحسين وهو أخو محمد بن ماجد ، وتوليتهم مقدم بن غرير بن الحسين بن شكر بن علي .
(انظرا : الديوان ٦٣١ ابن مقرب حياته وشعره : ٤٧ ومجلة مجمع اللغة العربية : ٣٤) .
وثانيهما : أن الشاعر قد مدح بالبائية والكافية اميرا واحدا عام ٦٠٥هـ ، وجاء في صدر كافيته أنه قد مدح بها الأمير أبا ماجد محمد بن علي ، ويستخبره فيها برد بعض ما اغتصبه من أمواله وعقاراته وحين نرجع الى بائيته نجد أنه يصرح بكنية هذا الممدوح ، فيقول :

أبـا مـاجـد انظـر الى ذي قـرابـة
بـعـين رضـا يـغضى لـهـا الخـائـن الخب

(انظر : الديوان : ٣٠٥ وانظر : مجلة مجمع اللغة العربية : ٣٤) .
١٧٠ ـ الديوان : ٢٦ ـ ٣٥ .
١٧١ ـ الديوان ٣٠٥ ـ ٣١٥ .
١٧٢ ـ انظر : مقدمة الديوان : ٨ ـ ٩ وانظر : مجلة مجمع اللغة العربية : ٣٥ .
١٧٣ ـ انظر : مجلة مجمع اللغة العربية : ٣٥ .
١٧٤ ـ الديوان : ٨٤ .
١٧٥ ـ انظر : داليته في لوم ابن أبي جروان : ١٦٧ ـ ١٧٥ وانظر : مجلة مجمع اللغة العربية : ٣٦ .
١٧٦ ـ المصدر نفسه : ٦٣١ وانظر : مجلة مجمع اللغة .
١٧٧ ـ الديوان : ٥٢٦ .
١٧٨ ـ المصدر نفسه : ٤٤٨ .
١٧٩ ـ جاء في مقدمة الديوان ان الأمير أبا القاسم محمد بن مسعود بن محمد بن علي هو قاتل الامير محمد بن ماجد ، وعنه أخذ الدكتور شوقي ضيف في مجلة مجمع اللغة العربية (ص ٣٦) فذكر ان أبا القاسم كان يتولى امارة البلاد حين عاد ابن المقرب من رحلته العراقية الثالثة وامتدحه بدالية وميمية ، كما اخذ عنه الدكتور رزوق فرج في بحثه عن عراقيات ابن المقرب (ص ١٥) وبعد الرجوع الى شعر الشاعر وفحصه ، تبين ان قاتل الامير محمد بن ماجد هو الامير عماد الدين ابو على محمد بن مسعود بن أبى الحسين أحمد بن أبى سنان محمد بن الفضل بن عبدالله بن علي (من آل الفضل) وامتدحه ابن المقرب بدالية وميميتين .
(انظر : الديوان : ١٦٠ ، ٤٧٣ ، ٥٥٤ .
اما ابو القاسم فهو كنية لأميرين : أحدهما لم يحتفظ لنا صدر مدحته سوى باسمه (ابن محمد) ولكن الشاعر في قصيدته يكشف عن سلسلة أبوته فيقول :

ومـن نسـل جـديـك الـعليـين غلـمـة
نشـت وبـابكـار المـعـالى غـرامـهـا

ونظن ان هذا الامير هو أبو القاسم مسعود بن محمد بن علي بن عبدالله بن علي العيوني ، وقد امتدحه الشاعر بقصيدة واحدة مطلعها :

الى كم مداراة العدا واحترامها
وكم يعترينا ضيمها واهتضامها

ويبدو من القصيدة أنها لم تكن في المدح بل في الحض على الحرب والقتال ، واستنكار التخاذل والخضوع (انظر : الديوان : ٤٥٦ وما بعدها) .

أما الامير الثاني صاحب كنية (أبى القاسم) فهو مسعود بن محمد بن علي بن عبدالله العيوني ، كما جاء في صدر مدحته (ص : ٦١٠) . ويبدو من القصيدة التي وجهها الشاعر اليه انها كانت عتابا ولوما وخلت تماما من المدح ، ونظن أن هذا الامير هو نفس الامير أبى القاسم مسعود بن محمد لأن القصيدتين اللتين حملتا اسميهما تتفقان في تردى احوال ال[illegible] ، وخروج السلطة من أيدى العيونيين تماما ، وتعدان - كما أرى - آخر مادبجه الشاعر في أمراء أسرته . (انظر : الديوان : ٦١٠ وما بعدها) .

١٨٠ - انظر: مجلة مجمع اللغة العربية : ٢٦ .
١٨١ - الديوان: ٣٤٧ .
١٨٢ - الديوان: من المقدمة : ١٠ .
١٨٣ - المصدر نفسه: ٣٩٢ وما بعدها .
١٨٤ - معجم البلدان : ٢٥٩/٦ وانظر : مقدمة الديوان : ٤ .
١٨٥ - الديوان : من المقدمة : ١٠ .
١٨٦ - نقلا عن الديوان : من المقدمة : ١٠ وانظر : عراقيات ابن المقرب : ٢٢ .
١٨٧ - الديوان : ٩٢ وما بعدها .
١٨٨ - عراقيات ابن المقرب : ٢٢ .
١٨٩ - مجلة النفط والعالم : ٢٠ - ٢١ .
١٩٠ - الديوان : ١٨ .
١٩١ - الديوان : ٢٣٨ ، واخروط به السفر : طال وامتد (اللسان : مادة : خرط)
١٩٢ - لمحات من الخليج العربي : ٣٣ .
١٩٣ - الديوان : ١٧٧/١٧٦ .
١٩٤ - المصدر نفسه : ٦١٢ .
١٩٥ - الديوان : ٦١٦ .
١٩٦ - الأبيوردى : هو محمد بن احمد أبو المظفر ، شاعر ونسابه من أصل أموي من فرع معاوية الأصغر ، وهو سليل عنبسة بن أبي سفيان ، ولد في أبيورد من أعمال خراسان ، وتوفي عام ٥٠٧هـ . انظر : دائرة المعارف الاسلامية : ٤٢٢/١ - ٤٢٣ ترجمة محمد ثابت الفندي ، وآخرون ، القاهرة ١٩٣٣ .
١٩٧ - الأدب في العصر الأيوبي :٢٥٤ .
١٩٨ - الديوان : ٢٧٣ .

١٩٩ ـ المصدر نفسه : ٢٦٩ .
٢٠٠ ـ مجلة النفط والعالم : ٢١ .
٢٠١ ـ الديوان : ٢٦٦ .
٢٠٢ ـ الديوان : ٣٨٣ ـ .
٢٠٣ ـ عراقيات ابن المقرب ص ٢٧ .
٢٠٤ ـ لمحات من الخليج العربي ٦٩ وما بعدها .
٢٠٥ ـ الديوان ص ٢٣ .
٢٠٦ ـ المصدر نفسه ص ٢٧٩ .
٢٠٧ ـ المصدر نفسه ص ٢٨٣ . وما وجدته في كتب التراجم انه فخر الدين ابو عبدالله محمد بن أبي المعالي هبة الله بن الحسن بن الدوامي البغدادي الحاجب . كان أوحد دهره ، ونادرة زمانة ذكاء وفطنة ، وهو من البيت المشهور بالرياسة والولاية والكتابة ، وكان ذا خلاعة ومجون تلتذه الأسماع وتميل اليه الطباع ، وله شعر لطيف توفي عام ٦٥٢هـ . (انظر تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب : ٣٨٣/٣ وانظر الحوادث : وفيات ٦٥٢) .
٢٠٨ ـ الديوان ٥٦٩ .

وعبدالقادر بن داود الواسطي كان خيرا دينا أثنى عليه ابن النجار كثيرا ، وقال : كانت له معرفة تامة بمذهب الشافعي اصولا وفروعا ، وله يد باسطة في الفرائض والحساب ، ومعرفة حسنة بالادب ، وكان ورعا زاهدا . توفي عام ٦١٩ .

انظر : الطبقات الشافعية الكبرى لعبدالوهاب بن تقي الدين السبكي : ١١٨/٥ ـ ١١٩ . المطبعة الحسينية المصرية (بدون تاريخ) .

٢٠٩ ـ الديوان : ٦٤٩ .
٢١٠ ـ المصدر نفسه : ٢٤٠ .
٢١١ ـ نقلا عن : سوادى عبد الرويشدى : امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ : ١٤٧ : مطبعة الارشاد بغداد ١٩٧١ .
٢١٢ ـ المرجع السابق نفسه : ١٤٧ .
٢١٣ ـ امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ : ١٤٧ .
٢١٤ ـ نفسه : ٢٢٣ وما بعدها .
٢١٥ ـ الديوان : ٢٢٩ .
٢١٦ ـ المصدر نفسه : ١٢٠ .
٢١٧ ـ الديوان : ١١٥ .
٢١٨ ـ المصدر نفسه : ٣٠٥ .
٢١٩ ـ نفسه : ٣٧٥ .
٢٢٠ ـ نفسه : ٣٨٥ .

٢٢١ ـ نفسه : ٤١٩ .
٢٢٢ ـ نفسه : ٢٢٢ .
٢٢٣ ـ الديوان : ٥٠٤ ـ وبهرام : اسم المريخ (اللسان : مادة بهر) .
٢٢٤ ـ التنين : بياض خفيف في السماء ويكون في ستة بروج ، وذنبه في البرج السابع ، دقيق اسود فيه التواء (اللسان : تنن) .
٢٢٥ ـ الديوان : ٢٥٠ .
٢٢٦ ـ الديوان : ٣٤٦ .
٢٢٧ ـ المصدر نفسه : ٢٨٦ .
٢٢٨ ـ المصدر نفسه : ٢٠٢ .
٢٢٩ ـ المصدر نفسه : ٢٩ .
٢٣٠ ـ المصدر نفسه : ٣٨٢ .
٢٣١ ـ المصدر نفسه : ٤٤٣ .
٢٣٢ ـ المصدر نفسه : ٥٨٦ وما بعدها . ونعمان : أودية ، وراء عرفة وقرب الكوفة وبالشام قرب الفرات .
٢٣٣ ـ نفسه : ٦٣٢ وما بعدها .
٢٣٤ ـ طسم ، وعاد ، وارم : من الامم البائدة ، أولاد التبابع : ملوك اليمن . آل مضاض هم بيت جرهم بن يقظان ، الذين تزوج اليهم النبي اسماعيل عليه السلام بابنة ملكهم الحارث بن مضاض ، وجميع أولاده منها ، وكانوا سكان الحرم قبل قريش (الديوان : ٤٨٥) وهمام بن مرة : هو همام بن مرة بن ذهل بن شيبان : اخو جساس قاتل كليب ، وهو من سادات بني شيبان (الجمهرة: ٣٢٤-٣٢٥) الحوفزان: لقب الحارث بن شريك، وكان سيد بكر بن وائل (الجمهرة : ٣٢٦) والابيات من الديوان ص ٤٨٥ وما بعدها .
٢٣٥ ـ القصيدة ذاتها . شبيب هو شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس الشيباني الخارجي (الجمهرة : ٣٢٧) أحد الثائرين على بني أمية ، هزم جيش الحجاج في مواقع كثيرة ، فأمده عبدالملك بجيش تمكن به من هزيمته ، وتوفي عام ٧٧هـ . المزيديون : من كانوا من نسل مزيد الشيباني ، ومنهم يزيد بن مزيد ، ومعن بن زائدة الشيباني . هانيء ، بن قبيصة الشيباني ، بطل يوم ذي قار (الجمهرة : ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦) .
٢٣٦ ـ القصيدة ذاتها : ٤٨٩ . عدي بن ربيعة التغلبي : أخو كليب ، والمعروف بالمهلهل ، كان عاكفا على الخمر والنساء حتى قتل أخوه ، فثار لمقتله ، وأشعل حرب البسوس .
آل كلثوم : رهط عمرو بن كلثوم ، قاتل عمرو بن هند حمية وغيرة ، وهو من تغلب الأراقم : هم أولاد بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب (الجمهرة ٣٠٤ ـ ٣٠٦) .
٢٣٧ ـ ديوانه : ٤٧٩ . العوهج من الابل : الطويلة العنق الفتية . والشدقمية :

ناقة منسوبة الى فحل للنعمان بن المنذر (القاموس : ١٣٤/٤) .
٢٣٨ ـ نفسه : ٤٥١ . الجديل وشدقم : فحلان للنعمان بن المنذر .
٢٣٩ ـ نفسه : ٤١٦ . النهد : الاسد ، وفرس نهد : حسن جميل جسيم مشرف ، مراكل الدابة : حيث تصيبها برجلك . التحجيل : بياض في قوائم الفرس . المتمطر : المسرع ، وسامي التليل : منيع المصرع بعيده. والمقابل : من تساوى أباؤه من جهتي الأب والام في الشرف ، والنعامة : سبعة أفراس منها فرس قراض الأزدى (القاموس ١٨١/٤) والحرون : من خيل باهلة ، فرس مسلم بن عمرو الباهلي (القاموس : ٢١٣/٤) . قرزل : من خيل هوازن من ولد داحس فرس الطفيل بن مالك (القاموس ٣٦/٤ .
٢٤٠ ـ الديوان: ٣٧٣ . محبوك القرى: محكم الظهر قوية. وفرس شنج النسا: لم تسترح رجلاه. ورعال: جمع رعيل. وهي القطعة من الخيل. وحلاب: كان من خيل بني تغلب (القاموس: ٥٧/١) وقيد: كانت للملوك من ابناء المنذر بن ماء السماء، ولا حق: من الجياد المنجبة وكان لغني بن اعصر بني قيس عيلان (القاموس ٢٨٠/٤) وكامل فرس للحوفزان بن شريك (القاموس: ٤٦/٤) وذو العقال: فرس لحوط بن ابي جابر (القاموس: ١٨/٤).
٢٤١ ـ نفسه : ٣٦٤ .
٢٤٢ ـ نفسه : ٣٧٥ .
٢٤٣ ـ ابن مقرب حياته وشعره : ١٥٤ .
٢٤٤ ـ ديوانه : ٦٤٠ ، وأبو غبشان : هو المحترش بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعه الخزاعى ، كان صاحب البيت بعد أبيه ، وكانت العرب تجعل له جعلا في كل موسم ، فقصروا به في بعض المواسم ، ومنعوه بعض ما كانوا يعطونه ، فغضب فدعاه قصى بن كلاب ، فسقاه ، ثم اشترى منه البيت بأزواد ، وقيل : بزق خمر انظر : القاموس : ٢٨١/٢ .
٢٤٥ ـ نفسه : ١٢٢ .
٢٤٦ ـ سورة مريم : آية : ٤ .
٢٤٧ ـ ديوانه : ٤٠ .
٢٤٨ ـ سورة الاسراء : آية : ٢٤ .
٢٤٩ ـ ديوانه : ١٤٣ .
٢٥٠ ـ سورة يوسف : آية . ٢٠ .
٢٥١ ـ ديوانه : ٢٠٤ .
٢٥٢ ـ صحيح البخارى : كتاب الايمان ص ٩ .
٢٥٣ ـ ديوانه : ٤٨٢ .
٢٥٤ ـ نفسه : ٤٥٣ .
المأزمان : مضيق بين جمع وعرفه ، و آخر بين مكة ومنى ، ويوم جمع : يوم عرفة .

٢٥٥ ـ دائرة المعارف : ٤/٦١
٢٥٦ ـ أعيان الشيعة : ٤١/٣٢٧ ، ٤٢/١٦٤ ـ ١٦٦ ، ٥٦/٣ .
٢٥٧ ـ على البلادى البحرانى : أنوار البدرين : ٣٩٤ ـ ٣٩٥ مطبعة النعمان بالنجف ١٣٨٠هـ .
٢٥٨ ـ ابن مقرب حياته وشعره : ٢٦ ومن المعروف أنهم يميلون فى البحرين الى القول بتشيعه ، ووجدت نفس الميل فى العراق ، وبخاصة عند الشيعة منهم ، وفى الجزيرة العربية اصرار على سنيته ، اللهم الا منطقة الاحساء ، فهناك من يقول فيها بتشيعه .
٢٥٩ ـ الديوان : ٦٥٥ .
٢٦٠ ـ المصدر نفسه : ١١٥ .
٢٦١ ـ جاء فى هامش النسخة الهندية ص ٤٤٤ أن بشر بن مفلح العيونى كان رئيس العسكر كله لابى البهلول الذي خرج على القرامطة واستقل « باوال » وهزم جموع القرامطة في « كسكوس أوال » ممن جاءوا للقضاء عليه . وكان هذا الرجل ـ كما يبدو ـ سنى المعتقد لأنه بدأ تمرده ببناء مسجد سنى فى جزيرة أوال ، والخطابة للخليفة العباسى أنذاك . واذا فالعيونيون نصروا أول أمرهم رجلا سنيا ، وحين قتل أخذوا على عاتقهم مواصلة حرب القرامطة حتى النهاية .
٢٦٢ ـ ابن مقرب حياته وشعره ص ٢٨ .
٣٦٣ ـ الديوان ص ٢٦٤ وفي المصباح المنير : زها يزهو زهواً ص ٣٠٦.
٢٦٤ ـ الديوان : ٢٦٥ ، وحدوت بالابل أحدو حدوا حثثتها على السير بالحداء (المصباح : ١٥٢) .
٢٦٥ ـ نفسه : ص ٢٦٥ .
٢٦٦ ـ نفسه : ص ٢٦٢ .
٢٦٧ ـ نفسه : ص ٢٦٣ .
٢٦٨ ـ الديوان : ٢٦٦ .
٢٦٩ ـ انظر : ابن مقرب حياته وشعره : ٢٨ .
٢٧٠ ـ الديوان : ٥٨٦ .
٢٧١ ـ الحياة السياسية في العراق في العصر العباسى الأخير : ص ١٦٧ .
٢٧٢ ـ ابن الرومى حياته من شعره : ص ٢١٨ .
٢٧٣ ـ ابن مقرب حياته وشعره : ص ٢٧ .
٢٧٤ ـ انظر الديوان : ص ٤١٠ ، وانظر المرجع السابق الموضع نفسه .
٢٧٥ ـ الديوان : ٥٦٩ .
٢٧٦ ـ انظر : نسخة الظاهرية الخطية .
٢٧٧ ـ ديوانه : ١٢٥ .
٢٧٨ ـ نفسه : ٤٥١ .

٢٧٩ ـ عراقيات ابن المقرب : ٢٨ .
٢٨٠ ـ انظر : معجم المؤلفين : ٢٤٥/٨٢٧ والاعلام : ١٧٥/٥ وبروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ٢٦٠/١ : ليدن ١٩٣٧م .
ودائرة المعارف : ٦١/٤ ومجلة العربي : ابريل ١٩٦٠ وتاريخ آداب اللغة العربية : ٣٣/٣ والتكملة : نقلا عن الديوان : من المقدمة : ٦ .
٢٨١ ـ قلائد الجمان في شعراء الزمان : نقلا عن الديوان : من المقدمة ٧ ونسخة برلين المخطوطة تسلسل ١٩٨ .
٢٨٢ ـ تلخيص مجمع الآداب : نقلا عن الديوان : من المقدمة : ٦ والوافي بالوفيات للصفدي نقلا عن الديوان : من المقدمة ٦ ونقلا عن « ابن مقرب حياته وشعره : ٢٤ .
٢٨٣ ـ انظر : بروكلمان : ٢٦٠/١ والعربي : ابريل ١٩٦٠ وتاريخ آداب اللغة العربية : ٣٣/٣ .
٢٨٤ ـ انظر/ الأعلام جـ ٥ : ص ١٧٥/ ومعجم المؤلفين جـ ٧ ، ٨ ص : ٢٤٥ ودائرة المعارف جـ ٤/ ص ٦١ وتلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي . نقلا عن الديوان : ٦ .
٢٨٥ ـ الديوان : ص ٩٢ .
٢٨٦ ـ تحفة المستفيد : ص ٣٢ . ويرجح هذا الرأى عمران محمد العمران ص ٢٣ نقلا عن صاحب المخطوطة التاريخية الموجودة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٦٣٧ تاريخ ، وذكر مؤلفها ـ وهو من أهل القرن العاشر الهجرى ـ انه قد مر بتلك القرية في طريقة الى الهند . ولا أستبعد ان يكون صاحب تحفة المستفيد قد نقل عن المخطوطة اياها .
٢٨٧ ـ الديوان : ٣٥ .
٢٨٨ ـ نفسه : ٥٣٠ .
٢٨٩ ـ نفسه : ١٥٩ .

نشاط عُمان البحري

د : اسماعيل نوري الربيعي

برز اليعاربة كقوة بحريه ذات ثقل ورجحان في مياه الخليج العربي «١٦٢٤ ـ ١٧٤٠» وبأسطولهم الذي لعب دورا مميزاً في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، قيض لهم أن ينالوا حظوة رفيعة لتوكيد فعالياتهم السياسية ودعم موقفهم التجاري والعسكري . وعلى الرغم من الاخطار التي حاقت بهم ، والخطر الذي تهدد وجودهم في بلوغ القوى الأوروبية الغازية منطقة الخليج العربي ، الا أن النجاح كان حليفهم نتيجة لتراكم الخبرة الملاحية والعسكرية وتمكنهم من معرفة أسرار المياه التي مخروا عبابها . حتى انه في تطور لاحق تمكنوا من مطاردة فلول الأسطول البرتغالي وايقاع أنكي الخسائربة ، ولم تقف الامور عند هذا الحد بل طاردوهم في فعاليات باسلة نحو المناطق التي تمكنوا من تاسيس موطىء قدم لهم فيها كسواحل شرق افريقيا وسواحل الهند(١) .

خلال القرن الثامن عشر

تمكن العمانيون من توكيد وجودهم في المنطقة ، من خلال الدور الذي لعبوه في مجال الملاحة ، والتركيز على بناء اسطول قوي ليحقق لهم هدف الحماية الذاتية لمقاومة الأطماع الأجنبية وتوسيع مدركات الأنشطة الاساسية المتوافرة في البيئة المحلية والمتمثله في ركوب البحر ، حتى استطاع العمانيون فرض وجودهم وتحقيق شخصيتهم البحرية بأستقلالية تامة ناجزة دون وصاية أو تأثير من هذا الطرف أو ذاك . حتى بلغوا شأواً كبيراً في سعة الاسطول وقوة امكاناته . والاوصاف التي تركها الغربيون لنا عن مشاهدتهم المباشرة تفصح عن المنعة والمستوى الرفيع الذي بلغته البحرية العمانية فخلال أواخر القرن السابع عشر امتلك العمانيون سفناً ضخمة كانت من الحجم والسعة الى الحد الذي تستوعب فيه ألفا وخمسمائة رجل . فيما شهدت بواكير القرن الثامن عشر تطورات لا حقة تمثلت في حمل السفن العمانية لاعداد كبيرة من المدافع تراوحت بين السبعين والستين واستوعبت السفن الصغيرة ما بين أربعة الى ثمانية مدافع[٢] .

كانت السيادة العمانية في الخليج العربي والمحيط الهندي أمرا مفروغا منه ، حتى أن السواحل الغربيه للخليج العربي كانت خاضعة لهيمنة الاسطول البحري العماني ، فيما حرص الانجليز والهولنديون على ابراز مظاهر التجلة والاحترام للعمانيين ايمانا منهم واعترافا بقوتهم ، والخطر الذي يمكن أن يلحق بهم فيما اذا فكروا بالمساس بسيادتهم أو الاحتكاك بهم . وبظهور أسرة آل بوسعيد على المسرح السياسي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، تطور الدور الذي لعبه العمانيون وتصاعد ، ليدخل في مجال التنافس التجاري ، حتى تماثلت في عمان سمات الامبراطورية السياسية ـ التجارية ، ولتحقق بالتالي [٣] دورا ملاحيا وتجاريا مكنها من الحصول على مكانة راقية في وضع العلاقات التجارية ابان تلك الحقبة .

ان مشهد العلاقات السياسية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، كان يشير الى تبدلات هامة واساسيه في تشكيلة القوي التي كانت تفرض وجودها . حتى كانت المرحلة تشير الى نهاية قوى وبروز قوى جديدة

على دائرة الصراع السياسي ، فبعد نهاية البرتغاليين وتقوقع الهولنديين في دوائر صغيرة ومتناثرة في آسيا، ظهر الى ساحة التنافس قوتان هما : الفرنسيون والانجليز ، وفي الوقت الذي ظل دور الأولى هامشيا ، تمكن الانجليز وبجهود شركة الهند الشرقية الانجليزية من الحصول على حظوة ومكانة مميزة أهلتها لاداء دور بارز في التاريخ السياسي والاقتصادي للمنطقة ، ويمكن الاشارة الى العام ١٧٥٧ ، الذي شهد انتصار الأسطول الإنجليزي ، لتوضيح الشكل والدور الذي اضطلعوا به في تكييف العلاقات وفرض الهيمنة والوجود - فبعد أن ركزوا جهودهم على اقليم البنغال بالهند ، أتاح لهم الانتصار الذي حققوة في توسيع رقعة النفوذ في الهند الذي جعلوه هدفا لتثبيت دعائم وجودهم في الشرق[٤] . ولتأمين الاتصال بالمركز حرصت شركة الهند الشرقية الانجليزية على تعزيز وجودها في مياه الخليج العربي وعيا منها بالعلاقات الوطيدة التي كانت تربط الخليج العربي باقليم البنغال .

ان حصر الحديث عن القوى الأجنبية ، لا يعني البته أن منطقة الخليج العربي كانت مقفرة من القوى المحلية ، كما ان التركيز على قوة بعينها كاليعاربة مثلاً ، لا يدل على أن القوى المحلية الأخرى كانت خاملة الذكر أو عديمة النشاط والطموح . فالى جانب اليعاربة ، كان للقواسم دور بارز في الانشطة البحرية ، لا سيما في مجال الغزو الأجنبي ، حتى أن نفوذهم بلغ بلاد فارس وتمكنوا من فرض سلطانهم على الأسطول الفارسي الذي عاني من التشتت بعد وفاة نادرشاه الافشاري ، وتمكنوا من استخدامه بكفاءة ودراية وفاعلية مما أتاح لهم اظهار قوتهم وباسهم الشديد . كما برزت قوى محلية أخرى في ميناء بوشهر وميناء بندريق وجزيرة خرج وحاكمها الشيخ «سير» واستطاع العتوب تركيز نفوذهم في الكويت والبحرين وكان لهم نشاط دافق في مجال التجارة البحرية . حتى ان السيادة البحرية للعمانيين ابان تلك الحقبة واجهت منافسة جدية منهم . كما برزت قبيلة كعب [٥] ، التي كان لها الحظوة في منطقة شط العرب ونهر الكارون .

برزت عوامل عديدة ساهمت في تحفيز عمان نحو البقاء وبناء قدراتها الذاتية وتصميم الاراده ، نحو ترصين تجربتها السياسية والتجارية ، فعلى الرغم من الاخطار المحدقة من جهة البحر ، ان على صعيد القوى الأجنبية أو المحلية ، فإنهم تمكنوا من المضي في اداء دورهم التجاري بصورة دقيقة ومنتظمة ، وربما يدخل عامل ضعف كل من الامبراطورية الفارسية والعثمانيه في مجال النشاط البحري كحافز للعمانيين في تنشيط دورهم وتكريس قوتهم في هذا المجال ومن المدهش

حقاً ، أن يكون ذلك التنوع المذهل والتطور المتصل في بناء التجربة وتماسك خيوط الاداء المثمر ، ليحقق العمانيون اداء فريداً ومتناسقاً في مجال الفعاليات البحرية ، وليكتسبوا بالتالي سمعة كبيرة في مجال التجارة البحرية . ليتحقق لعمان خلال حكم أسره البوسعيد نشاط تجاري هائل ، حقق لها مزيداً من الرفاهية والاستقرار[٦] .

كان للموقع البحري المميز أثره الواضح في تفوق العمانيين البحري عن باقي نظرائها من القوى المحلية في الخليج العربي . ونتيجة لالتصاق أبناء عمان بالبحر ، تهيأت لهم فرصة تنامي الخبرات الملاحية وتوارثها جيلاً عن الآخر ، حتى كان ركوب البحر ومخرعبابه ، أحد أركان التقاليد الاجتماعية . ومما ساهم في بروز قوة العمانيين وتوسع أنشطتهم ، التدهور الذي نال الكيان السياسي في بلاد فارس لا سيما بعد موت نادر شاه عام ١٧٤٧[٧] . ونتيجة للفوضى التي ضربت أطنا بها في ميناء بندر عباس ، اتجهت الشركات الشمالية العاملة في المنطقة مثل شركة الهند الشرقية الهولندية والانجليزية نحو التعامل بكل ثقلها مع ميناء مسقط مما أكسبه أهمية وازدهاراً ، ومن الشواهد التاريخية على خيبة أمل الشركات في عودة الحياة والازدهار الى الموانىء الفارسية ، خروج الهولنديين من ميناء بندر عباس عام ١٧٥٢ ، وتبعهم الانجليز في ذلك عام ١٧٦٣ ونقلوا نشاطهم التجاري الى ميناء البصرة الا أنه خلال الازدهار التجاري الذي نالته البصرة ، بدأت الحياه والانشطة التجاريه تدب في ميناء بوشهر حتى أن الانجليز عمدو الى عقد اتفاق لفتح وكالة تجارية فيه ، بعد الاتفاق مع الشيخ سعدون حاكم المنطقة . الا أن الامور لم تبق على حالها ، فكان للصراعات السياسية التي نشبت بين الفرس والميرمهنا حاكم جزيرة خرج وميناء بندريق والصراعات التي خاضها مع الهولنديين والانجليز ، ان جعل الظروف المحيطة بالنشاط التجاري عسيرة ، مما حدا بالانجليز الى تركيز أنشطتهم وحصرها في ميناء البصرة منذ عام ١٧٦٩[٨] . ولم تكن الظروف التي أحاطت بالبصرة على شكل من النموذجية وحسن الاداء فقد حاصرتها الاطماع من كل حدب وصوب ، فكريم خان الزند كان متوجها نحوها بكل طموحاته ورغباته ، والصراع الناشب بين امارة كعب والعثمانيين والآثار المترتبه من هذا النزاع على النشاط في شط العرب ، اضافة للحرب التي دارت رحاها بين امارة كعب والانجليز والعثمانيين عام ١٧٦٧ ، مما[٩] جعل من النشاط التجاري في المنطقة ، أمراً غير معقول وضرباً من الخيال . ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل نزلت الجوائح وحلت الكوارث بالبصرة ، حتى اجتاحها الطاعون عام ١٧٧٣

وفتك بأهلها . ولاتمام الصورة المعتمة ، أقدم الفرس على احتلال البصرة ١٧٧٦ ـ ١٧٧٩ ، لتتقطع كل سبل الاتصال التجاري والحضري مع المدن الاخرى ، وتنوء تلك المدينة تحت آثار الاحتلال الذي شل حركتها وقيد انشطتها .

كان من الطبيعي والاحوال التى أحاطت بالبصرة ، أن انتقل النشاط التجارى نحو موانيء أخرى ، حتى افسح المجال لموانيء الكويت والبحرين (الزبارة) وبو شهر ومسقط لتمارس دورا تجاريا نشطا . والواقع ان مسقط تمكنت أن تبرز بشكل واضح ، نتيجة لاستقرار الاوضاع السياسية والخبرة الملاحية التى بزوا أقرانهم بها ، إضافة الى الاسلوب المتحضر الذى تعامل به العمانيون مع مختلف الاصناف من التجار ، الذين وطأوا سواحلهم . وتوافر الامن والاحترام الذى لقيه التجار الاجانب فى تلك الاصقاع . ويسر التعامل التجارى ووفرة مختلف التجار والصرافين والبحارة المدربين والسفن الجاهزة"١٠" .

ونظرا للسياسة الضرائبية الثابتة والبالغة ٦,٥٪ على السلع ، حظيت عمان بثقة وسمعة طيبة لدى التجار ، الذين وجدوا فى سلطة مسقط ، أهلا للثقة ومجالا رحبا لتوسيع التعامل معها ، وأخذوا يقارنون ذلك بالأفعال التى كانت تمارس فى الموانيء الفارسية والعثمانية ، وسيادة روح المزاجية وتفشى الفساد والفوضى بين موظفيهم . ولنا فى ذلك ان نشير الى إنعكاس ذلك الامر على ميناء البصرة الذى كان تحت السيادة العثمانية والمعاناة والعسر الذى لقيه التجار ، مما حدا بهم الى تركيز انشطتهم وتحويلها الى ميناء الكويت ونقلها عبر الصحراء الى حلب خلال أواخر القرن الثامن عشر . فيما اضطر تجار آخرون الى تهريب بضائعهم عن طريق شط العرب ونقلها الى الزبير ليتم نقلها الى حلب . وتجدر الاشارة هنا الى ان المستفيد الوحيد من السياسة الضرائبية العثمانية ، كان التجار الاوروبيون الذين أتموا معاملاتهم وفق نظام الامتيازات الذى حصلوا عليه من السلطان العثمانى ، حيث بلغت النسبة ٣٪ ، فى حين أن التجار الأخرين ، كانت تتضاعف عليهم نسبة الضريبة حتى تتجاوز فى بعض الاحيان ٧,٥٪"١١" .

إستوعب العمانيون أهمية تزويد أسطولهم التجارى بالقوة الحربية ، فعلى الرغم من السمة التجارية الخاصة التى اتسم بها البوسعيديون ، إلا أنهم لم يهملوا تدعيم سفنهم بالمدافع وتوفير الحماية الكافية . حيث كانت الاوضاع القائمة إبان تلك الحقبة التاريخية تستدعى اليقظة والحذر ، لاسيما وان المياه تعج بسفن القراصنة إضافة الى توثب القوى الاجنبية المتواجدة فى المنطقة ، والتى كانت تتحين الفرص

للانقضاض على القوى المحلية التى يصيبها الوهن والضعف . وللدلالة على المستوى الرفيع والمكانة الهامة التى بلغها الاسطول العمانى ، يمكن الاشارة الى الرحلات المنتظمة التى كانوا يقومون بها بين ميناء البصرة فى الخليج العربى وسواحل ملقا فى الشرق . حتى أنهم إحتكروا تجارة البن مابين اليمن والبصرة خلال"[١٢]" النصف الثانى من القرن الثامن عشر .

عنى البوسعيديون بصناعة السفن وتطويرها والاهتمام بتسليحها ، لاسيما فى أواخر القرن الثامن عشر ، وكان النموذج الذى شد إنتباههم ، قد تمثل فى النموذج الذى أتى به الاوروبيون الى المنطقة ، وكان أحد أهم الاسباب فى تفوقهم وفرض سيادتهم . وانطلاقا من هذا الوعى ، توجهوا نحو توسيع مراكز بناء السفن حتى إنتشرت فى موانىء مسقط وصحار وصور ، فيما نشطوا فى شراء السفن الاوربية ، وحاولوا أيضا الاستفادة من خبرة الهنود فى صناعة السفن لاسيما فى مينائى بومباى وسورات . وبالاشارة الى عهد السيد سلطان بن أحمد ١٧٩٢ ـ ١٨٠٤ ، يمكن إختصار الاوضاع الراقية التى بلغها الاسطول العمانى الذى كان يضم خمس عشرة سفينة كبيرة حمولة الواحدة من ٤٠٠ ـ ٧٠٠ طن ، فيما وجدت المئات من السفن المتوسطة والصغيرة ، والتى أوجدت نظاما ملاحيا مميزا تمثل فى رحلات السفن الكبيرة فى الهند ، وتوجه السفن المتوسطة نحو سواحل شرق أفريقيا ، وتركيز نشاط السفن الصغيرة داخل مياه الخليج العربى . ولم يهمل الاسطول الحربى أو تترك رعايته ، فقد حظى الاسطول بالسفينة جنجانا التى بلغت حمولتها ١٠٠٠ طن ذات ٣٢ مدفعا"[١٣]" بالاضافة الى ثلاث سفن أخرى ذات عشرين مدفعا .

إن تركيز المؤرخين على أهمية النشاط الاوروبى فى المنطقة ، لايعنى وتحت أى أعتبار إن الانشطة البحرية للقوى المحلية كانت مفقودة أو غائبة بل ان السفن البرتغالية وفى عز ازدهار نشاطهم فى المنطقة لم تستطع أن تبارى عدد السفن الآسيوية العاملة . وهذا القول لايعنى بحساب الكم بل بحساب النوع . إلا أن المهم فى هذا يتركز فى توجه الاوربيين نحو توسيع رقعة نشاطهم فى مجال تجارة الموانىء الآسيوية لاسيما خلال وصول الهولنديين الى المنطقة . لما تحققه تلك الفعاليات من أرباح مغرية بالاضافة الى سعة التبادل بين الموانىء الكثيرة وعدد السكان الكبير المنتشر فى قارة آسيا . وكانت أوضاع الانشطة قد أفرزت تعاملا واسعا ، تمثل فى قيادة ربابنة اوربيين لسفن آسيوية أو بالعكس ، إضافة الى قيام بعض السفن الاوروبية بنقل الحجاج الآسيويين الى الاراضى المقدسة . ولم يقف الامر عند هذا الحد بل توسع الى

الحد الذى أثمر تعاون كلا الفريقين الآسيوى والاوروبى فى تجارة الموانىء الآسيوية«١٤» .

على الرغم من إتجاهات ميل التجار الاوربيين نحو تركيز نشاطاتهم فى أواسط أسيا والمحيط الهندى ، الا أن هذا الامر لايعنى أن الخليج العربى والبحر الاحمر ، قد فقدا أهميتهما الملاحية والتجارية . فقد بقيا منافسين لهما وزنهما إزاء طريق رأس الرجاء الصالح ، وبقيت مناطق العراق والجزيرة العربية وايران واسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر وموانىء البحر المتوسط والبحر الاسود ، بحاجة ماسة واعتماد يكاد يكون أساسيا على الطريقين . بالاضافة الى ان النشاط الملاحى والتجارى فى المنطقة كان أحد السمات البارزة والرئيسية لسكانها وجزءاً أساسيا من خصائصها المميزة . ولايمكن إغفال أهمية المنطقة أو إهمال موقعها كهمزة وصل بين الهند وسواحل أفريقيا الشرقية . وفى خضم هذه الفعاليات كان لميناء مسقط مكانة هامة ودور بارز بحكم الموقع والامكانات الملاحية والخبرة التجارية ، حتى قيض لذلك الميناء أن يتبوأ مكانته الرفيعة والهامة أواخر القرن الثامن عشر . حتى إن قيمة الاتجار لشركة الهند الشرقية مع الخليج العربى قد بلغت فى إحدى السنين حوالى ستة عشر مليون روبية«١٥» .

كان من الطبيعى ان يتجه العمانيون نحو ركوب البحر ، نتيجة لفقر الارض وعدم وجود فرصة واسعة للزراعة ، وكان لابداعهم فى مجال البحر ان تمكنوا من بلوغ الغنى والقوة الاقتصادية . فقد أفلحوا بالامساك بزمام تجارة البن من مينائى الحديدة ومخا وتجارة السكر من بتافيا ، حتى ان ايران وجزيرة العرب والعراق وأرمينيا والاناضول قد إعتمدت فى حصولها على هاتين السلعتين على النشاط التجارى العمانى . وكان للعمانيين فرصة السيطرة على الطريق الواصل بين البحر الاحمر والخليج العربى ، حتى حصرت نطاق النقل بسفنهم فقط ، بالاضافة الى الانشطة الواسعة فى المحيط الهندى والتى أفصحت بشكل لايرقى اليه الشك عن الخبرة الملاحية الكبيرة التى بلغوها . حتى أنهم كانوا ينقلون الى كلكتا فى الساحل الشرقى من الهند ، اللؤلؤ والملح الصخرى والكبريت والنحاس والزرنيخ والعفص والزعفران والبخور والفواكه المجففة والافيون والاعشاب الطبية ، فى حين أن البضائع التى كانوا ينقلونها الى مسقط كانت تتراوح مابين ، الانسجة القطنية والقطن الخام والصوف وخشب الصندل والفلفل والزنجبيل والهيل وجوز الطيب والدارسين والمسك والكافور والنيلة والكركم والحديد والصلب والرصاص والصفيح والزيت والسمن

والأرز . وكانت السفن الاوربية تؤم ميناء مسقط وتنشط فى فعالية نقل البضائع الى الهند (١٦) .

فى الوقت الذى عانت الفعاليات الاقتصادية فى كل من فارس والدولة العثمانية من الركود وشحة النقود ، فأن العمانيين واصلوا نشاطهم التجارى بكل قوة وأسسوا امبراطوريتهم التجارية وعززوا علاقاتهم مع القوى التجارية والسياسية الأخرى وحرصوا على توطيد نفوذهم في المناطق التي كان حجم التبادل التجاري معها كبيرا ولم يكتفوا بالتوجه نحو منطقة واحدة بقدر ما أرادوا توسيع رقعه التبادل مع أكثر من منطقة وميناء فقد كانت سفنهم في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر (١٧) يتيقن الانجليز من فرض هيمنتهم وأسطولهم على الجهات الشرقية من الهند وحتى الخليج العربي والبحر الأحمر خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر ولم يتبق للهولنديين والفرنسيين سوى مناطق نفوذ هزيلة فيما تمكنت شركة الهند الشرقية الانجليزية من السيطرة على نقل البضائع من الخليج العربي الى الهند وهي البضائع التي تعود ملكيتها الى التجار العرب والهنود والفرس والأرمن واليهود وخلال العقدين السادس والسابع من القرن الثامن عشر كانت السفن التي تجوب مياه الخليج العربي خاضعه للسيادة الانجليزية . وكان للمهارة التي بلغها القباطنة الانجليز والحظوة والمنعة اللتين بلغاهما أن برزت ظاهرة تفضيل ملاك السفن من الآسيويين تسليم قيادة سفنهم الى الانجليز ونتيجة لانتشار السفن الانجليزية ونشاطها الدائب في نقل البضائع بين الهند والبصرة فقد جعل ذلك بعض الباحثين يرون ان النشاط التجارى كان بيد الانجليز بشكل مطلق (١٨) .

وقد برزت تطورات لاحقه في توجه التجارة الانجليزية مع الشرق خلال العقدين الثامن والتاسع من القرن الثامن عشر تمثلت في توجههم نحو توسيع علاقاتهم مع الصين بعد بروز اهمال واضح في التبادل مع الخليج العربي ، نتيجة للفوضى السياسية في المنطقة وركود الانشطه الاقتصادية وقلة الاموال وكان للارباح الكبيرة التي حصلوا عليها لقاء تجارتهم مع الصين أثر كبير في تركيز نشاطهم في ذلك المجال والواضح أن عيون الانجليز كانت على التجارة مع الصين لما تمثله من اغراء هائل في الارباح الا أن شح الأموال كان عائقا بارزا في توجهاتهم (١٩) .

وكان لسيطرة الانجليز على الهند دور في تحفيز اندفاعهم نحو الصين للاتجار معها فبعد أن فشلوا في تسويق النسيج الصوفى الانجليزي اليهم وجدوا ضالتهم في القطن والافيون المنتج في الهند وركزوا كل امكانياتهم في سبيل الحصول على

الشاي الذي أضحى مادة واسعه الانتشار في أوروبا وفي سبيل ضمان الارباح الواسعة عمدت شركة الهند الشرقية الانجليزية الى منح التجار الانجليز حرية الاتجار بجميع انواع السلع الأسيوية فيما احتفظت لنفسها بحق احتكار تجارة الشاي وكان للارباح التي تحققها الشاي ان أهملت التجارة مع الخليج العربي والبحر الأحمر. حتى غدت المنطقة ضئيلة الاهمية بالنسبة للتجار الذين بدأوا يجنون الارباح الطائلة، وراحوا في مقارنة نشاطاتهم بين المنطقتين، ونتيجة للفراغ الذى نشأ فى المنطقة، حاول أبناء المنطقة من التجار، إعادة النشاط التجارى فيها. حتى كان العمانيون الاكثر حظوة ونشاطا فى مجال التجارة مع آسيا"[٢٠].

اسماعيل نورى الربيعى
الجامعة الاردنية ـ كلية الآداب
قسم التاريخ

REFERENCES

1. Lorimer,Gazeteer OF The Persian Gulf,Tc2, India 1908,P·403. — ١

2· amillton,Anew Account Of The East India 1688–1723 VOL·1,P·45. — ٢

3· Miles,The Countries and the Trades of the Persian Gulf VOL·1,P 220. — ٣

٤ ـ صالح محمد العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ، بغداد ١٩٧٦ ، ص٤٢ .

٥ ـ د. عبدالامير محمد امين ، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر ، بغداد ١٩٦٦ ، ص٢٢ .

٦ ـ د. ميمونة خليفة الصباح ، نشاة الكويت وتطورها في القرن الثامن عشر ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد السادس والاربعون ، السنة الثانية عشرة .

٧ ـ د. عبدالامير محمد امين ، المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧ـ ١٧٧٨ ، بغداد ١٩٧٧ ، ص٥٠ .

٨ ـ نفس المصدر ، ص١٧٢ .

٩ ـ عبدالامير محمد امين ، القوى العربية في الخليج العربي ، ص٤٥ .

10. Parsons,Travel in Asia and Africa, London 1808 P· 220. — ١٠

11. Marine Records, Vol. 891 August 15, 1790, Report on Trade of Arabia and Persia by Samuel Monesty and Harbord Jones — ١١

12. Ibid. — ١٢

13. India Office, Factory Records, Letters from Bussora, Gambroon, etc.Letter from Bussra, Vol. 21, September 1769. — ١٣

١٤ ـ د. عبدالامير محمد امين ، دراسات في النشاط التجاري والسياسي الاوروبي في اسيا ١٦٠٠ـ ١٨٠٠ ، عمان ١٩٨٧ ، ص٦٣ .

15· Furber,Rival Empires of Trade in the Orient 1600– 1800,Oxford 1976

16· India Office, Abstract Letters Received From Bombay, VOL· B, Letters From Boussora·

17· parsons, OP·Cit, P· 175.

١٨ـ د. عبدالامير محمد امين ، المصالح البريطانية في الخليج العربي ، ص٢٣٤

19· Geerberg, British Trade and Opining of China 1800– 1842, Cambridge 1969· P· 8

20. ibid — ٢٠

التجارة في عُمان

بقلم دكتور : فاضل محمد الحسينى

لم يعط الباحثون العرب على وجه الخصوص هذه الفترة من تاريخ عمان اهتمامهم بالرغم من أهميتها في شتى الميادين التجارية والادارية والعسكرية والعلاقات الدولية . وهذا البحث محاولة مني في فتح الباب على مصراعية لتناول هذه الميادين كما انني سأواصل بعون الله البحث في الجوانب الاخرى تباعا كما أن القارىء الكريم سيجد اثناء قراءته للبحث تشابكا في العلاقات التجارية العمانية خلال هذه الفترة وان كثيرا من البضائع والمواد تصدر وبذات الوقت تستورد مما يدعوه للاستغراب .. لكن المعرفة الدقيقة لموقع عمان الاستراتيجي بالنسبة للمنطقة والعالم ابان تلك الحقبة التاريخية وتوافد السفن التجارية المختلفة عليها وتنوع النشاطات التجارية وخاصة التجارة العابرة والتجارة الوسيطة ـ ان صح التعبير ـ وهي أن تستورد عمان بعض البضائع لتصل اليها دون ان تفرغها أو أن تفرغ جزءاً منها ثم تصدرها لمكان آخر . هذه العمليات التجارية لدى تفهمها تبدد الاستغراب ويتضح هذا التشابك الغريب في التعامل التجاري الذي شهدته عمان خلال تلك الفترة من تاريخها الحديث .

خلال عهد أحمد بن سعيد

١٧٤٩ - ١٧٨٣ م

فلما تولى أحمد بن سعيد الحكم فى عمان عم ١٧٤٩م مدشنا سلالة للحكم جديدة عرفت بسلالة البوسعيد التى لازالت تحكم عمان ليومنا هذا ، فأكثر ما اهتم به ابان حكمه هو التجارة حتى وصف عهده بالازدهار التجارى اذ بلغت موارده من الرسوم الجمركية فقط ما يزيد على المليون روبيه هندية .[١]

ولقد ساعد على ذلك توافر عدة عوامل منها موقع عمان الجغرافي والذي مكنها من أن تلعب دورا مهما في الملاحة والتجارة عبر العصور التاريخية فوصفها المؤرخون القدامى بأنها بلاد الملاحة والشراع وأن أهلها أول من رفع شراعا في البحار واقتحم الأخطار فمارسوا الملاحة وكانوا الصلة بين الشرق والغرب .[٢]

ولعل من أبرز الشخصيات التى اقترن اسمها بتاريخ الملاحة وعلوم البحار هو الملاح العمانى شهاب الدين أحمد بن ماجد صاحب كتاب (الفوائد فى أصول علم البحر والقواعد) والذي يعد مرجعا من المراجع البحرية النادرة وغاية ما وصلت اليه الكتابة العربية عن الملاحة ، وقد ظل الملاحون فى المحيط الهندي يعتمدون عليه فى رحلاتهم حتى نهاية القرن الثامن عشر .[٣]

والعامل الآخر الذي أدى الى ازدهار التجارة فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر هو كون الحاكم الجديد (أحمد بن سعيد) قد منح الحرية الكاملة للتجار الأوروبيين في ممارسة أعمالهم التجارية بحيث أصبحت مسقط أهم محطة تجارية فى شبه الجزيرة العربية وبلاد فارس .

كما شجع أحمد بن سعيد العمانيين على ركوب البحر والتعامل التجارى حتى وصلوا الى مناطق أبعد مما وصلوا اليه في عهد اليعاربة ، اذ جابت أساطيلهم المحيط الهندي على امتداده وشرق افريقيا فقد اندفعت الطبقة التجارية العمانية لتساهم بفعالية فى انتعاش التجارة حيث عرف أفرادها كيفية الاستفادة من تدهور الموانىء الفارسية فضلا عن استثمار احمد بن سعيد لموارد الدولة بغية

تنشيط الملاحة والتجارة فى عمان .(٤)
لذا سنحاول القاء الضوء على النشاط التجارى فى عمان خلال هذه الفترة من خلال المحاور الآتية :
١ ـ الأسطول التجاري العماني .
٢ ـ البضائع المصدرة والمستوردة .
٣ ـ علاقات عمان التجارية .

١ ـ الأسطول التجارى العماني :

حاول أحمد بن سعيد عند تسنمه مقاليد الحكم في عمان أن يرفع من قدرة الأسطول التجارى العماني فاستغل السفن الحربية فى نقل التجارة فى الفترات التى تتوقف فيها الحروب .(٥) وكان يحصل على السفن لأسطوله التجارى عن طريق التأجير من التجار الأوروبيين فى الشرق كذلك التعاقد لشرائها من (سورات) التى تشتهر بجودة سفنها وملاءمتها جميع الظروف المناخية حتى قيل أنها تفوق في ذلك جميع السفن الأوروبية .(٦)

كما اشترى أحمد بن سعيد السفن من ميناء البصرة والموانيء العربية الأخرى داخل الخليج(٧) بينما كان يتم تصنيع بقية السفن محليا في عمان(٨) التى كانت معروفة بتقاليدها العريقة فى بناء السفن ، وقد استمرت صناعة السفن في عمان خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر في كل من صحار ومطرح وميناء صور ، وقد استخدم في بناء السفن أخشاب الساج التى تستورد من الهند .(٩)

أما الأنواع الأخرى من السفن التى يتألف منها الأسطول التجارى العماني فكانت مختلفة . منها (الداو) الذي يستخدم في المياه الضحلة للخليج العربي(١٠) ومنها سفن الشحن الكبيرة الحجم والحمولة فضلا عن السفن الشراعية والمراكب الصغيرة(١١) وكانت على أنواع منها ما يسمى ب (البدن) المتخصص بتجارة السمك ، ومنها ما يسمى ب (البغلة) المتخصص فى التجارة فى البحار العالية .

لقد بذل أحمد بن سعيد جهودا كبيرة لتعزيز أسطوله التجاري فتوسعت بذلك التجارة فى عمان بشكل كبير وصار لها أسطول مرموق(١٢) تألف من خمس عشرة سفينة من الطراز العربي المربع الهيكل وثلاثة عشر مركبا صغيرا ونحو خمس وعشرين سفينة شراعية .(١٣) وكان هذا الأسطول يزاول نشاطه في ميناء مسقط وحدها ، بينما هنالك أساطيل أخرى من السفن التجارية فى الموانيء العمانية الأخرى ، ففي ميناء صور مثلا نحو مائة سفينة تزاول نشاطها الملاحى فيه ومثلها أو أكثر فى ميناء صحار . ان جميع هذه الأساطيل تقوم برحلاتها التجارية التقليدية الى سواحل الهند الغربية واليمن والبحر الأحمر وافريقيا الشرقية ، وكانت السفن الكبيرة من الأسطول التجارى

العماني تصل في رحلاتها الى كلكتا وملاكا وبتافيا (جكارتا)[١٤] ويقدر هولى عدد سفن أسطول القهوة فقط في عام ١٧٦٥م بخمسين سفينة تقوم برحلاتها السنوية من مسقط الى البصرة ،[١٥] كما شهد ملاحو السفينة الانجليزية (حصان البحر) عام ١٧٧٥م عندما رست فى مسقط لفترة شهرين ، أسطولا تجاريا عمانيا فى عهد أحمد بن سعيد مؤلفا من عشر سفن من ذات الصوارى والأشرعة المربعة مع سبعين سفينة أخرى من نوع (جالبوت) وسفنا شراعية صغيرة وخمسين سفينة من نوع الداو .[١٦]

لقد أصبحت مسقط في عهد أحمد بن سعيد ميناء تجاريا كبيرا وسوقا لقسم كبير من التجارة بين الخليج العربي والهند ومرسى ترتاده سفن الدول الأوروبية بحيث غدا الميناء البحرى الأكثر ثراء وازدهاراً من أى ميناء آخر يقع على الخليج العربي كما جاء ذلك في تقرير المقيمية البريطانية فى البصرة .[١٧]

اذ كانت ترسو فيه السفن الأوروبية الكبيرة فى رحلاتها من الهند الى البصرة[١٨] لكونه مكانها أمينا يحميها من الرياح الشديدة ويتسع لمابين أربعين وخمسين سفينة بامكانها الابحار منه ويصل عمقه ما بين ثلاثين وأربعين قامة .[١٩]

وفضلا عن ميناء مسقط هناك مطرح الذي يقع الى الشمال من مسقط بمقدار ميلين وهو أكبر من ميناء مسقط وله اتصال بالداخل ، اذ منه تصدر الأمتعة الى الداخل ، ذلك أن السفن التي ترسو فى ميناء مسقط وتفرغ حمولتها فيه ترسل قسما منها بواسطة القوارب الى مطرح ثم الداخل لأن ميناء مطرح مفتوح نحو الشمال الشرقي .[٢٠]

كما يوجد ميناء آخر وهو ميناء صحار المهم وميناء صور الذي اشتهر بحارته بدورهم الأساسي فى تجارة القهوة ونقلها من اليمن الى البصرة عن طريق مسقط .[٢١]

وهكذا ، نجد عمان قد أصبحت بعد منتصف القرن الثامن عشر الميلادى ، دولة كبيرة تمتلك الأساطيل التجارية الضخمة والموانىء المهمة .[٢٢] فتدفق عليها التجار الاجانب بكثرة وبعضهم يمتلك رؤوس الاموال التي تبلغ الملايين[٢٣] لما وجدوه من حماية ورعاية من قبل السلطات العمانية ، اذ كان الحاكم العمانى (أحمد بن سعيد) يقف بشدة ضد محاولات تعرض السفن التجارية للخطر ومن الأمثلة على ذلك تصرفه ازاء حادثين وقعا فى عهده بشكل يدعو التجار للاطمئنان على سفنهم التجارية وبضاعتها عند تعاملهم مع الدولة العمانية ، وقع الحادث الأول عام ١٧٥٩م عندما هاجمت سفينة فرنسية احدى السفن البريطانية التجارية في ميناء مسقط فأوعز أحمد بن سعيد الى رجاله

باطلاق النار عليها وطردها من المياه الاقليمية لعمان[٢٤] والحادث الآخر ، هو ارسال احمد بن سعيد أسطوله البحري الى منطقة ما نجالور بالهند للقضاء على القراصنة في ساحل مالابار الذين يعوقون وصول السفن التجارية التى تحمل الأرز الى عمان .[٢٥]

٢ ـ البضائع المصدرة والمستوردة:

كانت التجارة بجميع أنواعها تزاول فى اسواق عمان ومناطق التفريغ فيها خلال عهد أحمد بن سعيد حيث تشمل العمليات الخاصة بالسلع الكمالية من اللؤلؤ الى تصدير واستيراد الحبوب كالقمح والقهوة والأسماك والفواكه ، كما كانت السلع الهندية المصنعة كالمنتجات القطنية خاصة من أهم بنود تجارة عمان بينما كانت السلع الأوروبية الصنع تصل اليها عن طريق الهند .[٢٦]

كان لأهالي عمان تجارة كبرى مع الداخل فهم كثيرا ما يستقبلون القوافل التى تجلب كميات من الصمغ وأنواعا أخرى من المواد الطبية وريش النعام وجلود البقر والأغنام والعسل وشمعه والمواشى ، ويرسلون مقابل ذلك من مصنوعات الهند كالورق والسكر والفلفل والزنجبيل والأرز والتبغ والقهوة .[٢٧] كما زاول العمانيون في النصف الثاني من القرن الثامن عشر التجارة العابرة اذ تصل الكثير من السفن التجارية الأجنبية الى ميناء مسقط لكى تتزود بالفواكة والخيول وتقوم ببيع الأقمشة والزيوت والحبوب والخضراوات بعدها تغادر عمان الى جهاتها المقصودة[٢٨] وهناك العديد من السفن التجارية العمانية التى تنقل البضائع من مناطق خارج عمان لتصل بها الى اماكن خارج عمان أيضا كما يحدث ذلك فى نقل القهوة من الحبشة واليمن الى العراق عبر ميناء مسقط ،[٢٩] وكما يحدث من نقل السكر والفلفل الى القطيف .[٣٠]

أما أهم البضائع التى كانت تصدرها عمان خلال فترة البحث الى مناطق شتى من العالم فتتألف من المواد المنتجة محليا والفائضة عن حاجة الاستهلاك الداخلي وأهمها التمر الذي كان يعد المحصول الاقتصادي العماني الاول .[٣١] ونوعه ممتاز وهو غلة التصدير الرئيسية ، وفي أثناء موسم جمعه وهو عادة ما يكون أواخر الصيف مما يؤدى الى ازدحام المراسى خلال الخريف بالسفن بغية تصديره فى عموم الموانىء العمانية .[٣٢] كما تصدر عمان الفواكه ومن أشهرها فاكهة المانجو المسقطية المفضلة من قبل الجميع .[٣٣] كذلك الأعناب التى اشتهرت منطقة الجبل الأخضر بانتاج أجود أنواعها[٣٤] فضلا عن بقية أنواع الفواكه كالموز والزيتون والليمون .

كما تصدر أنواعا كثيرة من الاسماك وأشهرها المعروف باسم

(التخم) و (التونة) الى كل من الشحر والمكلا وموانيء افريقيا الشرقية .[٣٥] ومن الجدير بالذكر ان الاسماك والغلات الزراعية يكونان معا الدعامة الاقتصادية لعمان آنذاك .[٣٦] ومن الصادرات العمانية الأخرى خلال تلك الحقبة من الزمن كانت العقاقير واللؤلؤ والنحاس والملح واللبان والفضة .[٣٧] وهناك من البضائع ما تصدره عمان بعد أن تم استيراده من داخل جزيرة العرب . فالصمغ وريش النعام والجلود وعسل النحل والماشية[٣٨] كما تصدر عمان الخيول والتمور والقهوة والتوابل والأدوية وهى بضائع تصلها من خارج الخليج العربي لتصدرها الى داخل الخليج العربي كما تصدر عمان من منتجاتها المحلية الأخرى الأجبان والعدس والشعير التى تنتجها مسقط والدهون الحيوانية والجير والجلود والتمور والفواكه المجففة التى تنتجها مدينة صحار .

أما البضائع التى كانت تستوردها عمان خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادى فهى تختلف باختلاف مناطق انتاجها وفي ضوء العلاقات التجارية القائمة مع بلدانها ، فواردات عمان من الهند تتمثل بالفلفل والزنجبيل والأرز والتبغ والقهوة والسكر والقماش الانجليزى وأدوات المائدة ولعب الأطفال ، اما الواردات التى تصل اليها من بلاد فارس فكانت تشمل العقاقير والنحاس وماء الورد والفاكهة المجففة والحرير والقطن والكبريت والملح بينما تتألف البضائع المستوردة من العراق من التمور والنحاس والعفص الجوزى والتبغ والصمغ والآلات الوترية وأقلام القصب والخيول .[٣٩]

وهناك البضائع التى تصل إلى عمان من أوروبا بواسطة الأسطول التجارى العمانى اذ كان يعود من رحلاته محملا بالأرز والسكر واعواد الصندل والمنسوجات والمعادن وأنواع أخرى من المنتجات الأوروبية ، كما تستورد عمان العاج وتراب الذهب من مقاطعات شرق افريقيا ومن الجدير بالذكر ان أحمد بن سعيد قد حرص خلال عهده على تشجيع التجارة واستمرارها بين عمان والممتلكات الافريقية التى .

اعترفت بسيادته ، وكان يرسل فى كل عام بعضا من سفنه لتأتى بالذهب والعاج وغيرهما من المواد من تلك الجهات كما حرص على اقامة العلاقات التجارية مع المقاطعات الافريقية التى لم تعترف بسيادته بهدف ادامة النشاط التجارى معها .[٤٠]

اما الواردات لعمان من جزيرة (موريشيوس) فكان أهمها السكر[٤١] كما أن هناك من الواردات ما كان يصل إلى عمان ليستهلك قسم منه في الداخل ويصدر الباقى الى خارج عمان مثل القهوة التى تاجر العمانيون بنصف انتاج اليمن منها ،

جـــدول
يوضح اهم البضائع المصدرة والمستوردة فى عمان خلال عهد احمد بن سعيد

البضائع المصدرة	البضاع المستوردة
التمر	الارز
المانجو	التبغ
العنب	القهوة
الموز	السكر
الزيتون	القماش
الليمون	لعب الاطفال
الاسماك	ادوات المائدة
العقاقير	العقاقير
اللؤلؤ	النحاس
النحاس	
القهوة	ماء الورد
اللبان	الحرير
الفضة	القطن
الصمغ	الكبريت
ريش النعام	العفص الجوزى
الجلود	الصمغ
العسل	الآلات الوترية
الماشية	اقلام القصب
التوابل	الخيول
الاجبان	أعواد الصندل
العدس	
الشعير	العاج
الدهون الحيوانية	تراب الذهب
الجير	الزنجبيل
الفلفل	

والسكر الذي كانوا يجلبونه من (باتافيا) ثم يمدون بالفائض منه أغلب مناطق الخليج العربي وجزءا من الشرق الأدنى وذلك لأن ما يصل عمان منه يمثل نحو نصف مجمل التجارة بين الهند والخليج العربي .(٤٢)

٣ ـ العلاقات التجارية :

شهدت فترة النصف الثاني من القرن الثامن عشر تطورا كبيرا من العلاقات التجارية العمانية وخاصة مع كل من العراق واليمن والهند وفرنسا وبريطانيا اذ يعطينا العدد الكبير من السفن التى تمر في ميناء مسقط الصورة الصادقة عن تشعب علاقات عمان التجارية وكثرتها ابان هذه الفترة،، حيث تعاملت مع « سورات » و « بومباى » و « جوا » على امتداد ساحل مالابار ومع مخاوجدة فى البحر الأحمر كما كانت تؤمها السفن من فارس والبصرة ، ومن نهر السند ومناطق كثيرة أخرى ،(٤٣) ويمكن تقسيم علاقات عمان التجارية الى :

أ ـ العلاقات التجارية المحلية :

كانت تتركز مع العراق فكان أسطول القهوة الذي يرسله السلطان العمانى سنويا يعد من الأحداث التجارية الهامة فى البصرة(٤٤) وما يصل من العراق لعمان من الواردات كان يشمل التمور والنحاس والعفص الجوزى والصمغ .(٤٥)

أما العلاقات التجارية مع فارس ولغاية عام ١٧٧٣ فكانت هناك حركة تجارية واسعة بين مينائى بندر عباس

وأبو شهر وميناء مسقط ، حيث يصل منهما لعمان النحاس العقاقير وماء الورد والفاكهة المجففة والحرير والكبريت والقطن .(٤٦) ولعمان أيضا كانت علاقات تجارية مهمة مع مخا في اليمن ، اذ كانوا ينقلون منها (٢٠,٠٠٠) بالة من البن الى البصرة ،(٤٧) وكانت هناك علاقات تجارية مع جزيرة العرب حيث يتم استيراد الصمغ وريش النعام والجلود وعسل النحل والماشية ، ويصدر لها من عمان القهوة والسكر والفلفل .(٤٨)

ب - العلاقات التجارية الدولية :

اضافة الى العلاقات التجارية المحلية ، كان لعمان علاقات تجارية دولية مهمة ، وكانت فى أول الأمر مع فرنسا حيث أدرك السلطان العماني أحمد بن سعيد منذ توليه الحكم فى عمان عام ١٧٤٩م أهمية الصداقة الفرنسية لعمان فدخل فى علاقات تجارية واسعة مع لامارتنيك ، حاكم جزيرة موريشيوس (جزيرة فرنسا) عام ١٧٦٠ وتبادل معه الكثير من الهدايا ،(٤٩) واحتفظ بعلاقات ومصالح تجارية مع وكيل الشركة الفرنسية ببغداد ، ولقد استمرت هذه العلاقات التجارية طيلة فترة حكم أحمد بن سعيد .(٥٠)

وتوضح لنا الرسالة التى بعث بها الكونت ماكنمارا قائد قاعدة بحر الهند الفرنسية الى وزير البحرية الفرنسي فى : ١٢/ تموز/١٧٧٩ مدى تطور العلاقة بين الطرفين ، اذ يخبره فيها عن تنفيذه للتعليمات الصادرة بتقديم الهدايا لأحمد بن سعيد ويذكر بأنه استقبلها وأكد رعايته للمصالح الفرنسية بشكل خاص .(٥١) ولقد كان اهتمام الفرنسيين بالعلاقة التجارية مع عمان نابعا من كون عمان تمثل لهم حليفا مقتدرا وفعالا من الناحية التجارية وكونها المحور الرئيسي لمنطقة الخليج العربي .(٥٢) وعليه ، كانت عمان تستورد من جزيرة فرنسا (موريشيوس) السكر وتصدر لها الأسماك والتمور والقهوة .

أما الدولة الأوروبية الأخرى ذات العلاقة التجارية بعمان خلال فترة البحث فهى بريطانيا ، اذ استطاعت شركة الهند الشرقية الانجليزية أن تقيم علاقة ودية مع السلطان العماني على الرغم من عدم وجود ممثل رسمى لها في عمان ، حيث رفض السلطان العماني أن يمنح الانجليز رخصة انشاء وكالة لهم فى مسقط لتخوفه من المطامع الأوروبية فى بلاده . ولقد استمرت علاقة الشركة الودية مع عمان ، وقد قرر مجلس ادارتها بلندن ، أن يكون ميناء مسقط هو الميناء الذي تلقى به السفن الانجليزية حمولتها ابان استمرار عمليات القرصنة الأمر الذي دفع بالسلطان العماني ان يوافق على أن يكون للشركة ممثل في عمان وذلك عام ١٧٧٢ .(٥٣)

لم تكن بريطانيا وفرنسا البلدان الأوروبيان الوحيدان اللذان كان لهما علاقات تجارية مع عمان ، بل كان لهولندا علاقات تجارية أيضا مع عمان خلال هذه الفترة ، ففى شهر تشرين الأول من عام ١٧٥٦م وصلت سفينتان هولنديتان تحملان بضاعة ثمينة الى عمان وهما قادمتان من باتافيا ، وقد قدم القائد الهولندى هدية من حاكم بلاده الى أحمد بن سعيد مع رسالة يطلب فيها السماح باقامة مقر تجاري ورفع العلم الهولندى فوقه ، وقد سمح السلطان العماني للهولنديين بأن ينزلوا حمولتهم ويؤجروا بيتا ملائما وأن يتركوا أشخاصا معتمدين لتسيير شؤونهم التجارية .

وأخيرا ، ونحن بصدد الحديث عن العلاقات التجارية العمانية الدولية ، لابد من التطرق للعلاقات التجارية العمانية مع الهند ، فبحكم الموقع الجغرافي كانت عمان حلقة اتصال بين الوطن العربي والهند لاسيما مع الامارات الاسلامية هناك فلقد عاصر أحمد بن سعيد حاكم حيدر أباد المدعو نظام الملك وكانت السفن العمانية تتردد على الموانىء الهندية فتعود بالأرز اللازم لحاجة أبناء الخليج العربي بأسرهم .(٥٤) كما كان هناك اتصال تجارى بين مقاطعة ميسور ومسقط فكانت حوالي (خمس سفن) تحمل علم ميسور تزور العاصمة العمانية كل عام ،(٥٥) وقد استدعت هذه الحركة التجارية النشيطة تطهير ساحل ملابار من القراصنة - كما أسلفنا - وبذلك فقد سبق العرب الأوروبيين الى تلك السياسة التى استهدفت تأمين الملاحة التجارية فى المحيط الهندي .

الخلاصة والاستنتاجات

من خلال ما تقدم نخلص للقول بأن التجارة ابان عهد أحمد بن سعيد قد ازدهرت كثيراً وذلك للأسباب التالية :

١ - موقع عمان الذي يربط بين الشرق والغرب والواقع على طريق الهند التي تعد بضاعتها ولاسيما التوابل والعطور من أنفس الواردات التي كانت تصل أوروبا يومذاك .

٢ - تولي أحمد بن سعيد الحكم وطرده للأجنبي وتوحيد البلاد وعودة الهدوء والاستقرار اليها ، الأمر الذي أتاح المجال أمام العمانيين المعروفين بميلهم لركوب البحر ومزاولة التجارة في أن يلعبوا دوراً مهماً في ازدهار التجارة في عهده .

٣ - اعتماد الأسطول التجاري على السفن المحلية حيث لم تدخل السفن البخارية ملاحة المنطقة بعد .

د. فاضل محمد الحسينى
مدرس التاريخ الحديث - جامعة الملك محمد الخامس - المغرب

المراجع

(١) قاسم ، جمال زكريا : الخليج العربي ، دراسة لتاريخ الامارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول ١٥٥٧م ـ ١٨٤٠م القاهرة ، ١٩٨٥م ، ص : ١٤٦ .

(٢) محمد ، سعاد ماهر ، الاستحكامات الحربية بسلطنة عمان ، مجلة الدارة ، العدد الثالث ، السنة الرابعة ، الرياض ، ١٩٨٢ ، ص : ١٩٢ .

(٣) حوراني ، جورج فضلو ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة يعقوب بكر مراجعة يحي الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص : ٢٣٧ .

(٤) لاندن ، روبرت جيران ، عمان منذ ١٨٥٧ مسيرا ومصيرا ، ترجمة محمد أمين عبدالله سلطنة عمان ، ١٩٧٠ ، ص : ٥٥ .

(٥) المعمري ، أحمد حمود ، عمان وشرق افريقيا ، ترجمة محمد أمين عبدالله وزارة التراث القومي والثقافة ، عمان ، ١٩٨٠ ، ص : ١١ .

(٦) أمين ، عبدالأمير محمد ، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر ، بغداد ، ١٩٦٦ ، ص : ٢٢ .

(٧) Par sons, Abraham, Travel in Asia and Africa, London - 1808, P, 207.

(٨) لاندن ، المصدر السابق ، ص : ٥٧ .

(٩) هولي ، رونالد ، عمان ونهضتها ، الحديثة ، اعداد وترجمة مؤسسة ستايس ، لندن بدون تاريخ ، ص : ١٦ .

(١٠) Thomas, Bertram, Arab rule under the Al-Bu Said dynasty of Oman,1741-1937, London, 1938 - p: 15.

(١١) لاندن ، المصدر السابق ، ص : ٥٧ .

(١٢) عامر ، عبدالمنعم عمان في امجادها البحرية ، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان ، ١٩٨٠ ، ص : ٩٦ .

(١٣) نورس ، علاء الدين ، السياسة الايرانية في الخليج العربي ابان عهد كريم خان ١٧٥٧ ـ ١٧٧٩ بغداد ١٩٨١ ، ص : ٥٦ .

(١٤) لاندن ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .

(١٥) هولي ، المصدر السابق ، ص : ١٨٦ .

(١٦) Thomas,op. cit, p:15.

(١٧) Report on the commerce of Arabia and Persia by Samuel-Manesty and Harvard Jones, 15 August, 1790

نقلا عن نورس ، المصدر السابق ، ص ٥٦

(١٨) Wellst ed, J.R., Travels in Arabia, London, N.D. Vol 1-P : 10

(١٩) Selections from the Records of Bombay, Government, New series, No - XXiV, Bombay, 1856, p: 631.

والقامة تساوى ٦ اقدام .

(٢٠) محمد ، المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

(٢١) لوريمر جون ، غوردن ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر بيروت ، ١٩٧٠ ، ص : ٦٥٣ .

(٢٢) قاسم ، جمال زكريا ، دراسة لتاريخ الامارات العربية ، ١٨٤٠ ـ ١٩١٤ ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٣ .

(٢٣) Mansur, Shaikh (Vincenzo mannizi), History of Seyd, Said, Sultan of M uscat, London, 1819, p : 23

(٢٤) Coupland, R. East Africa and Its in vaders, London, 1856 - p : 85

(٢٥) Badger, George percy" History of the Imam and Seyyids of Oman, By Salilibn - Razik, A.D. 661-1856- Translated from the original Arabic and Edited with notes - Appendices and Indroduction, continuing the history down to 1870, London 1871- P:, London 1871- P: XIV ii–

(٢٦) لاندن ، المصدر السابق ، ص : ٥٦ .

(٢٧) عمان وتاريخها البحرى ، مجلة تصدرها وزارة الاعلام والثقافة العمانية ، ١٩٧٩ ، عمان ، ص ٧٤ .

(٢٨) Welle sted, op – cit, p : 10

(٢٩) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخى ، جزء ٢ ، ص : ٦٥٢ .

(٣٠) Letter from Henry Moore to honorable gentlemen, 1.1774 - Factory Records, Persia and the gulf, Vol - 17

(٣١) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، جزء ٢ ، ص : ٦٥٤ .

(٣٢) متولى ، محمد ، حوض الخليج العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص : ٣٣٦ .

(٣٣) Parsons, Abraham, Travel in Asia and Africa London, 1808, P: 209

(٣٤) Neighbur, Carsten, Travel through Arabia And other countries in the East, translated into English By Rebert Heron, Vol - II, London, 1792, P:115

(٣٥) عامر ، المصدر السابق ، ص : ٦٩ .

(٣٦) متولى ، المصدر السابق ، ص ٣٣٥ .

(٣٧) كيلى ، جون ، / ب / بريطانيا والخليج ١٧٩٠ ـ ١٨٧٠ ، ترجمة محمد امين عبدالله ، الجزء الأول ، سلطنة عمان ، ١٩٦٥ ، ص ٣١ .

(٣٨) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، جزء ٢ ، ص : ٦٥٦ .

(٣٩) هولي ، المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٤٠) جيان ، شارل ، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقيا الشرقية نقله الى اللغة العربية ملخصا يوسف كمال ، القاهرة ١٩٢٧ ، ص ٥١ .

(٤١) العابد ، صالح محمد ، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ، ١٧٩٨ ، ١٨١ ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ١٨ .

(٤٢) امين ، عبدالأمير محمد ، المصالح البريطانية في الخليج العربي ، ١٧٤٧ ، ١٧٧٨ ، ترجمة هاشم كاطع لازم ، مراجعة مكي حبيب المؤمن ، مركز دراسات الخليج العربي ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ٢١١ .

(٤٣) Parsons, op Cit, p : 207

(٤٤) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، جزء ٢ ، ص : ٦٥٢ .

(٤٥) هولي ، المصدر السابق ، ص ١٨٦ .

(٤٦) امين المصدر السابق ، ص ص : ٢١٠ ـ ٢١١ .

(٤٧) بيدويل ، روبين ، عمان في صفحات التاريخ ، ترجمة محمد امين عبدالله ، مراجعة عبدالمنعم عامر ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٨٠ ، ص : ٢٦ .

Letter from Henry Moor to Honorable Gentle men, 1 May, 1774 – (٤٨)
F.R, Vol, 17

(٤٩) روت ، رودولف سعيد ، سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان ، ١٧٩١ ـ ١٨٥٦ ، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسى ، مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٨٢ ، ص ١٧٧ .

(٥٠) مايلز ، س ، ب ، الخليج بلدانه قبائله ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، وزارة التراث القومى والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٨٢ ، ص : ٢٢٦ .

(٥١) بالو ، ايزابيلا ، عمان وفرنسا ، صفحات من التاريخ ، ترجمة السيد خزعل ، مطابع شركة تيب ، باريس ، بدون تاريخ ، ص : ٦ .

Skeet. Ian, Muscat and Oman, the end of an era, London 1974. P : (٥٢)
40

(٥٣) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخى ، جزء ٢ ، ص : ٢٥٣ .

(٥٤) العقاد ، صلاح ، التيارات السياسية فى الخليج العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٥٢ .

(٥٥) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، الجزء الأول ، ص ص : ٢٥٣ ـ ٢٥٤ .

رحـــلة مشبوهــة من الهنـد إلى إنجلترا

صُورة عن الخليج في أوائـ

كيف شوّه الرّحـالة الإنجليـز

هذا التقرير ليس وصفا لاحد الرحالة كما يدعى مؤلفه الملازم الانجليزي ويليام هايد . وانما هو تقرير اعده احد الضباط الانجليز وهو تقرير يؤكد في كل حرف منه ان هذا الضابط كان جاسوسا وان المهمة التى كان مكلفا بها هي رصد القلاع وجمع اكبر قدر من المعلومات عن موانىء المنطقة والقوى البحرية في الخليج . التقرير لا يأتى بجديد عن تاريخ المنطقة ولكن القيمة التى دفعتنا لنشره هي عرض صورة من التقارير التي كان يكتبها الموظفون الانجليز منذ اكثر من ١٧٠ عاما وكيف فهموا المنطقة من وجهة نظر خاطئة وكيف شوهوا تاريخ الكثير من المدن والقرى وكيف كان ابطال البحر العرب الذين يدافعون عن مياههم قراصنة من وجهة نظرهم . ذلك لأن هذه التقارير لم تكن فقط السبب في هجوم الكثير من القوى الطامعة بعد ذلك على المنطقة وانما كانت للاسف احد المصادر للكتب والمؤلفات التى كتبت عن المنطقة فيما بعد ونقلت الكثير من الاخطاء التى وردت فيها دون محاولة للتحليل او حتى للفهم .

[الوثيقة]

ل القرن التاسع عشر

تاريخ الخليج بأفكارهم المغلوطة؟

بقلم الملازم وليام هايد

غادرت ميناء بومباى يوم السبت ٢٦ اكتوبر ١٨١٦ مودعا المشاهد المألوفة التى تركتها ورائى والتى بقيت اتذكرها طويلا بأحاسيس الحزن والبهجة معا ورغم انى كنت متوجها الى بلادى واهلى تاركا بلدا غريبا الا انى ذكرت عددا كبيرا من الاصدقاء المخلصين الصادقين مما اصابنى بموجة من الحنين الاليم مشوبا بآمال عريضة في المستقبل .

وكانت مغادرتى مفاجئة بصورة لم اكن اتوقعها . وعندما اعددت نفسى مبكرا للسفر الى البصرة بطريق البر واضطررت للتخلص من عدة امتعة شخصية لتخفيض الوزن واقتصرت على اخذ بعض الملابس فقط وقمت بفحص دقيق للاسلحة المخصصة للدفاع عن النفس ظننت بأنى اكملت كافة الترتيبات اللازمة للسفر ولكن ظهر ان بعض الترتيبات يأخذ وقتا اطول مما كنت اتوقعه ويتطلب تذليل صعوبات كثيرة ومضنية وقد دهشت عندما عرفت بأن السفينة سوف تغادر في الساعة العاشرة من نفس اليوم ولما خرجت من خيمتى رأيت السفينة «فضل كريم» بعيدة عن الشاطىء ووجدتنى في موقف حرج جدا اذ شعرت بضرورة اختيار ربان السفينة باهتمام بالغ بدلا من الاهتمام بنوع السفينة وهذا درس يجب ان يتعلمه المسافرون الآخرون جيدا لاننى سبق ان تعرضت لعدة مشاكل ومتاعب

بسبب اختياري هذه السفينة مرات عديدة ،لقد سبق لي ان تلقيت اخطارا بأن موعد السفر سيكون يوم الاثنين القادم وقد فوجئت بتقديم الموعد دون مبرر او سبب مقنع فاندفعت الى اتمام الاجراءات الرسمية المطلوبة بسرعة فائقة . وساعدني صديق حميم لي في الحصول على الشهادات الرسمية من الجهات المختصة مثل شهادة تصفية الحسابات وشهادة الهوية الشخصية الخ .

وركبت زورقا من الزوارق الصغيرة لتوصيلي وتوصيل امتعتي الشخصية للسفينة وهذا نظام يتم تحت اشراف الكابتن «كيس» وهو رجل متعاون ويتمتع بخلق كريم وتتميز هذه الزوارق بمتانتها ومهارة طواقمها وسرعة انجاز مهامها بأمن وامان ويمكن اعتبارها احسن ما يوجد في المنطقة كلها وقد وصلنا الى السفينة بعد حوالى اربع ساعات في البحر ولم تكن الشواطىء مرئية عندما اقتربنا من السفينة . وكما عرفت فيما بعد فإن ربان السفينة لم يكن على علم بما يدور حوله او مستعدا ليرحب بنا على متن السفينة حتى انه لم يكن يعرف سببا لوجودي هناك وتجاهل اشاراتنا له وعلى كل حال عندما ركبت السفينة اخيرا وتعرفت عليه اعتذر لي ودعاني الى كابينته وقدم لي الشراب .

وفي صباح اليوم التالى ٢٧ اكتوبر ١٨١٦م اتيحت لي الفرصة لأرى اوضاع السكن وسلوكيات الطاقم الذي تكون من عدة جنسيات ومدى الانضباط بين أفراده ونظرا لان السفينة كانت سفينة عربية فلن يواجه القارىء في بومباي أو الخليج أية صعوبة في تصور تجهيزاتها واقتصر على القول بان السفن التجارية العربية المستخدمة في الخليج كان يتم تصنيعها وتسييرها طبقا للنظم الانجليزية ويقودها ربان أوروبي بمساعدة شخص أو شخصين وكان هذا يضمن لها استخدام العلم الانجليزي والحماية الانجليزية مع ان صاحب السفينة عربي وعلى الرغم من ان السفينة العربية كانت أقل في امكانياتها من السفن التجارية الغربية المماثلة إلا أن ترتيبات السكن على متنها كانت مريحة اكثر وذات مزايا متنوعة .

السفينة «فضل كريم» سفينة عربية ذات حمولة قدرها ٣٥٠ طنا وعليها ٥٠ مستخدما في شتى المهن و٩٠ مسافراً منهم ٣٠ فارسيا في غاية النشاط والحيوية والباقون من اجناس مختلفة كالعرب والاتراك واليهود والنصارى من حرف ومهن متنوعة فمنهم التجار وزوار كربلاء وتجار الخيل والعساكر والعبيد وكان هؤلاء الناس قد وصلوا الى بومباي من شتى انحاء العالم وكانوا في طريقهم الى اماكن مختلفة ايضا .

لا أريد ان اذكر التفاصيل المملة عن الروتين اليومي واقتصر على ملاحظاتي الدقيقة عن سلوك الانسان

لأن دراسة الانسان في الحقيقة هي دراسة الانسانية جمعاء وقد كان عندي فراغ كاف لاتولى هذه الدراسة المتنوعة الأبعاد . لقد وجدت بعد وقت قصير ان المسئول عن الأثاث والشحن اسمه سيد قادر ومعه اثنان من المعاونين الاتراك ذوي ذكاء وخبرة فوق العادة وكان لديهم معلومات وملاحظات قيمة ومتنوعة وكان واحد منهم يتكلم الفرنسية بطلاقة ويتظاهر في تصرفاته بأنه أوروبي واكتشفت فيما بعد ان كثيراً من الناس يمارسون هذا التظاهر ويتجول بيننا عدد من الناس من هذا النوع بحرية كاملة وهم ذوو لحية وعمامة ويتظاهرون بانهم مسافرون وليسوا مستخدمين في السفينة . ولا يعرف أحد في السفينة حسابات وقياسات خط الطول وعرفت من ربان السفينة بأنه أمر غير ضروري لأن الشواطىء العربية تبرز للعيان وتحدد له المسار دون تعب . وهكذا أمضينا ١٢ يوماً دون مفاجآت تذكر ما عدا رؤية قارب أوقاربين قالوا انهما للقراصنة ولا اعرف سببا لاطلاق هذا الاسم على القاربين وهل كانا للقراصنة فعلاً أم لا ، وحسب توقعات ربان السفينة فقد ظهرت الشواطىء العربية في السابع من نوفمبر ورأينا امامنا عند طلوع الشمس أحد المعالم المعروفة المسمى «ثغرة الشيطان» على بعد ٦٠ ميلاً من مسقط وهي الميناء المقصود وكان الموقع مضاداً للريح ولم يكن هذا الوضع ملائماً من الناحية الملاحية وأظنه كان السبب لتسمية المكان «ثغرة الشيطان» باعتبارها رمزاً لسوء الطقس ورداءة الرياح والعواصف التي يتبعها الهدوء التام .

إنني مقتنع بأهمية بذل الجهد وكسب القدرات والحملات الاستطلاعية لاحراز أي نجاح في أي مجال ، فالمسافرون احيانا يجدون أنفسهم مضطرين الى البقاء على سفن تجنح في مياه غير آمنة اذ تقع هذه الاماكن خارج نطاق خط سير السفينة . وقد وجدنا انفسنا مضطرين الى البقاء في مياه «ثغرة الشيطان» من ٧ الى ١١ نوفمبر مما اضعف معنوياتنا وشعرت بأنى مثل «السندباد» اتمنى ان تأتى معجزة وتنقذنا من هذا الموقف الحرج . وقد حدثت المعجزة فعلا وتمكنا مواصلة السير صباح يوم ١٢ نوفمبر .

وسمعت تفاسير كثيرة لاسباب تعرضنا لهذه المشاكل اثناء حركتنا المتعرجة التى نقلتنا خارج نطاق حماية الخليج المذكور لكن الاتراك لا يفكرون بطريقتنا وفي رأيهم ان السبب راجع لسوء حظنا وأنه يعود الى الجرائم والذنوب التي ارتكبها واحد ما على متن السفينة من بين افراد الطاقم أو الركاب .

وقال فضل كريم بأنه عقاب فرضه الرسول الكريم (ﷺ) على الجاني واقترح الوضوء على الجميع في صباح ١٢ نوفمبر . وكان البحر قادراً على

تنظيف المعاصي مهما كان حجمها وقال الاتراك بانه ما دام الجاني موجوداً على متن السفينة فقد تتعرض للكوارث المفاجئة وعندما تحسن الطقس في ١٢ نوفمبر شاهد الاتراك عربياً ويهودياً يغيبان عن موقع سارية المركب فاتهموهما بالذنوب والمنكرات . وقال واحد من الأتراك وهو يمر بيده على لحيته : «ان التزامن بين مغادرة الاثنين وتحسن الطقس يجعلهما حدثان مترابطان ويثبت اجرام الرجلين» وكان هو التفسير الوحيد للحادث الذي قدمه هذا الرجل المسن وأصبح الحادث نفسه نسياً منسياً بعد بضع ساعات .

ووصلنا الى مسقط في ١٢ نوفمبر ظهراً واثناء الدخول الى الميناء راينا ٢٥ مركبا في طريقها الى بومباي تقودها الفرقاطة العربية «كارولين» وعلى متنها ٤٠ مدفعاً .

كما كانت هناك سفينتان كبيرتان رستا في المضيق وهما انجليزيتا الصنع بينما كان يتم تفريغ حوالي ٣٠ أو ٤٠ مركبا من شحناتها المكونة من التمور والملح والارز والبضائع المختلفة . واضطرت سفينتنا للبقاء في الميناء عدة ايام كي تتمكن من تفريغ شحنتها القيمة. وعلى الرغم من احتجاج أفراد الطاقم قرر ربان السفينة أن يرسو بها في مكان يقع في مدى المدافع الشمالية وهو قرار خاطىء كما ثبت من الأحداث التي وقعت فيما بعد .

تقع مسقط على الساحل الشرقي للجزيرة العربية على خط العرض ٢٣° ٣٨، شمالاً وخط الطول ٥٧° ٢٧، شرقا وهي في عمان الخصبة ، وجاء ذكرها في كتابات «اريان» وكان الاغريق على علم بها إلا أنها لم تكن ذات أهمية حتى احتل الفرس هرمز عام ١٦٢٢ ولجأ اليها عدد كبير من سكان هرمز ومنذ ذلك الوقت نالت شهرتها كميناء ممتاز وأصبحت مركزاً تجارياً هاماً وتوفرت لعدد كبير من السفن ميزات ميناء واسع ذي سعة كبيرة . وكانت عمان بلاد العلم والمعرفة والقصص الرومانسية وأشياء غريبة مما أثار في قلبي روح الاستطلاع فنزلت الى الشاطىء راكباً زورقاً خفيفاً وكانت الروبية عملة مرحبا بها لدى العبيد الافريقيين الذين كانوا يجدفون في هذه الزوارق بالاجرة .

وعندما نزلت الشاطىء وجدت كلا من دار الجمارك والقصر والمنطقة المجاورة مكتظة بالعرب من كل مكان وقبيلة ومعهم اليهود والهندوس والبلوش والاتراك والافريقيون . وكل منهم يحمل سلاحاً . وكان العربي يحمل حسب تقاليد قبيلته نوعاً من الرماح والجندي البلوشي العاري الصدر نوعاً من السكين المنحني أو السيف ، والبدوي يلبس غترة مخططة حول الرأس وهو خشن في منظره أو مراقبته وعيناه ملتهبتان سريعتا النظرات ووجهه قلق ويبدو

كأنه السيد على ما يراه حوله دون منافس وهو خارج القانون او الانضباط ويتناثر شعره الاسود مع الرياح مما يزيد في خشونة منظره.

وتجولت بين هؤلاء الناس المتعددي الالوان والاجناس والصفات وأنا اجنبي غريب يتجول بينهم وكل واحد منهم مزود بسلاح سبق ان استخدمه بعنف في مناسبات عديدة . لكني لم أتعرض لأدنى تصرف غير لائق منهم قط حتى صادفت الارقاء الافريقيين الذين كانوا يعملون في حارة وراء المدينة . واعتبر هؤلاء بانني رجل غير مسلح ووجهوا اليّ نظرات وكلمات حقيرة مهينة ولما أشرت الى المسدس الذي كان مخبئا في حزامي لزموا الصمت وكثيراً ما يتعرض الأجانب غير المسلحين الذين يصادفون هؤلاء العبيد خارج حدود المدينة لاعمال النهب والاغتصاب .

وعندما رأى العبيد بأنني رجل مسلح يستطيع ان يدافع عن نفسه ويعرفني بعض الناس تجاهلوني وواصلوا اعمالهم . وقد رجعت الى مكتب وكيل السفينة في المدينة كي احصل على خدمة مرشد ومترجم ليرافقاني.

وسرعان ما رتب لي الوكيل «غلام انداس» مرشدا وخادما وواصلت جولتي في البلد معهما ظهراً فزرت السوق مرة ثانية وكذلك قريتين صغيرتين ومسجداً سمح لي بالدخول اليه دون اعتراض خلاف التقاليد المتبعة في الأماكن الأخرى وينتمي المساقطة الى مذهب الاباضية أو بوجاسية (ويسميهم البعض الخوارج) والاباضيون متسامحون الى درجة كبيرة وبسطاء في سلوكهم وسيرتهم ولا يبدون أي تفرقة بين دين وأخر ولا يفرقون بين آل البيت النبوي .

ولما رجعت مساءً عن طريق سوق الارقاء وجدت ان العبيد يباعون مرات أسبوعياً بواسطة المزاد العلني أو المقاولات . ووقفت عند محل يتاجر في الرقيق . ورأيت حوالي ٢٠ أو ٣٠ عبداً افريقيا جاءوا عبر الصحراء من زنجبار مصطفين على جانبي السوق وظهر بأنهم روضوا انفسهم على قبول وضعهم ولم يكونوا يلبسون الا قطعة قماش حول الوسط فقط استجابة لرغبة أسيادهم وزبائنهم ورأيت الزبائن يمشون أمامهم ويختبرون أجسادهم وجلودهم بأصابعهم بدقة بالغة ... وشاهدت عربياً طويل القامة يعرض صبيا عمره ١٠ سنوات أو ١٢ سنة ويصرخ بسعره بصوت جهير مع مواصفاته . وعندما اقتربت منه قال باللغة الهندية «٤٠ دولاراً» ولك كل الحقوق منه أما أن تطعمه أو تجوعه أو تتبناه ولداً لك . ثم خاطب الصبي وصرخ في وجهة «ارفع نظرك يا شرير ! الفرنجي سيشتريك وهو رجل غني ويملك ثروة كبيرة» فرفع الصبي نظره وهو يمسك يد صاحبه . واشتراه أخيراً عربي مسن . ورأيت هذا

العربي يفحص اسنانه أيضاً وسمعت ان الأسنان تتعرض لعملية اعداد بواسطة برد تعدها لاكل لحوم البشر .

ان ذكر هذا الموضوع طبعاً يلفت النظر الى وجود ظاهرة الرقيق وآثارها في البلاد المسلمة التي زرتها لانني اتيحت لي الفرصة لأدرس جوانب عديدة لحياة العبيد في البيوت وسلوكيات اسيادهم في الأماكن المختلفة . وفي مسقط رأيت ان العبيد يتلقون دون شك معاملة لطيفة وانسانية وكانت أشق الاعمال التي يقومون بها هي تسيير القوارب الصغيرة لنقل الركاب الى السفن وهو عمل يعطي قسطاً من الراحة وليس بشاق عليهم . ويعيش العبيد في مسقط مع اسيادهم ويأكلون ويشربون معهم ومثلهم ولا يعرضون للبيع مرة ثانية الا في حالات سوء سلوكهم او سوء تصرفهم وفي الحقيقة ان كان العبد صادقاً وفياً فان سيده يقدره تقديراً بالغاً ولا يفارقه الا في حالات استثنائية ولا يسلمه الا لصديق حميم له على المستوى الشخصي .

١٣ نوفمبر ١٨١٦م : لم اعرف متى نغادر مسقط فقررت ان استغل الوقت المتاح لي بأحسن طريقة وأزور الامام في اليوم التالي ثم اقوم بزيارة المنطقة الداخلية اذا حصلت على حرس شخصي لهذا الغرض كذلك قررت زيارة بعض الحدائق والعيون الحارة ذات الفائدة الصحية في اليوم التالي أي ١٤ نوفمبر ١٨١٦م . ولم يمض وقت طويل حتى اكملت الترتيبات المبدئية ووعدني التاجر الهندي بأنه سيزودني بالملابس اللازمة ومرشد وحصان وبعض العملة المحلية مما يضمن لي الأمان والحماية الا اذا قررت الاعتماد على قوة السلاح واستشرت مضيفاً محلياً . فنصحني بالاحتراس والحكمة بدلاً من السلاح والقوة ولما نزلت الشاطىء في ١٤ نوفمبر صباحاً وأنا في زي رسمي تلقيت احتراما واهتماما من الناس أكثر مما تلقاه منهم ربان السفينة ولم أشعر باي صعوبة في الوصول الى الامام وافسح الخدم الطريق لي حيث كان الامام جالسا في شرفة مفتوحة يهتم بالأعمال الرسمية وحوله الوكلاء والكتاب وعدد من العبيد . كان الامام هو السيد سعيد ، وهو في خريف العمر وحسن المنظر وحسن السلوك وكان قد عرف ممن حوله مسبقاً باني ضابط بريطاني كما كان على علم بمهمتي فقام من مقعده ليرحب بي عند دخولي واستفسر عن صحتي واحوالي الشخصية كالمعتاد لدى المثقفين واضاف قائلاً بانني لم اكن الضابط البريطاني الوحيد الذي زاره قبل سفره بل لقي عدداً منهم اما عند البداية واما بعد السفر عند العودة وذكر اسماء هم واثناء الحوار الذي جرى بيني وبينه تطرق الى كلام ودي لطيف غير رسمي وامتدح الانجليز بقصد ارضائي وذكر مدى اعجابه

بقـوة الانجليز وهيبـة البحـريـة الانجليزية وأراد بهذا الكلام ان يقنعني بأنه واسع الاطلاع على هذه الأمور ثم اشار الى حجز سفينة عربية من قبل الانجليز وهي تنقل العبيد وقال بأنه أمر بسيط وليس له أي أهمية ويمكن تسويـة الموضـوع بسهولة (كان ينتظر ملاحظاتي حول تسوية الأمر) لكني لم اتقدم بأي تعليق وأبديت رغبتي في المغادرة فودعني بحفاوة بالغة متمنياً لي دوام التوفيق والعافية وأمان الله ، وطلب مني ان أخبر الشركة (السلطات الانجليزية) عن اللقاء الذي تم بيني وبينه وانقل تحياته للأمير جورج .

عندما ذهبت الى التاجر الهندي وجدته يتكلم مع اثنين أو ثلاثة من العرب وقدم واحداً منهم كمرشد يمكن لي الاعتماد عليه وأضاف قائلاً بأنه سيزودني بثلاثة خيول لمدة ثلاثة أيام مقابل ٢٠ قرشا وهكذا بدأ التعامل بيننا . وجاء الشخص المذكور بثلاثة خيول فعلاً ركبنا الخيول وانطلقنا في رحلة مضنية غير مثمرة وفاشلة . وكانت المنطقة الداخلية جرداء وكئيبة وبائسة للغاية وسواحلها صخرية دون أدنى اثر لاعشاب أو أشجار أو نبات حول مسقط باستثناء بعض أشجار النخيل بالقرب من آبار الماء الواقعة في جنوب وغرب المدينة . ولما عبرنا الجبال التي تحيط بوادي مسقط تغير لون الصخور الى أرض حمراء صلبة قاحلة واستغرب العربيان اللذان كانا يرافقانني باني لا افهم حتى كلمة واحدة من كلامهما .

وعقب قطع ١٠ أميال وجدنا انفسنا على أرض مرتفعة مع اننا لم نجد منحدرات صخرية مفاجئة كانت تعرقل حركتنا الى الآن ومررنا ببعض الخيام والأكواخ قبيحة المنظر على الجانبين ووصلنا الى قرية صغيرة حيث كانت بعض النساء يعملن دون حجاب في العراء وأخذن في الجرى عندما شاهدننا وهن يصرخن بصوت جهير «اللصوص ، اللصوص» وبكل صراحة لم يكن منظرنا يجلب احترام الناس خاصة مظهر الرجلين اللذين كانا معي فهما في ملابس ممزقة وقذرة للغاية ورغم ذلك تساءلت يا ترى هل هذا التصرف يدل على كرم ضيافة القبائل الذي سمعنا عنه ؟ ونحن لم نظهر في سلوكنا أو تصرفنا بأن نوايانا غير شريفة ولم يزد عددنا على ثلاثة فقط وعلى كل تذكرت ان النساء على العموم يبدين الخوف من الاعتداء الجنسي أو على الأقل يتظاهرن بالخوف كرد فعل متوقع منهن فانتظرنا حتى خرج بعض الرجال بعد ان سمعوا صرخاتهن وعقب حديث قصير بيننا سمحوا لنا بالترجل من خيولنا حتى نأخذ قسطاً من الراحة بعد سفر دام اربع ساعات بسرعة بطيئـة جداً وظننت ان هذا المكان يوفر لنا فرصة للاستراحة وبعض الأكل كي نستعيد حيويتنا ونشاطنا لحد ما لكني أصبت بخيبة الأمل عندما لم يقدم لنا حتى

الماء ليطفىء ظمأنا وكما يبدو فإن الرجلين اللذين كانا معي لم يكن عندهما اي استعداد لضرورة الراحة أو الأكل والشراب وتعاملا معي كانني كائن أصم وأخرس وحاولا أن يكلماني بالاشارات والرموز دون استخدام كلمة واحدة . (اظن انهما لجأ الى هذه الحيلة قصداً ليخدعا القرويين) . وقد تصرفت طبقا لهذه الظروف ولم انطق على الاطلاق خوفا من رد فعل القرويين اذا اكتشفوا هذه الحيلة .

وبعد حوالي ساعة من الجلوس والقيام في العراء قام عجوز ليرافقنا على قدميه وكانت لحظات الغروب تقترب بسرعة ولم أستطع ان اسألهم عما هو المقصود الآن لاني كنت اعرف كلمات مفردة فقط وليست جملا ولم استطع ان أسألهم عن المكان الذي كانوا يتـوجهون اليـه والقصدمن المغامرة العديمة الجدوي المقبلة . وما كان بيدى الا أن اعتمد على أمانة المرشد الذي رافقني وكلما تقدم الليل زاد القلق وندمت على تصرفي في الاندفاع الى مغامرة محوطة بالمصائب دون أدنى احتمال لمصادفات سارة أو مفاجئة قد تعوضني عنها واصابتني خيبة الأمل والضجر عندما لم أر حولي الا العزلة والفقر وعلى كل واصلنا الركوب لحوالي ٦ ساعات حسب تخميني لأنني تـركت ساعتي في السفينة خوفا من الحوادث المحتملة واعتمدت على التخمينات فقط . وكانت معنـوياتي منخفضـة جداً بسبب الجوع والعطش والتعب وفجأة وجدنا انفسنا أمام قرية اكبر من القرية السابقة واخبرني المرشد باشارات باننا سوف نمضي باقي ساعات الليل فيها .

ورقدت على الأرض الصلبة دون أكل أو شرب أمام مبنى كبير مربع علمت فيما بعد بأنه لأمام مسقط .

ولما استيقظنا في الصباح حاولت جذب انتباه مرافقي بأني عطشان وفي أشد حاجة الى الماء فاشرت الى فمى عدة مرات وتمنيت ان يجلب الماء والتمر فجاء بهما فعلاً وجاءت عجوز بقطعة خبز من الشعير سوداء اللون وقدمت لها قرشاً واحداً لكنها رفضت قبوله ولما طلعت الشمس وجدت القرية أكبر مما كنت اتصورها وكان أمام المبنى حوض مزود بماء من عيون كانت حوله كما كانت في ضواحيها اشجار النخيل والرمان كانها بيت بحديقة حوله وبعد ان تفقدت الموقع واكلت ما قدم لي وأطفـأت حبي للاستطلاع جاء مرافقي بالخيول لمواصلة ركوبنا غرباً لكني أشرت له بحزم بعدم رغبتي في مواصلة الركوب أكثر من ذلك وسرت بعض الأقدام في اتجاه معاكس كي أعبـر له عن تصميمى على العودة من حيث جئنا .

ورجعنا بالفعل بطريق أقصر استغرق ثماني ساعات وكان الطقس حاراً رطباً وكنت منهكاً ومرهقاً الى أقصى درجة دون أكل أو شرب أو نوم ووصلنا الى حيث بدأنا مغامرتنا الشاقة في المساء

التالي .

وفي ١٦ نوفمبر ١٨١٦م في الساعة الثامنة صباحا وصلت سفينة من البصرة وهي سفينة عربية تسمي «خسروي» حمولة ٣٠٠ طن وجاء ربانها الى متن سفينتنا ليستلم الرسائل الموجهة له من بومباي ولينقل لنا اخبار البصرة وانتهزت الفرصة لزيارة الشاطئ ثانية معه وفي قاربه على الرغم من انني كنت لاازال اشعر بالتعب وخيبة الأمل الناجمة عن مغامرتي الأخيرة . وبدا ان سوء الحظ كان يطاردني فعندنا بدأت جولتي في السوق اشتدت الرياح وتحولت الى عاصفة خطرة وكنت قلقاً على كيفية العودة الى السفينة لأنني ما كنت واثقاً بكفاءة قائدها وكان بالامكان ان يتركني على الشاطىء ويبحر فاستأجرت قارباً مقابل دولار كامل كي يوصلني الى السفينة ولكن تلاطم الأمواج في البحر كان مخيفاً ورفض صاحب القارب قائلاً بان المد والجزر الشديد يشكلان خطراً كبيراً على سلامة القارب الصغير وكلما زاد الخطر زاد قلقي ورغبتي في ان أعود الى السفينة في أقرب وقت ممكن فاستخدمت كافة أساليب التهديد والتعويض لأحث العبيد على الابحار حتى حاولوا ذلك لكن الظروف كانت قاسية وكنا نكاد نغرق لولا النجدة التي وصلت من السفينة «خسروى» من حسن حظنا .

وركبت اللانش الذي جاء لمساعدتي ووصلت الى سفينتي بصعوبة كبيرة وعندما صعدت الى السفينة وجدتها في حالة يرثي لها بسبب اختيار ربانها موقعاً غير ملائم تماما فقلت لنفسي «كم كان حسناً لو بقيت على الشاطىء ليتني عرفت وضع السفينة قبل ان احاول الوصول اليها بالقارب ، وللعلم فان ربان السفينة كان مصراً على اختيار مرسى السفينة منذ البداية وكان قد فقد اعصابه الآن كئيبا وحزينا للغاية ونموذجاً مجسداً لليأس وفقدان الأمل وينوح على حظة السيء والخسائر المرتقبة التي سوف يتكبدها وكانت السفينة تنجرف نحو الصخور دون أن يستطيع احد التحكم فيها وواجهت خطراً محققاً فعلاً وكان زميله واقفاً معه وهو يدخن ولا يبالي بما يحدث حوله وكان يعكس نوعاً من الثقة والأمل كبحار محنك . وكانت المرساة قد تحركت من مكانها وأمسكت في موقعين أو ثلاثة مواقع وكان من المحتمل ان تمسك في موقع ما وتستقر . وقدم الرجلان مثالين متباينين في مواجهة الخطر ولولا الملابسات الخطرة لهذه الدرجة لكان الوضع يثير الضحك . قال زميل الربان : «لا يمكن لنا أن نعمل شيئاً ما في هذه الظروف لأنه لايمكن رفع المرساة من مكانها وليست هذه أول مرة أواجه مثل هذا الموقف بل هي المرة الثالثة وبدأ يرد على اسئلتي بمنتهى الهدوء واللامبالاة متجاهلاً الخطر الذي كنا فيه وذكر كيف أنه قرر

الابحار هذه المرة والقصد منه وكيف يريد أن يتصرف فيما بعد وكيف نجا في المرات السابقة وتفاصيل خط العرض وخط الطول والاتجاة وسرعة السفينة الخ وهو ينفث الدخان من حين الى آخر ثم توقف فجأة وقال «تماسكت المرساة الآن هلابنا» وجرى الى الوراء وهو يمسك الحبل بنشاط وسعادة وحيوية تامة وحركة سريعة ذكرت هذا الحادث بالتفصيل تقديرا لهذا الملاح الشجاع . فقد شاهدت هذا الملاح يلزم الهدوء والاعتماد على النفس بشجاعة في مواجهة خطر بالغ ممثلاً البواسل والأبطال الذين تدوم ذكرى أعمالهم الجليلة ومثابرتهم الى الأبد وكنا في ذلك الوقت نمسك بخيط ضئيل من الأمل تحت تصرف القضاء والقدر الذي قد يقضي بالموت أو الحياة وأن فترة انتظار المجهول مخيفة أكثر من مواجهة الموت نفسه وقد نجونا من الكارثة مؤقتا لكننا قضينا الليلة في خوف وقلق حول مصيرنا فلم تكن عندنا الامرساة واحدة وكانت الصخور قريبة جداً من مؤخرة السفينة ومع كل حركة في المياه حولنا كانت سفينتنا ترتفع الى مستوى الصخور العلوية وتنزل الى الصخور السفلية تحت الماء على التوالي مما يهدد سلامة السفينة ومن عليها وبعد مضى ساعات في هذه الاوضاع غير المستقرة عاد الهدوء بطلوع الفجر وطلعت الشمس ساطعة على ظهر المركب غير ان البحر كان لا يزال ثائرا حولنا وعاد معظم ركاب السفينة الى ظهر المركب باستثناء المملوك الذي كان يعرف عدة لغات والسبب في عدم حضورة يرجع الى تعليمات تلقاها من البصرة بالبقاء في موقعة حتى موعد مغادرة القافلة التي كانت قد دخلت الى مخا أو القصير وذلك كان وشيكاً .

وقبل أن نغادر مسقط كان يجب علينا أن ننظر اليها كمستودع رئيسي في الخط التجاري على الرغم من ان صادراتها اقتصرت على التمور من نوع رديء وسبعة أو ثمانية آلاف كيس من البن وكمية من الكبريت والأصباغ وبعض الخيل والجمال وسبائك ذهبية أو فضية مقابل مشترياتها من البضائع الهندية. وعدد سكان مسقط متغير من حين لآخر وهي مدينة نشطة جداً وتتعرض لتدفق الزوار من الاجانب وتظهر أكبر من حجمها الأصلي وعلى أقل تقدير لا يقل عدد سكانها عن ٣٠,٠٠٠ نسمة بما فيهم الأجانب اذا أخذنا بعين الاعتبار عدد السكان في مدن أخرى ومساحات تلك المدن وطرز بيوتها سعة وارتفاعا وأسلوب المعيشة والمساحة التي هي في الغالب غير مأهولة. وأظن أن عدد سكان «مطرح» يبلغ حوالي ١٠,٠٠٠ نسمة والقرى المجاورة حوالي ٧٠٠٠ نسمة فأحسن تقدير لعدد السكان من حيث المجموع هو ٤٧,٠٠٠ نسمة.

وفي عام ١٦٥٠م بنى البرتغاليون تحصينات فيها وسبق لهم أن

استقروا فيها لمدة ٣٠ سنة وكانت قلعتهم قوية البنية في مظهرها الخارجي لكن في رأيي أن مدافعها لم تكن في مواقع سليمة ولم تكن في وضع يسيطر على الداخل عند الهجوم عليها من حيث مدى الرؤية وأظن أن المظهر الجانبي للقلعة لا يعطي لها مزايا دفاعية قوية بل ان المرتفعات المحيطة بها تجعل الدفاع عنها متعذرا حتى ولو تغيرت مواقع المدافع التي تدافع عن الداخل.

وعلى العموم فإن مظهر المدينة ومبانيها غير مثير للاعجاب وتقوم مسقط بدور المستودع التجاري لتوزيع السلع وعلى هذا الأساس تزورها عدة سفن كما يزورها الناس من جميع بقاع الجزيرة العربية. وأسواقها المغطاة مزودة بسلع متنوعة وبكميات كبيرة مما يدل على الثروة والرخاء والنشاط التجاري الى حد كبير. وأما الطقس فعلى سبيل المقارنة يمكن الاشارة الى أن درجة الحرارة في عرض البحر هي ٨٢° وفي الميناء ٨٦° بينما تصل الى ٩٠° داخل المدينة. وككل لم تكن أسوأ من بومباي في هذا الفصل من السنة بالذات لكن الحر يزداد في أشهر يونيو ويوليو وأغسطس مما يجعل من الاستحالة على المارة التجوال في الشوارع علاوة على الأضرار التي تترتب على الصحة عامة في هذا الموسم ومع ذلك تنتج البساتين هناك بعض الفواكه ومنها البطيخ والعنب والرمان من أحسن نوع نكهة وطعما. ويمكن وصف الرمان كفاكهة الجنة حقا وعلى الرغم من ان شاعر شيراز ادعى بأفضلية رمان شيراز وفخر به ولكن أظن أن الفضل يعود لرياح الشمال في الصحراء التي تنضجه على نحو مثالي لأنها تفجر قشرته بفعل الحرارة وتجفف العصائر التي تفسد طعمه وتجعله رديئا.

وعقب زوال الامبراطورية البرتغالية في الشرق استعاد العرب سيطرتهم على مسقط بقيادة يوسف بن علي، الذي قتل جميع أفراد الحامية البرتغالية عدا القليل منهم الذين اعتنقوا الاسلام. ومنذ ذلك الوقت ظلت مسقط حرة باستثناء فترة قليلة في عهد نادر شاه لأنه استغل الخلافات القائمة آنذاك بين سلطان بن مرشد والامام سيف بن سلطان ونجح في احتلالها عن طريق حيلة نفذها قائده العسكري ميرزا تقي خان فقد أقام هذا الرجل الماكر المخادع حفلة للإمام وغمره بماء شيراز (الخمور) بوفرة وسرق خاتمه وهو تحت تأثير الكحول وثبته على أمر لتسلم القلاع التي تدافع عن المدينة له. لكن حكم الفرس لم يدم طويلا لأن المنافسين توفيا بعد أن طردهما والى صحار أحمد بن سعيد مستخدما حيلة مماثلة واختاره الناس حاكما عليهم بمشاعر الشكر والعرفان لتحريرهم من نير العبودية للأجانب.

والإمام الحالي السيد سعيد هو

الابن المثالي الثاني لأبيه وكان محبا للوطن، وهو يسكن في قصر بالقرب من البحر وكان هذا القصر يوما ما كنيسة للحرس البرتغالي. ويتمتع هذا الإمام بأهمية كبيرة وحرية كاملة وهو مستقل عن الباب العالي تماما ويتقاسم هذا الجزء من الجزيرة العربية مع كل من أمير مخا والسعوديين ولو بنسب غير متساوية.

وتمتد سلطته على عمان فقط. وحسب التقارير المتوافرة يستطيع ان يجند ٧٠٠٠ جندي من البلوش والسنديين من منطقة «تاتا» المجاورة لكنه لا نظير له بين القبائل كصاحب قوة بحرية لا يستهان بها. ويستطيع سكان رأس الخيمة تعبئة بضعة آلاف من الفرسان وهم يستخدمون الخيول بمهارة في ساحة القتال. وتتكون قوة عمان البحرية من الفرقاطة (كارولين) ذات الـ ٤٠ مدفعا كما ذكرت ومعدات أخرى لا بأس بها ومركبين كبيرين كانا مركبين هنديين وحوالي ٣٠ أو ٣٥ مركبا صغيرا. ومن الصعب علينا أن نقدر طاقتها القتالية بدقة بسبب التفاوت الكبير في البيانات التي تصدر من التجار والضباط المحليين.

ومن حيث اللغة التي استخدمتها مع الآخرين وجدت بأنها مفهومة بقدر كاف وكان بالامكان ان أجمع معلومات أكثر عن الأمور باستفساراتي المكثفة لكني لم أنجح بالقدر المطلوب. ووجدت ان بعض الناس يتظاهرون بأنهم يعرفون أكثر مما كانوا يعرفون حقا كما كان البعض يلجأ الى الافتراء والتشوية لأنهم تعودوا على ذلك دون ان يكون لهم أي هدف آخر. وأظن هذه ميزة سلبية لبعض الشرقيين الا أن لديهم مميزات ايجابية أخرى. ونظراً لأنني حريص على الالتزام بالصدق والدقة فإنني أتجنب ذكر بعض المعلومات التي جمعتها بسبب عدم ثقتي في مصداقيتها وأذكر الأحداث التي أثق بها فقط.

غادرنا مسقط في ١٨ نوفمبر ١٨١٦م ووصلنا عند الظهر الى خط العرض ٣ ٢٤° و تعرضنا للأمطار مساءً مما خفض درجة الحرارة من ٨٠° الى ٧٤° وفي ١٩ نوفمبر لم تتجاوز درجة الحرارة ٨٦° وشاهدنا كسوف الشمس عند خط العرض ١ ٢٥° في الساعة الثالثة والربع بعد الظهر ولم ينظر العرب والفرس والأتراك الى الشمس مباشرة بل الى انعكاسها في براميل الماء الموجودة على ظهر السفينة. ولم يحدث شيء يذكر في هذين اليومين الا أن العشرين من نوفمبر شهد التوتر والاضطراب فجأة على ظهر السفينة عندما اندلع قتال بين الفرس والعرب. ولم أعرف في البداية ما هو السبب للقتال ونوعه لكني رأيت نائب الربان متورطا فيه وسمعت ربان السفينة يدعو الى سيفه بصوت جهير ففكرت بأنه من الواجب أن أساعده وأفراد

الطاقم البؤساء الذين تصرفوا كأنهم جنود وكانوا يحاولون دفع المتمردين نحو مؤخرة السفينة وقد نجحوا في هذه العملية من حسن الحظ دون إراقة دماء. واكتشفنا فيما بعد بأن الفرس تشاجروا مع طاقم السفينة حول أمر تافه وبدأوا معاقبة أحد أفراد الطاقم بصورة وحشية بمحاولة خنقه ولما أسرع الى نجدته فرد آخر قامت الجماعة بمحاولة خنقه أيضا. وأمضى المتمردون الفرس الليلة وراء القضبان الحديدية في مؤخرة السفينة وهم مشدودون بالسلاسل وفي الصباح التالي وجدناهم مهزومين وكان أشدهم تكبرا يلتمس العفو والرحمة واطلاق سراحه.

وفي ٢١ نوفمبر ١٨١٦ وصلنا الى جزيرة منخفضة صخرية ورأينا هرمز والمعروف أن هرمز اشتهرت بأسماء مختلفة كـ«نكروكين» لدى التتار و«أرمازيا» أو «أورجانا» لدي القدماء. وثروة هرمز ورخاؤها مرتبطة بالعهد الذهبي في تاريخ البرتغال وتاريخ مغامريها الأوائل وسمعتهم، وهم الذين اكتشفوا الطريق البحري الذي نسلكه اليوم ولا يجوز لنا أن نمر به بصمت واستخفاف واهمال لمنجزاتهم. وفي الحقيقة فإن الفرصة تتاح للرحالة لمشاهدة التغييرات التي طرأت على الأماكن والظروف التي تحيط بطريقه كل مرة يسافر فيها.

وفي القرن الحادي عشر أسس فاتح عربي مدينة على أرض قاحلة في جزيرة جمبرون وأصبحت هذه المدينة فيما بعد عاصمة لامبراطورية ممتدة من الشواطىء الايرانية الى الشواطىء العربية كما انها أصبحت مستودعا للبضائع التجارية وهمزة وصل بين الهند وأقاليمنا بمناخها الخاص وتوافرت للجميع هنا تسهيلات سكنية ممتازة أحسن من أية مدينة شرقية أخرى آنئذ، وحشدت هناك نساء جميلات من كل بقعة من قارة آسيا متدربات منذ الصغر على فن الاثارة وإبهاج الحواس الجنسية وتعرض هاته النسوة أنفسهن على الناس للاستمتاع بهن ويتمايلن أمام التجار والأجانب الأغنياء الذين يعرضون ثروتهم عليهن مقابل ابتساماتهن المغرية. كان الهواء يحمل في طياته روائح عاطرة والفرش مغطى بسجاجيد فاخرة خلابة الألوان فكانت جمبرون بذلك تنافس مدنا أخرى تقوم بدور مماثل في الأزمنة القديمة. لكن الآن رجعت المدينة الى ما كانت عليه قبل ازدهارها أي الى أرض قاحلة عليها قرية بائسة وفيها بعض الفقراء العرب في محل كان ينغمس فيه الملوك والأمراء في مرح صاخب وترف شديد الزخرفة. ونحن نعرف اليوم تاريخ إضمحلالها وإنحطاطها. فقد فتحها البوكرك الشهير في عام ١٥٠٧م واستردها الفرس في ٢٥ ابريل عام ١٦٢٢م

بقيادة شاه عباس الأعظم وعقب هذه الفترة نقل جزء من نشاطها التجاري الى بندر عباس حيث سمح لنا (أي الانجليز) بفتح مكتب تجاري كما انتقل عدد من التجار الأغنياء الى مسقط على الساحل العربي.

سببت العواصف لنا في الأيام التالية كثيرا من الازعاج لأن الرياح كانت معاكسة لاتجاهنا فأرسينا وصادفنا مركبين من طراز «الداو» بالقرب من جزيرة «كين» وهما من مراكب القراصنة وكانت هذه الجزيرة مقرا لهم وتغلبنا على مخاوفنا لأننا كنا أقوى منهم فلم يجرؤوا على مهاجمتنا وعلمت بأن سفينتنا تعرضت لهجومهم في مرة سابقة ونجحت في التصدي لهم رغم أن هؤلاء اللصوص الوحوش وهم رجال خارجون على القانون قساة القلب وليس لهم أدنى علاقة بالسلوك المتمدن أو الاعتماد على تصرفهم أو الثقة فيهم. ورغم كل ذلك فأن تصرفاتنا (أي الانجليز) تدعو الى الخجل لأننا تعاملنا مع هؤلاء الهمجيين بارسال الوفود والبعثات لهم وعقدنا معهم اتفاقات مع العلم بأنهم استغلوا قوتنا البحرية لصالحهم ضمانا لأمانهم فقط. وهذا التصرف كان بمثابة وصمة عار على جبيننا. لو كان ذلك ضمن حرب قانونية لكان له مبرر لأن الحرب لها ضوابط وقوانين وأعراف معترف بها دوليا بصفة عامة وهناك نوع من الثقة تربط بين الدول المتحاربة المتمدنة على أساس متبادل حول مسألة الأسرى لكن القراصنة يقتلون أسراهم على الفور بصورة بشعة دون استثناء ويشوهون أجسادهم وفي وجه هذه الوحشية فان معاملتنا لهم تدل على ضعفنا وبل مشاركتنا في جرائمهم.

يتكون القراصنة في منطقة الخليج من قبائل عربية شتى. وحكومتنا غير راغبة في مواجهتهم مما يجعلهم يفخرون بحصانتهم. ولديهم اسطول مكون من ٦٠ سفينة كبيرة وحوالي ٩٠٠ سفينة صغيرة وقوامها حوالي ١٩,٠٠٠ نسمة. ويرجع تاريخهم الى زمن بعيد كامبراطورية لملك القراصنة الذي نهب كل سفينة قيّمة (وجاء ذكرهم في كتاب لابن حوقل) قبل خروج بني اسرائيل من مصر.

وقد ثبت ان القراصنة يعملون ضد المصالح التجارية البرتغالية وكذلك ضد مصالحنا التجارية وتحمل سفنهم أحياناً ٤٠ قطعة من المدافع و ٣٠٠ مقاتل. وفي عام ١٨٠٨م قبضوا على طراد لشركة الهند الشرقية يسمى «سلف» وكان على متنه السكرتير الفارسي الذي كان ملحقاً ببعثتنا وبدأ القراصنة في قتل افراد الطاقم حتى وضعت سفينتنا «نرايدى» حداً للمذبحة وانقذت الباقين على قيد الحياة ثم اطلقت النار على القراصنة وأغرقتهم بعد قتال كثيف عنيف. وعقب هذا الحادث تعرضت السفينة

التجارية «منيرفا» بقيادة الكابتن هوب جود لهجوم من أسطول مكون من ٥٥ مركباً ومنها عدد من سفن الداو وعليها ٥٠٠٠ مقاتل. واثر قتال دار من الطرفين من بعيد ليومين اقترب القراصنة من السفينة وصعدوا أخيراً على متنها وما كان امام الكابتن هوب جود إلا أن أصدر أمراً لمساعده أن ينزل الى مخزن الذخيرة ويشعل النار في البارود. وكان المنظر على السفينة مخيفاً للغاية ولا يمكن وصفه لأن الكابتن كان يلفظ انفاسه الأخيرة اثر جرحه وسلم لمساعده المسدس لينفذ أمره بتفجير السفينة ولو حدث ذلك فعلاً ونفذت أوامره لكان مثالاً رائعاً لثبات الإنجليز في عزمهم وعنصراً مناصراً للملاحين مستقبلاً لكن مساعد الربان لم يقم بواجبه بل اختبأ في أسفل السفينة، وانتهت المقاومة على ظهر السفينة بعد قليل وبدأت المذبحة والقتل الوحشي وفقاً لطقوس خرافية وكان هدفها بذر الخوف والذعر فيمن حولهم . وتم تنظيف السفينة وتطهيرها بالماء والأدعية والعطور ثم جاءوا بالاسرى جماعات وأفراداً مقيدين ومكبلين بين هتافات التكبير المرفوعة من كل جهة وعرض كلهم أعناقهم للذبح بالسكين وتمت العملية فعلاً. ولم ينج أحد إلا واحدا أعمى أطلقوا سراحه في الميناء التالي كي ينقل الخبر المشئوم للآخرين.

وفي عام ١٨٠٩ نفد صبر حكومتنا لأن القراصنة وضعوا حداً لأنشطتنا التجارية بواسطة هجماتهم الجريئة على سفننا فقامت بتنظيم حملة تأديبية تحت قيادة الكابتن «وين رآيت» والكولونيل سميث، ونزلت القوات على شاطىء رأس الخيمة واحتلته ودمرت ٥٣ سفينة كبيرة لهم ثم هاجمت موانيهم الأخرى وقام القراصنة بالدفاع عن «شناص» ونظراً لأن القراصنة لا يرحمون أسراهم قط كانوا يتوقعون نفس المعاملة من معتقليهم فيدافعون عن قلاعهم بحزم حتى آخر لحظة ويرفضون الاستسلام ويرمون قنابلنا اليدوية والقنابل الأخرى بعيداً عن مواقعهم قبل انفجارها. ورغم ذلك ورغم غيظهم الشديد فلم يستطيعوا مواجهة ضرباتنا ويلتزموا الصمت لعدة سنوات بعد تنفيذ العملية من جانب قواتنا. ويرجع السبب لهذا الصمت الى نقص الخشب لإعادة بناء السفن لتحل محل السفن المدمرة وإلا عادوا لمواصلة عملياتهم كالمعتاد لأنهم تعودوا على القرصنة كأمر طبيعي. وفي عام ١٨١٦م أبدى القراصنة ميولهم المتزايدة في ممارسة مهنتهم الإجرامية وقد أصبح من الضروري أن نقمعهم بالقوة.

ان الأسفار البحرية عامة ليس فيها ما يشوق المسافرين وهي تملؤ قلوبهم بالملل والضجر بسبب رتابة المناظر وتكرارها يوماً بعد يوم من البحر والسماء دون حدث قد يشغل

بالنا أو يريحنا. لكن سفري هذا كان مليئاً بالمفاجئات والمغامرات والأخطار أكثر مما قد يرحب به أي مغامر شجاع في أي وقت. وبعد ما تجاوزنا الأخطار الناجمة عن الصخور وحادث التمرد والقراصنة سمعنا إنذاراً ملحاً بصوت جهير من ربان السفينة في ٢٨ نوفمبر ١٨١٦م صباحاً ينادينا للدفاع عن أنفسنا وإلا تعرضنا للذبح جماعياً ولبينا النداء على الفور لأننا كنا قد تعودنا على حمل السلاح عند النوم وقبل أن امسك المسدس والسيف في الظلام فتح الباب فجأة وتعرضت لهجوم بالسيف لكن الطعنة لم تسبب لي إلا جروحاً خفيفة. فقفزت على المهاجم ونزعت السلاح منه فوجدت فيما بعد بأنه ليس إلا ربان السفينة ومن حسن الحظ انه اخطأ في ضربة سيفه فلم يصبني إلا بجروح تافهة وكذلك لم أصبه عند تجريده من السلاح إلا بجروح تافهة. ويبدو أن صاحبنا ظن نفسه معرضاً لهجوم فأثار الضجة دون أن يكون هناك أي مبرر لها. والغريب أنه كرر نفس التصرف فيما بعد واضطررنا أن نفرض عليه بعض القيود اجبارياً كي نمنعه من ذلك لأنه كان في حالة نفسية سيئة. ووصلنا الى بوشهر في ٤ ديسمبر ١٨١٦م وقبل ذلك جنحت السفينة مرتين.

ولما وصلنا الى بوشهر وجدنا ان المقيم (المستربروس) ليس موجوداً بل كان في بعثة للقراصنة في رأس الخيمة ضمن واجباته الرسمية وكان ينوب عنه مساعده الدكتور «شارب» الذي بذل جل اهتمامه لرعايتي لأنني كنت المسافر الوحيد الذي بقي على متن السفينة آنذاك وتعامل معي بلطف وكرم بالغ. ونظراً لأن السفينة كان متوقعاً لها أن تبقى هناك لبعض الوقت أردت زيارة شيرازو سابور في هذه الفترة لكنني لم أستطع أن أقوم بذلك واكتفيت ان اتجول في السوق وفي المناطق الداخلية وأسأل الناس عن الأوضاع السائدة في ايران وعن تاريخ بوشهر بصفة خاصة كما يفعل الرحالة.

وكان تاريخ ايران القديم معروفاً ومفهوماً اكثر من أوضاعها المعاصرة منذ اهتم الجنرال السير مالكولم : سفيرنا السابق لدى البلاط الملكي بالموضوع. وعقب امبراطورية ملوك البارثيان تولى الحكم خلفاء «سليوكس نيكاتور» الذين قاتلوا أباطرة روما وانتصروا احياناً وخسروا احياناً أخرى. وفي ظل الظروف التي برز فيها الرحالون أسس كل من «تانغرولبكس» وهو تركي، و «الاهون» (او الله خان) التتري سلالة للملوك وجاء بعدهما «التركمان» و «الصفويون» وعقب وفاة «طهماس كولى خان» (نادرشاه) الذي تولى منصب الجنرال وقضى على الصفويين انتشرت الفوضى مما جعل من المستحيل لأحد أن يتابع الأحداث والتواريخ بدقة لأن عدداً

كبيراً من الأشخاص لعبوا دوراً على المسرح لفترة وأختفوا فيما بعد وأكثرهم نفوذاً كان محمد حسن خان وهو رئيس قبيلة «قاجار» الذي تولى منصب القائد العسكري تحت حكم آخر حكام الصفويين ولا يزال يحكم خلفاؤه حتى الآن. وكان آغا محمد خان، ابنه الثاني قد تغلب على لطف علي خان (الحاكم الأخير واكبر خلفاء كريم خان نفوذاً) واستعاد السلطة ونقلها الى الملك الحالي وهو ابن أخيه الأكبر الذي قتل في المعركة على يد التركمان.

ان عهدي حكم كل من كريم خان ولطف علي خان يحتاجان في الوقت الحاضر الاهتمام بهما بسبب إرتباط احداث عهديهما بتاريخ بوشهر فلا يجوز لاي رحالة ان يجهل هذا التاريخ. وكان كريم خان أصلاً لصاً كردياً من قبيلة حقيرة تسمى «زند» لكنه نال شهرة بسبب شجاعته وقتله محمد حسن خان ثم أسس سلطة سيطرت على توابع شيراز لفترة قصيرة عندما كانت السلطة الملكية مفقودة. وعلينا أن نبدأ بسرد تاريخ قصير لبوشهر لأن أهميتها ليست بكبيرة ولا تستحق الا ذكر تاريخها باختصار. وتقع بوشهر في منخفضات ولاية دشتستان في شريط ضيق من الأرض تراجعت عنه مياه البحر وجاء ذكرها في كتابات «نيركس» وكانت مقراً لاحدى الدويلات العربية وكانت سياسة كريم خان تركز على قمعها وتدميرها لكنه في عهد الشيخ نصر جد الوالي الحالي، بلغت هذه الدويلة ذروتها في الرخاء والإزدهار والنفوذ.

ويرجع ذلك الى تصميم الشيخ نصر ومجهودات ابنه في هذا السبيل عقب وفاة ابيه.

ويعتز العرب حتى الآن بذكرى هذا الزعيم لكرمه وللمثل العليا التي تسمو اليها قبائل دشتستان. وعندما كانت المنافسة على اشدها بين عبدالرسول ومحمد رسول وهما حفيداه من أجل السلطة فإن هذه المنافسة لم تصل لدرجة العنف والصراع بشكل غير طبيعي مثلما هو مشاهد بين اعضاء العائلات الشرقية. وكما يبدو فإنهما تراضيا على ان يحكما بالتناوب. ويظهر ان الإعتدال في تصرفاتهما في الحقيقة يرجع الى تقلبات الزمن والالتباس في السلوك الشخصي الأخلاقي الناجم عن تجربة مريرة لحقت بعبدالرسول عندما القي القبض عليه في وقت مضى ونقل الى شيراز دون أدنى احترام لشخصيته أو مراعاة لمشاعره وكان السيرهارفورد جونس هو سفيرنا لدى البلاط الملكي في ايران.

وكانت لمدينة بوشهر ظروف خاصة من حيث موقعها ونوع حكومتها مما جعلها ملاذاً مفضلاً للاجئين والهاربين البارزين الذين تعرضوا للصراعات الداخلية أو الضغوط المسلحة فاضطروا للفرار

تعتمد على نزوات الارقاء المتغطرسين. وإذا انشأنا حامياتنا في هذه الأماكن نكون في موقف أفضل تجاه دول الخليج بالإضافة الى توطيد نفوذنا في البلاط الملكي الايراني ونستطيع ان نفرض على هذه الدول نوعاً من الحذر والاحتياط في تصرفاتها كما يمكن لنا أن نتظاهر عند الاقتضاء بتقديم تنازلات لمزاعمهم ونظراً لموقع الكرامة والوقار الذي نتمتع به كقوة رائدة في الشرق علينا أن نستغل تفوقنا البحري لصالحنا لأننا نتعرض للغيرة والحسد ويجب ان نتعامل من موقع القوة. وعلى الرغم من ان الناس يحترمون قوتنا إلا انهم لا يفهمون قوامها بسبب ضعف سياستنا نحو القراصنة حتى نحو اضعف جماعاتهم. وبخصوص الهدايا التي تقدم للبلاط الملكي الايراني فإنهم ينظرون اليها كأنها خراج ندفعه لهم. وللعلم فإن روسيا تسلك نهجاً مختلفاً في سياستها تجاه ايران وتتعامل معها من موقع القوة على كافة المستويات وتملي عليها ما يجب ان تقوم به. في حين نأمل ونرجو أن يكون تصرفها وفقاً لوعودها التي كثيراً ما تكون خادعة أو وهمية وتفتقر الى الجدية ومؤدية الى خيبة الأمل عند التنفيذ. وأمامنا مثال رائع لفاعلية سياسة القوة وكيف يكفي حتى قدر تافة منها ليضمن النجاح. فلدينا قوة أكبر وقدرات أكثر ويتمتع سلوكنا باحترام أكثر وسياساتنا مستنيرة أكثر من البرتغاليين والهولنديين ويتضح هذا في الفترة التي انتصرت فيها أساطيلهم في الخليج وتحدت كلاً من الايطاليين والايرانيين والاتراك. وما علينا إلا أن ننتهز الفرصة لأقصى حد لإستغلال ميزاتنا ونفوذنا خاصة في ايران مما يضمن لنا استمرار وأمن الامبراطورية التي انشأناها.

وغير موقعها المركزي تشتهر «خرج» بآثارها البابابوية المسيحية الخرافية التي تركها البرتغاليون كالعادة تذكاراً لمجدهم العسكري وتعصبهم الديني. وقد تم تحويل احدى كنائسهم الى ضريح مقدس لـ «بير محمد». وتوجد الصلبان والطابوق الملون والاشياء الأخرى التي ترجع أصولها الى الكنيسة السابقة والشيء الذي تغير هو مجرد الإسم والشكل ولا يزال هذا المبنى يشيع الإحترام الديني نحوه. ويقع المدخل لهذا الضريح أو الكنيسة عن طريق سرداب طويل أو قناة وكانت تستخدم في الماضي لنقل الماء من جانب جبل يقع أمامها وتوجد ثقوب في السرداب على فواصل متتالية من أجل دخول الضوء والهواء. ويبدو من هذه الميزة المعمارية بأن «خرج» كانت غنية سواء من حيث عدد السكان أو ثروتها لكن في نفس الوقت توجد كهوف في جهة الجنوب منحوتة في الصخور مما يعطي انطباعاً سلبياً عن مستوى سكان المدينة الذين اتخذوا الكهوف سكناً لهم.

اظن انني أطلت في هـذا الـوصف لجزيرة «خرج» وهو ما تستحقه لكني أعتقد بأنـه يفيدنا لاحقاً إذا قـررنا في المستقبل استغلال مزايـاها لصالحنا واخترناهـا موقعاً قـد ينفعنا فـالقلعة التي تحمي المدينـة في مكـان الإنـزال مصنوعة من الحجر وفيها ٤ أبراج في الجهات المختلفة ومنصة منهدمة أمام بابها بالقـرب من البحر ويمكن نصب ١٢ قطعة من المدافع عليها.

وفي رأيي أن جـزيرة البحـرين هي المكـان الـوحيـد الـذي يبقى الآن لـلاهتمام بـه في ميـاه الخليج ونحن نـواصل رحلتنا. وتشتهـر البحـرين بمغـاصاتها وآبارها من الماء العـذب التي تتـدفق في اعماق البحـر في نقـاط معـروفـة ويجمـع الغـواصـون الماء العـذب منهـا ويجلبـونـه الى السطح. وليس عنـدي معلـومـات كثيرة عن الوضـع الحـالي للمغاصات لكن اللآلىء التي رأيتها في البصرة نوعاً وعدداً تدل على أن المغاصات لا تـزال غنية. وقال النـاس بأن لـؤلـؤ البحـرين أكثـر استدارة ولمعاناً من لـؤلؤ سيلان لكنه يفقـد لـونـه بسرعـة أكبر وينخفض سعره تدريجيـاً في فترة الثلاثين سنة الأولى من اخـراجه. وقـد تكون هـذه الملاحظـة مجرد ظنون لكنهـا سـائدة بين الناس وهم يدعـون بأنه لن يتغير بعد هذه الفترة.

ويستغـرق السفـر من البصرة الى بوشهر عمومـاً يومين لكن السفر من بوشهـر الى البصرة يأخذ وقتـاً اطول

ولم نصل الى الحاجـز المالي حتى ١٥ ديسمبر ١٨١٦م وأمضينا ستـة أيام أخرى ونحن نتخذ مسـاراً متعرجاً في النهر ومـررنا بقلعتين طينيتين في ١٩ ديسمبر ١٨١٧م وسـابقاً كـان يقام سلسلـة أمـام القلعتين لتعـرقل سير السفن. وأحـد طـراداتنـا تجنب هـذا العـائق المائي ونجح في إجتيـاز هـذا الموقع من يمين السلسلـة ممـا بعث بموجة من الدهشـة في قلوب اعدائهم. ووصلنـا الى البصرة في ٢١ ديسمبر ١٨١٦م حيث تلقيت فيها ترحيباً حاراً واستضـافـة شخصيـة من المقيم الدكتور «كولكوهون» ومقيمنا هذا في البصرة يتمتع بسمعـة طيبـة عنـد الكثيرين لكـرم ضيـافتـه وحسن استقباله.

ونحن نـودع موضـوع تجارتنا في الخليج الآن نقـول ان حجمهـا كيفاً وكماً لا يستهـان بـه ويستحق التشجيع لأن الأرباح مضمونة وتأتي بسرعة مما يخدم المصالح التجارية. في هـذا الـوقت كانت السفن التـاليـة تجوب الميـاه الخليجيـة «خسروى» و «صـوفيا» و «مـاري» و «اليـزابيث» وعـدد كبير من المراكب الشراعيـة. وهكـذا بلـغ عـدد السفن التجـاريـة الكبيرة ستاً ومعها ٤ طرادات للشركة وفـرقـاطه واحـدة ومـراكب صغيرة أخرى. فإذا تجاهلنا الأطراف الأخرى نجـد أن ٨ أو ١٠ سفـن كبيرة تقـوم برحلتين سنوياً من بومباي و ٣ سفن تقوم بـرحلة واحـدة من البنغال وإذا

أخذنا بعين الإعتبار حمولة كل سفينة في المتوسط بواقع ٣٠٠ طن فتبلغ مجموعة الشحن التجارية حوالي ٧٠٠٠ طن في ظرف عام واحد وهذا دون ان نحسب الأسطول البحري والمراكب الصغيرة التي تقوم برحلات صغيرة من محطة الى محطة. وتتضاعف الحمولة للرحلات المرجعة الى ١٤٠٠٠ طن وهذه كمية ذات أهمية لو كانت مستخدمة لأغراض تجارية فحسب، ويتكون طاقم السفينة من ٥٠ الى ٨٠ عاملا وربان السفينة واثنين من مساعديه ويمكن لنا ان نحسب الخسائر الناجمة عن البلى والتمزق والضياع بواقع ٢٠٠٠ روبية شهرياً لكل سفينة من بومباي ومبلغ اكثر لسفينة من البنغال لأنها تستخدم عدداً أكبر من الأوروبيين.

وقد تكلف كل سفينة حوالي ٦٠,٠٠٠ أو ٧٠,٠٠٠ روبية مع مدافعها ومعداتها وتكلف رحلة واحدة ١٢,٠٠٠ أي ٢٤,٠٠٠ روبية لرحلة مرجعة ويعني هذا استثمار رأسمال قدره ٦٠٠,٠٠٠ روبية أو ٧٠,٠٠٠ جنيه ويساوي عقد رهن لصاحب السفينة مقابل مال يقترضه للقيام برحلة وتصرف السفينة ٤٨٠٠٠ روبية سنوياً من أجل نفقات الملاحة وفوائد الموجودات الثابتة واستبدال السندات المالية الأولية. ولا تقتصر الفوائد على هذه المفردات التي نكسبها باستمرار بسبب الانتقاص في سعر التبادل في العملة.

واننا لن نكشف عن حجم صادراتنا بدقة أو عن عائداتنا أو حجم الضرائب الجمركية على صادراتنا ولا شك ان الأرباح التجارية متناسبة مع حجم الإستثمار وتعمل لصالح بيت المال. وعلى الرغم من صحة ربحية التجارة كما ذكرنا آنفاً حسب المعلومات التي جمعتها الا انها غير معروفة وغير مفهومة عامة وقد يأتي الوقت حيث يزداد وعي الناس في الموضوع بدقة أكثر ويحثهم على المنافسة في مباشرة هذا النشاط للانتفاع به حقاً.

وبخصوص البصرة لا أريد أن أصفها باسهاب لأن كثيراً من الرحالة أوردوا وصفها في كتاباتهم. فبناء هذه المدينة متواضع وهي ليست نظيفة غير أن مناخها لطيف وصحي وتجارتها رابحة ويقال أن عدد سكانها ٨٠,٠٠٠ وهذا عدد متواضع وأقل مما كنت اتصوره قبل ان يصيبها وباء الطاعون. وغالبية سكانها من العرب ولهم التفوق مالاً ونفوذاً ويملك أصحاب الأرض الكبار اقطاعات واسعة ولديهم من ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ نسمة من تابعيهم داخل وخارج حدود المدينة ومعظمهم خارج القانون ولا يمتثلون إلا لأوامر زعيمهم فإن موقف المتسلم (التركي) متزعزع سواء كان من ناحية الأمن أو الراحة ويرأس هذا الوالي حوالي ١٠٠٠ جندي من أجناس مختلفة ويفرض عليهم نوعاً من الإنضباط

ويـــدفع لهم رواتبهم بـــانتظـــام ويستخدمهم كالشرطـة داخل أسوار المدينـــة كلما اقتضى الأمـر أو عنـــد نشـوب الصراع الداخلي بين الـزعماء الكبار. ولكـن خارج أسـوار المدينة لا يـوجـد أي أمـان لأن البـدو يملكـون الصحراء وهـم يحافظون على حريتهم كالمعتاد.

ويقال ان البصرة تأسسـت في عهد أبـاطـرة رومـا وكـانت مسقط رأس «فيليب العـــربي» ويقسمهـــا خليج صغير الى قسمين وأسوارها الوضيعة مصنـوعـة مـن الطين وفيهـا أبـراج دفـاعيـة دائريـة. وتنتشر البسـاتين والنخيل مـا بين الخليـج والأسـوار. ورغم ان محيط الـدائرة يمتـد الى ٨ أميال إلا أن المساحة التـي توجد فيها المبـاني لا تزيـد علي نصف المساحـة الإجماليـة. وعلى الـرغـم من إتسـاع مسـاحتهـا وضعف تحصينـاتها الـدفـاعيـة إلا أنها تصـدت للغزو الايـراني مـرتين ولم تسقط في أيـدي كـريم خـان إلا بعـد حصـار طـويل. واثنـاء تـــوقفي في البصرة لاقيت من حسن الحظ عدداً من أشخاص طيبين وتمتعت بكـرم ضيـافـــة الـدكتـور «كولكـوهون» المقيم الـذي كان يملك أصطبلاً فيـه حوالي ٥٠ فرساً عـربياً أصيلاً.

وقد اعطانا الدكتور فرصة ركوبها في الصحراء وأمضيت بعض الوقت في قراءة الكتب وزيـارة الحمامات. وقبل تجوالنا في الصحراء تلقينـا النصيحة بعدم الخروج بأنفسنـا كيلا نتعرض لـلإهانـة لكننا لم نلتـزم بها وأود أن أسجل هنا تقديرنا لأهل البصرة الذين لم يسببوا لنا أدنى مضايقة أو ازعاج داخل حدود الأسـوار بل تلقينا منهم سلوكاً محترماً لائقاً بـرتبنا ودرجاتنا العسكرية. لكن الأمر ليس كذلك في كل مدينة شرقية.

ولقد أبـدى أهل البصرة تقديـرهم لسيرة الانجليـز.

ولما وصلت الى البصرة أخبرنا المقيم عند زيارتي لمنـزله بأنني لن أستطيع أن أغـادر إلا بعد مـدة ليست بقصيرة فـــوجـــدت أن السبب يـــرجـع الى الإضطـــرابـــات التـي نشبت في «باشاليك» بغـداد. ولقد علمت بأنه تم تعيين باشـا جديد لبغداد لكن البـاشا القـديم لم يكن راضيـاً بترك منصبـه وكان كل منهما قد حشـد انصاره من الجنود وكـانت قد مرت سـتـة شهور على الصراع دون أن يحسم. وقـــــد عـرفت أنه لم يقتل احـد من الجانبين. وبصفتي رحالة كنـت حريصاً على أن أواصل مهمتي في أقـرب وقت ممكن وتمنيت لهما نهايـــة قصيرة لمحنتهما إلا أنني شعـرت بـأن تفكير الإنسـان كثيراً ما يتمشى مع منصبه وقد يوجد أشخاص مثلي يعتبرون بـأن الإزعاج الـذي تعـرضت لـه هـذه المرة بسبب التأخير الذي فـرض علي أسهل بكثير من المرتين السابقتين.

ورغم أنه يستحيل إستعادة الوقت الذي فات إلا أن استبـدال رأس بآخر

أصعب بكثير. وفي ضـــوء تسليـح الإثنين من الباشـاوات واحد في داخل العـاصمة والثـاني خـارجها ونظـراً لإنقسام البلاد الواقعة ما بين البصرة وبغـداد الى المعسكـرين المعـاديين المتساويين لم يبق أمـامي أي خيار إلا التـزام الصبر برهـة واغمـر نفسي في جمع المعلـومـات عن البلاد العـربيـة وعاداتهم وتقاليدهم لأقصها ليس على أساس ملاحظاتي فحسب بل في ضوء ملاحظات الآخرين مدعمة باختباراتي الشخصيـة مع العـرب وهم قـوم يتصفـون بصفـات فـوق العـادة كما اكتشفت عندما عشت معهم لمدة شهر في خيامهم في الصحـراء وأثناء سفري من البصرة الى بغداد وما تلقيت منهم إلا لطفاً رقيقاً وكرمـاً بالغاً الى أقصى حـد ممكن لأي إنسـان أن يتمنـاه.

شخصيات

من

بأقلام غربية

هذا البحث

هناك من المؤرخين من يرى أن الاحداث هي التي تصنع الاشخاص البارزين وهناك من يرى أن الاشخاص هم الذين يصنعون الأحداث ويصنعون بذلك التاريخ وسواء صحت وجهة نظر هؤلاء أو أولئك فإن الاشخاص في كلتا الحالتين عنصر هام من عناصر التطور في أي منطقة وفي أي بلد وفي كل مجال وانطلاقا من ذلك تقدم « الوثيقة » على هذه الصفحات مجموعة من أبرز الشخصيات الخليجية في القرن التاسع عشر في السياسة والدين والأدب وغيرها كما رآهم الغربيون وكما كتبت عنهم الأقلام من خارج المنطقة :

«الوثيقة »

الخليج العربي

في القرن التاسع عشر

الدكتور على ابا حسين

ان الباحث في الوثائق التاريخية يجد كثيرا من تراجم الاشخاص البارزين وقد كتبها معاصرون لهم بأمر من السلطات الاجنبية احيانا لاغراض سياسية واقتصادية او اجتماعية حتى يعرفوا مكانتهم بين قومهم وميولهم وتاريخ حياتهم ونسبهم وعلاقات بعضهم ببعض منهم المشايخ والحكام واعيان البلاد واهل الشأن واكثر تلك الشخصيات من اصول عربية حكم بعضهم موانىء الخليج العربى بساحلية الشرقي والغربي خلال القرن التاسع عشر . وقد كتب الكولونيل ادوارد شارلس روس (المقيم فى الخليج) من بوشهر [١] الى القنصل البريطاني فى مسقط عام ١٨٨٢م ١٢٩٩هـ يقول : نرى بانه مما يفيدنا كثيرا ان تكون لدينا معلومات عن اسماء الرؤساء والرجال البارزين ومكانتهم الاجتماعية ونبذا عن حياتهم خاصة الذين يسكنون فى المقاطعات التى تخضع للسلطة البريطانية فى القرن التاسع عشر في الخليج العربي . وقد ارسل المقيم الكولونيل (روس) استمارات للقنصل البريطاني فى مسقط طالبا منه ملأها بالمعلومات المطلوبة حسب العناوين التى ذكر فيها اسماء الاشخاص فى كل من (مسقط والمناطق التابعة لها) وكان عدد الاستمارات التى

ارسلها ٢٥ استماره [٢] . ومثل ذلك كتب الكولونيل (روس) المقيم في الخليج من بوشهر الى المستر (جابلير) مدير التلغراف والمسئول السياسي عن ساحل مكران طالبا جمع المعلومات عن الشخصيات الهامة من العرب والايرانيين في المناطق الخاضعة لبريطانيا وخاصة رؤساء المناطق فى مكران على أن يتضمن التقرير اسم الشخص واسم ابيه واسم قبيلته والسكن الذي يعيش فيه ونبذة عن حياته وابنائه وزوجاته . ونحو ذلك كما ارفق الكولونيل روس نموذجا للاستمارة التى ينبغى ذكر المعلومات فيها وتحقق المطلوب واستطرد (روس) بقوله : ويمكنكم جمع كافة المعلومات المطلوبة بمساعدة (ميرجهانكير) والكتاب الاخرين فى مكتبكم [٣] كما كتب الى غيره من القناصل والمعتمدين السياسيين في الخليج فاجابه البعض ومنهم :

المعتمد السياسي فى البحرين الذي كتب الى جناب الباليوز قنصل عام الدولة البريطانية فى الخليج قوله : فقد تشرفت بكتابكم المرقم ٨٢/٢٩١ والمؤرخ في ١٦ ذي القعدة ١٢٩٩هـ/ الموافق في ٣٠ سبتمبر ١٨٨٢م مع مرفقاته ١٧ استمارة المرسلة من قبلكم كنموذج لمعرفة اسامي ومرتبات وتاريخ المشايخ والاكابر والاعيان واهل الشأن الكائنين فى هذه المناطق من الخليج وحسب امركم السامى قمت فى الترتيبات وانجاز ذلك وكان المدعو (احمد بن عبد الرسول) هو الذي قام بتحقيق ما طلبه الباليوز قنصل الدولة البهيه القيصرية وارسل له ما طلبه حول معرفة الشيوخ والاعيان فى المنطقة . [٤] وكما يبدو ان (حكيم وبوربوت) هما اللذان جمعا المعلومات وان المشرف على التلغراف (البرقيات) فى جسك او جاسك[٥] قام بارسال المعلومات المطلوبة حسبما ورد في رسالة كتبها فى ١٣ ديسمبر ١٨٨٢م وكان المستر (ماكد ونالد) قد جمع المعلومات وذلك لانه كان ملما باللغة العربية وباللهجة المحلية وبتقاليد الناس وقد بذل جهدا شاقا فى جمع هذه المعلومات على الرغم من انه لا يمكن له ان يؤكد على مدى صحتها كلية لانه لا توجد له مصادر وثائقيه مكتوبه لاثبات هذه المعلومات ورغم ذلك فإن المشرف على دائرة التلغراف فى جسك يشكر المستر مكدونالد ويقدر ما بذله من مجهود فى تحقيق ذلك .[٦] وقد نقل نائب مدير التلغراف فى كراتشى الى المقيم السياسي فى بوشهر شكره وتقديره للمستر (مكدونالد) لما بذله من جهود بهذا الشأن حول جمع المعلومات المطلوبة . كما اشار الى انه لم يتلق اى رد من (غوادر) و (شاه بهار) لحد تاريخه[٧] .

وتلقى نائب مدير التلغراف في (غوادر) رسالة شكر من الكولونيل (روس) كما طلب منه ان يبلغ المستر (ماكدونالد) تحياته وشكره العميق على

جمعه المعلومات باسلوب يستحق التقدير[٨] وارسل (احمد عبدالرسول) الى الباليوز قنصل بريطانيا ٢٨ صفحة او استمارة كتب فيها اسماء ومراتب وتواريخ ونبذ عن حياة المشايخ والحكام والاكابر واعيان البحرين ومن لهم مكانة وشأن فيها كما وعد بارسال تراجم اخرى فيما بعد او انه سوف يقدمها شخصيا حين حضوره فيما بعد ولقائه بسعادة الباليوز وحرر رسالة مرفقة بالاستمارات الـ ٢٨ وارسلها من بندر البحرين في ١٠ مايو ١٨٨٣م الموافق في ٢ رجب ١٣٠٠هـ [٩] .

ومن خلال ما كتب من تراجم لشخصيات خليجية فقد قامت المقيمية السياسية البريطانية في الخليج فى عام ١٨٨٢م وما بعدها بدراسة بعض الشخصيات الخليجية الهامة آنئذ وذكرت طرفا من عادات وتقاليد السكان في اواخر القرن التاسع عشر وكان ميناء (جسك) الواقع على ساحل مكران ذا اهمية جغرافية واقتصادية نظرا لموقعه الوسط لجمع المعلومات والمخابرات عما يدور بين اوساط الجاليات المختلفة خاصة في المناطق الساحلية عبر شطرى الخليج العربي . وقد اتخذ هذا الميناء (جسك) من قبل الانجليز كمركز للمواصلات السلكية واللاسلكية وللبريد الذي يربط بين المحيط الهندى والخليج العربي ، والمعروف ان شركة الهند الشرقية اهتمت (بجسك) منذ عام ١٦١٦م وهي تبحث عن اسواق جديدة لمنتجاتها في ايران وانشأت علاقات تجارية مع البصرة في عام ١٦٣٥م ولكن المصالح البريطانية الاقتصادية تحولت الى مصالح سياسية في القرن التاسع عشر حيث اقامت بين عامي ١٧٦٣ و١٩٤٧م مقيميات او وكالات سياسية في كل من بوشهر ومسقط والبصره وبغداد والبحرين والكويت والشارقة[١٠] وكانت سياسة بريطانية تدور في هذه الفترة حول تأمين المواصلات البحرية بين بريطانيا ومستعمراتها الشرقية في وجه التحديات من القوى الاستعمارية الاوربية الاخرى والقوى المحلية فى الخليج العربي .

وجدير بالذكر فإن مراكز البرق والبريد والهاتف لعبت دورا هاما في جمع المعلومات والمخابرات بواسطة ممارسة رقابة شديدة على الرسائل المتبادلة بين الاطراف اما بصورة مباشرة او باساليب التجسس خاصة في ايام الحرب والطوارى حيث نالت هذه الاساليب صبغة شرعية تماما . وقد اصبح موضوع دراسة الشخصيات الخليجية التى نحن ذاكروها من اهم ما انتجته تلك الاساليب لمعرفة نقاط الضعف سواء من ناحيه شخصية او قومية او طائفية او مذهبية واستخدام تلك النقاط لمكافحة القوى المعارضة وان ماورد في هذه التراجم يمثل وجهة نظر كاتبها وهو (بوربوث) واليك طرفا من التراجم نوردها كما هى دون تحقيق :

الشيـــخ عيسى بــن عــلي آل خليفة

هو الشيخ عيسى بن علي بن خليفة بن سلمان بن أحمد (الفاتح) بن محمد بن خليفة آل خليفة من بنى عتبه ويسكن المحرق وزوجته عايشة بنت محمـد بن خليفة آل خليفـة واولاده هم : (سلمان وحمد وراشد ومحمد وعبدالله) .

ولد في البحرين في ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م وفي حياة ابيه كان حاكما في المحـرق ثم بعد وفـاة والـده في ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م خرج من البحرين واتجه الى قطر وتلقوه طايفة النعيم واكرموه واقام عندهم نحـو مدة شهرين الى أن اتاه الداعي من اهالى البحرين ومن لدن نايب الدولة البهية القيصرية فوصل البحرين ومعـه النعيم (آل جبر) ومن تبعهم الى يومنا هذا ملازمـا الى صحبتهم واعطائهم واكرامهم . وبامضاء الدولة البهية ورضى الاهالي تولى حكومة البحرين . ومن خصالـه الحميدة الكرم المنعوت في حكام العرب السالفة فى العطاء لاهل التوقع والضعفاء وما شابه من العربان والذين يفدون عليـه من البر وفي طبعـه الحلم والسماحة وعدم الاستعجال فى الامور وتدارك الامور بالهون واصلاح ما بين الطرفين بعكس افعال غيره من بعض الحكام في البطش والنهب وهتك الرعايا وفرارهم من ذلك من اوطانهم الى ممالك أخرى ولم يزل يداری خاطر كبراء قومه بالعطاء وما شابه . وقد بانت بسالته وشجاعته حين خان القوم بابيه وقتل في الرفاع من اعمال البحرين وفي بدنه من الصوابات (الجراحات) من الرمح والسيف ما هو بيّن وواضح وكذا فهو مشهور في إحسانه لجماعته واقربائـه يوقـر كبيرهم ويرحم صغيرهم . وقانون هذه الاسرة (آل خليفة وهم من العتوب : انهم ما يزوجون بناتهم احداً الا منهم . وفيهم . والاغلب في حكومته من يرجع امره إلى الشرع ومنهم من يرجع امره الى سالفـة الغوص . وسيرته فى جزيرته البحرين كسيرة العرب وسياسته كسياستهم كمـا تقدم . ولا يعرف من اللغات سوى لغته العربية السالكـه الآن فيما بينهم(١١) .

الشيخ زايد بن خليفة

ساكن ابوظبى

ولد في ١٢٥١هـ ١٨٣٥م اصبح شيخا في ١٢٧١هـ ١٨٥٤م ويتمتع باحترام النـاس ليس في ابوظبى فحسب بل في كافة السواحل العربية والمناطق القبلية الداخلية (حتى لقبه الجميع بزايد الكبير) وانه يراعى مصالح القبائل من غير بنى ياس ايضا وهو موضع ثقتها ويملك عددا من

الخيول والجمال . وهو متعاطف مع رعاياه ويكلمهم بلطف وكرم ويعاملهم معاملة حسنه لكنه شديد مع من يخالفه مثلما حصل قبل ٨ سنوات مع بنى مرة حيث اضطر لنفى زعيمها وأفرادها وقوامهم ٥٠٠ نسمة . وتسود علاقات ودية بينه وبين شيخ دبي وكان يعفى بعض رجال القبائل من دفع الضرائب وفيما يلي اسماء القبائل التى تسكن ابوظبى :

بومهير ، والمزاريع ، والهوامل ، والمحاربه ، وبوفلاسه ، والقبيسات(١٢) .

احمد خان بن مصطفى خان

هو احمد خان بن مصطفى خان حاكم (بستك) وتوابعها . ولد في عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م(١٣) وهو من موظفى الحكومة وسيرته حسنه ورعاياه يحمدون سيرته ويحبونه وهو شخص منصف محب لرعاياه . ويبلغ عدد سكان بستك من ذكور واناث نحو سبعة الاف وثمانمائة وخمسين نفرا منهم ثلاثة الاف واربعمائة وخمسين رجل ومنهم اهل السلاح الف ومائتين نفر . ويتبع بستك خمسين قرية وفيها من الرجال اهل السلاح نحو خمسة الاف نفر . ومكاسب اهل بستك وتوابعها زراعة الحب والشعير والنخيل وبعضهم يقوم بصناعة الشُرُع (جمع شراع للسفن) وبعضهم حماره وجماله وقليل منهم من التجار الذين يتعاملون مع اطراف ايران مثل (لنجه وبندر عباس) والهند واليمن ومحصول ديوان بستك وتوابعها ثمر النخيل وروسية (ضريبة على الرؤوس) ونصف زكاة الزرع ونصف زكاة ثمر النخيل وضريبة على القوافل المترددة من (لنجه) الى (لار) ويدفع ديوان بستك الى (قوام الملك) بتوسط فتحعلى خان حاكم (لار) فى السنة ستة عشر الف قران من المال وبيشيكش . ومذهب اهل بستك سنة شوافع ومتمسكين بمذهبهم . ولا حمد خان بن مصطفى خان اخوان هم : محمد رفيع خان . ومحمد تقى خان . ومحمد عزيز خان . ومحمد رسول خان ، وعيال عمه واخوان زوجته محمد حسن خان واحمد خان . واهل مشورته اخوند شيخ عبدالرحمن وشيخ اسحق وفي هذه الايام اخوه محمد تقى خان اتفق مع بعض الناس واراد الاغتشاش ولكن قبض عليه احمد خان وحبسه كما اصبح أحمد خان حاكما على لارستان وبستك وعمر مدينة جهانكيريه . ولا حمد خان زوجة واحدة . واولاده هم : محمد خان ومحمد ولي خان ومصطفى خان وبنت واحدة . ويسكن احمد خان في بستك . وعدد افراد طائفته نحو مائتين نفر .(١٤) .

سيد محمد سعيد بن (سيد طالب (نقيب البصرة)

والنقيب معناه السيد اى من نسب

الرسول (ص) وكان الاسياد سابقا تابعين للقانون المدنى تحت اشراف زعميهم (النقيب) وعلى الرغم من ان هذه الامتيازات قد الغيت اخيرا الا ان النقيب لا يزال يمارس بعض النفوذ فى الشئون المحلية .

والسيد محمد سعيد البالغ من العمر ستون عاماً يتمتع بشخصية محترمه وتبدو عليه مظاهر الترف وهو نشيط ورياضى وعضو في مجلس ادارة البصرة ورجل مهم جدا خاصة بعد سقوط قاسم باشا الزهير . وقد استقرت اسرته منذ قرون عديدة فى البصرة ويدعى السيد محمد سعيد بانه من اسرة احمد الرفاعى . وتبنى منصب النقيب قبل ٨ سنوات عقب وفاة اخيه السيد عبدالرحمن الذي سبق له ان حصل على هدية من حكومة الهند مكونة من ساعة واسوار اعترافا بمجهوده فى مطاردة القراصنة .
وظلت البصرة والزبير منذ عدة سنوات منقسمتين بسبب المنافسة بين النقيب وعائلة الزهير ونجح السيد عبد الرحمن فى نفى سليمان الزهير من الزبير لكن قاسم الزهير (وليس قاسم باشا) اكتسب نفوذا كبيرا في البصرة وحتى بضع سنوات قبل وفاته كان قد فقد النقيب الراحل نفوذه فى الشئون المحلية . ولما تولى ناصر باشا السعدون منصب الحاكم العام للبصره بذر النقيب الحالي بذور الخلاف بينه وبين قاسم باشا مما ادى الى ضرر للاثنين لكن النقيب استفاد من التطورات(١٥) .

الشيخ خالد بن علي آل خليفة

وهو الشيخ خالد بن علي بن خليفة بن سلمان بن أحمد بن محمد بن خليفة آل خليفة من بنى عتبه ولد في البحرين في عام ١٢٦٩هـ الموافق ١٨٥٣م وله مكانه عند شيخ البحرين ويسكن الرفاع وله املاك ونخيل في البحرين . وعنده بتيل (سفينه) يسافر الى الهند واليمن والبصرة وغيرها وعنده بعض الفداوية وله مقام وحشمه عند اخيه الشيخ عيسى حاكم البحرين الذي تجري احكامه كحكم حكام العرب . ومن اللغة لا يعرف الا اللغة العربية ومن ابنائه (ابراهيم وعلي) و (سلمان وعبدالله) وزوجته بنت حمود آل خليفة وزوجة اخرى من الجلاهمة(١٦) .

الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ عبداللطيف آل مبارك

وينتسب الى بنى تميم ولد في الاحساء عام ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م وكان ابوه وجده قضاة فى الاحساء ومن افاضل سكانها ثم هو واخوانه المشهورين فيها والمعروفين بآل مبارك من اهالى الاحساء . فلما وصل اليها الامام عبدالرحمن بن فيصل عام

١٨٧٥م . سلموا اليه باديتها وحاضرتها ماخلا الكوت الذي تحصن فيه (بزيع باشا) مع عسكر الروميه (العثمانيين) وحدثت حوادث ادت الى خروج (عبدالرحمن بن الشيخ عبداللطيف آل مبارك) واخوانه من الاحساء ووصلوا الى البحرين وبعدها نصبوه حكام البحرين قاضي في المحرق بالبحرين يقضي على الطريقة المالكية وهو مذهب من المذاهب الاربعة واعطوه الحكام بعض النخيل وقوفات لاستقامة حاله وهو لا يعرف سوى اللغة العربية . وتزوج الشيخ عبدالرحمن آل مبارك من ثلاث زوجات هن : بنت عبدالرحمن بن عفالج وبنت احمد ابو اعلجي وبنت جبر الدوسرى . اما اولاده فهم احمد وعلى وعبداللطيف ومبارك(١٧) .

قاسم باشا بن محمد جلبى الزهير

وهو كبير عائلة الزهير الذين ينحدرون من نجد ومن بني صخر من طي ويسكنون (الزبير) التى تقع في موقع البصره القديمة (وسكان الزبير) من اهل نجد نزحوا اليها في فترات من التاريخ الحديث ثم عاد اكثرهم الى بلادهم التى نزحوا منها ـ وفي عام ١٨٧١م لما عزل سليمان (الزهير) من منصبه حل محله قائمقام عثمانى وكان الابن الوحيد الذي بقي على قيد الحياة من اسرة محمد جلبى هو (قاسم باشا) وكان محمد جلبى رئيساً للمحكمة التجارية في البصرة ثم تولى قاسم باشا نفس المنصب وعين رئيسا في مجلس الادارة . وكان مدخوله السنوى ١٠,٠٠٠ جنيه ومن ١٨٧١م الى ١٨٧٦م كان قاسم الزهير اكبر الرجال رسوخا ونفوذا في البصره . وعندما تعرضت الباخرة البريطانية (كاشمير) لغزاة في الخليج وذلك في يوليو عام ١٨٧٣م بذل كل من قاسم باشا وناصر باشا السعدون مجهوديهما للقبض على الجناة ونجحا في محاولتهما وبل قام ناصر باشا بمطاردة الغزاة حتى قبض عليهم . وقدمت له حكومة الهند ساعة وسوارا هدية له لانه رفض ان يقبل من الانجليز تغطية مصاريف المطاردة . وفي عام ١٨٧٦م اصبح ناصر باشا السعدون رئيس المنتفق . حاكما عاما على البصره وبصفته زعيم عربي وكونه حاكم عام كان يتفوق على قاسم باشا نفوذا ومكانة الا ان قاسم باشا كان يتفوق عليه شجاعة وكفاءة . وتعاون الاثنان في ادارة البصرة لمدة . وبرز الخلاف مما افسد العلاقات بينهما فاتجة قاسم الى بغداد واقنع الوالى هناك على طرد ناصر باشا من منصبه واستدعائه الى اسطنبول وبدأ صراع قانونى طويل بينهما طلب بموجبه كل منهما تعويضا من الثانى وصرفا من ضمنه مبالغ ضخمة من أجل الرشوة . وبعد خروج ناصر باشا

من البصرة عاد قاسم باشا لمكانه وقام بتأدية واجباته بكفاءة بالغة مما آثار حسد الاتراك وامره الاتراك بالعودة الى بغداد حيث القى عليه القبض لمدة بعض الاشهر واثناء تواجده فى بغداد بدأت محاكمة محمد صالح جلبى بتهمة التحريض على قتل المهندس الانجليزى (ملنس) وحاول قاسم حصول التوافق بين الوالى السابق وبين الوالى الحالى تقى الدين باشا وايد المتهم محمد صالح جلبى وساعده على الفرار واستدعى قاسم الى اسطنبول فى مايو ١٨٨٠م حيث ظل محبوسا فى انتظار امر من السلطان لكنه عين فيها بعد عضوا للمجلس الاعلى وظل ناصر باشا في السجن فى اسطنبول منذ عام ١٨٧٦م[١٨] .

احمد بن عبدالرحمن

ساكن (الرمس) :

ولد في ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م واصبح واليا على رمس في ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م عين من قبل شيخ رأس الخيمة على أساس انه رجل ذكي . ويزرع سكان رمس التمور ويمارسون صيد السمك وهم تابعون لرأس الخيمة . ومن حيث معتقداتهم فهم سلفيون . ومن مشاهير الرمس يمكن ذكر كل من محمد بن خميس وعلي بن خميس[١٩] .

مجبل عبدالرحمن الذكير

ولد في عنيزه من اعمال القصيم عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م وتنتسب اسرة الذكير الى قبيلة بني خالد وعمل مجبل بالتجارة وخاصة تجارة اللؤلؤ وذلك في (جدّه) وكان يتردد الى الهند والبصرة وفى ١٢٩٤هـ ١٨٧٧م وصل الى البحرين وسكن في المنامة وهو من رعايا الدولة العثمانية وله مكاتبات ومحاورات الى البصرة والاحساء والهند وقطر ومراسلات ليستجلب الاخبار والاسعار ويحترمه حكام البحرين وعنده بيت ملك في البحرين وبيت في عنيزه بنجد وله ابن وجماعة وزوجة وهي بنت مبارك الذكير واولاده عبداللطيف وعبدالمحسن ويفهم اللغة الهندية علاوه على اللغة العربية[٢٠] .

الشيخ مزعل خان (والي المحمرة[٢١]

من فرع المحاسن لقبيلة بنى كعب . له زوجتان . وهو ابن الحاج صابر خان نصرة الملك تولى منصب الوالى بعد وفاة والده قبل سنتين مخلفا اخيه الاكبر الذي لم يحصل على تاييد الناس له وهو ممثل لاشراف العرب . له من العمر ٣٥ سنة وهو شخصية خلابة وانه رجل مخلص وشجاع وسخي وكريم ذو اخلاق حميدة وفارس محنك مما يجعله رجلا محترما بين شعبه المقاتل وذكيا

وحاذقا . ان مهمته صعبة لانه يواجه من ناحية الايرانيين الذين لايرغبون الا في نهب اموال الناس باى طريقة مهما كانت قاسية وغير عادلة . ومن ناحية أخرى أن القبائل العربية التى عانت من قساوة اليد الحديدية منذ ربع قرن ترى بأنه قد حان الوقت للتخلص من نير المحاسن لكن القبائل وجدت بأن الشيخ مزعل خان شديد فى قبضته مثل أبيه .

ويتآمر اخوته ضده بالتعاون مع الايرانيين والعرب . واخوه محمد سجن فى اصفهان من قبل الوالى (ظل السلطان) ويتمتع الشيخ بصداقة المعتمد السياسي الانجليزى ويعمل بالتعاون معه وينفذ رغباته فى مقاطعة المحمرة فى اسر الجناة وتسوية المطالب الاخرى(٢٢).

ابـراهيـم بـن يـوسـف آل ابو آل جلود (آل ابو الطيور)

ولد في البحرين عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م ومسكنه فى المحرق وزوجاته هن : بنت علي بن محمد المناعي وبنت سالـم بن درويش وبنـت عيسى بن خليفة الكبيسى واولاده هم (راشد ويوسف وسالم وخليفة وعلى ومحمد) وعمله فى تجارة اللؤلؤ وغيره وعنده خشب كبار (سفن) تبحر الى الهند واليمن وغيرها . ولما زعل والده من الشيخ محمد بن خليفة خرج من البحرين وسكن في (لنجه) فلما توفي والده فى لنجه بقى ابنه ابراهيم فيها وكان يتوجه من لنجه الى عمان في ايام مشترى اللؤلؤ وبسبب حركات حاكم لنجه استأذن السيد ثوينى بان يسكن (باسيدوه) وادرك ذلك وسكن في بـاسـيـدوه واشـتـغـل بعملـه الى ١٢٨٩هـ وبعدما حكم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين وبلغه حسن سيرته فوصل البحرين وحل فى بيت هو عمَّرهُ وعمر ايضا اماكن غيره وادرك الحشمه والكرامة من الحكام وله نخيل في البحرين وله بيت في لنجه وبيت فى باسيدوه وبيت فى الشارقة وعنده خشب وغواويص ومن اللغات لا يعرف سوى العربية(٢٣).

الشيخ عبيد بن جمعة

هو الشيخ عبيد بن جمعة حاكم جزيره (هنجام) ولد في ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م وهو من كبار (بني ياس) وجماعته من طائفة (بني ياس) وعددهم نحو مائتين نفر وسيرته حسنه وهو رجل عاقل وهادىء الطبع ويستشير جمـاعتـه في جميـع الامـور وهم لا يخالفون له امراً ويطيعونه ويسعى فى اصلاحهم . ومكاسبهم من الغوص ويغـوصـون عـلى الصدف واللؤلؤ ولا عليهم ديوان ويسلمون الى الشيخ عبيد بن جمعه سهم السيب واحد لاجل المصادقة . وجزيرة (هنجام) محسـوبة من تـوابـع (القسم)

ومـذهبهم مالكى . واخـوه محمد بن جمعه . وللشيخ عبيد بن جمعة زوجه واحدة وولدين هما : سعيد وجمعـة وابنتـين ومحـل سكنـاه هنجام(٢٤).

الشيخ سلمان بن دعيج آل خليفة

هو الشيخ سلمان بن دعيج .

من بنى عتبه ويسكن (الشريبه من اعمال البحرين وزوجته بنت يا سر واما زوجته الاخرى فهى بنت راشد بن خليفة آل خليفة . وابناؤه هم : (خليفـة وصباح وابـراهيم ودعيج وبشر ومحمد) .

ولد الشيخ سلمان بن دعيج في البحرين عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م وله حشمه وشأن لدى الشيخ عيسى حاكم البحرين وهو من اقربائه المعزوزين فلهذا زوج الشيخ عيسى ابنته لابن الشيـخ سلمان بن دعيـج . وكان الشيخ سلمان يسكن في الشريبه ، ولكن عنده زوجة فى المحرق وهى من بنات الشيخ محمد بن خليفة ويتردد ما بين المحرق والشريبه .

وعنده بعض خشب للغوص . وهو لا يعرف سوى اللغة العربية(٢٥) وذكر البنهاني كيف توفى فى احدى سفـراتـه للقنص في عـام ١٣١٨هـ ـ ١٩٠٠م(٢٦).

فضيلـة الشيـخ جـاسم بن مهزع

من آل مهزع يسكن المنامة وولد فيها عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م وقد تعلم فى الاحساء ثم عاد الى البحرين فصار قاضيا فيها عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م وذلك بعد عـزل قاضيهـا الشيخ عبدالرحمن بن جعفر . وكان الشيخ جاسم المهزع يقضى فى القضـايا البسيطة بلا مراجعة بينما يقضى فى القضايا الكبيرة بامر ومعاودة حاكم البحرين وبرضى الطرفين وكان يجرى احكامه على المذهب المالكى احد المذاهب الاربعة وهو مذهب حكام البحرين .

وللشيـخ المهزع امـلاك وحضور اسماك . وهو قاضى في المنامة وبينه وبين قـاضى المحرق بعض النفسانية ومن اللغة لا يعرف الا اللغة العربية .

زوجاته : بنت احمد بن محرى وبنت محمد بن حسن فليفل وبنت على بـن زيـد واولاده عبـد الـرحمـن وعبدالوهاب ومحمد(٢٧).

الشيـخ احمد بن الشيـخ سلمان

ولـد الشيخ احمـد بن الشيخ سلمان في قرية (الشاخوره) من اعمـال البحـريـن عـام ١٢٥٧هـ/١٨٤١م وهو من علماء

الشيعة الاثنا عشرية الاخبارية ومن قبل عشرين سنة توجه من البحرين الى شيراز أى في عام ١٨٦٢م وتعلم العلم ودرس فيها عند علمائها وبلغ درجة الاجتهاد ورجع الى البحرين منذ نحو ثلاثة عشر سنة وسكن في البحرين ومنذ نحو احد عشر سنه نصب من قبل الحكام قاضيا يقضى بين الشيعة على المذهب المذكور . وهو مدقق فى الاحكام الشرعية وعفيف ويملك بعض النخيل مما يقوته منها ويوصله بعض جماعته من البحارنه بالمال على هيئة هدايا واحيانا عن طريق الوصية ومن قاعدة البحرين اذا تخاصم سني وشيعى يفصل بينهما قاضى السنة واذا كان المدعى والمدعى عليه من الشيعة يفصل بينهم هذا الشيخ احمد . وهو يفهم اللغة الفارسية ويعرف قراءتها . وله ثلاث زوجات هن : بنت الحاج حسن وبنت احجير وبنت الشيخ حسن ومن الاولاد : علي وسلمان وابراهيم(٢٨) .

القاضي عبدالله بن سعيد

من منطقة (الخرج) في نجد والساكن فى الشارقة والحيره ولد في ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م وهاجر من نجد الى عمان في ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م بناء على ايفاده من قبل الامام ابن سعود لدعم الدعوة السلفية هناك ووصل اولا الى ام القيوين ثم الى عجمان لكنه رحل من هناك الى الشيخ (خالد بن سلطان) الذي عينه اماما في احد المساجد وقام بمعاقبة الاشخاص الذين لم يؤدوا الصلاة خمس مرات يوميا في المساجد واتجاه ذلك فقد وقف البعض موقفا سلبيا تجاه القاضى عبدالله بن سعيد فقدموا ضده شكوى الى حاكم الشارقة فاضطره للرحيل إلى الحيره(٢٩)

شيخ محمد علي بن الشيخ عبدالله آل الشيخ علي

ولد في (جد علي) من اعمال البحرين عام ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م ومسكنه فى قرية (سترة) وزوجاته ثلاث هن : بنت الحاج عبدالله وبنت صالح وبنت الحاج عبدالله. واولاده هم :

(الشيخ عبدالله والشيخ جعفر ومحمد حسن) ، والشيخ محمد علي بن الشيخ عبدالله هو احد علماء الشيعة الاثنا عشرية الاخبارية سابقا وكان ابوه من عمدة علماء البحرين المشهورين وقد درس على يد والده في البحرين . وهو من افاضل علمائها حاضرا من الاخباريين وفيه خصال حسنه وسكينه ووقار وحلم ويقضى بين الشيعة من قديم برضى الطرفين وله ولد عالم فاضل قد درس على يده فى البحرين ويملك فيها ويمده البحارنه سكان قرية سترة وغيرهم ببعض الهدايا لاستقامة حالة ولا يعرف من اللغات سوى العربية(٣٠) .

الشيخ عبدالوهاب سلمان آل خليفة

وهو من بني عتبه ولد في البحرين عام ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م وزوجته بنت عبدالعزيز وولده عبدالرحمن ومسكنه في المحرق، وكان وزير الشيخ عيسى بن علي حاكم البحرين وملازما لوزارته من سابق قبل ان يتولى حكومة البحرين فلما تولى كان تدبير املاك الشيخ عيسى بيده وكذلك الكمرك. وهو عم ابيه واحيانا في بعض الامور يستشيره الشيخ عيسى وهو متولى خرجه. وسيرته مع الرعايا حسنه وهو الان ضرير (اعمى) وعنده املاك من النخيل. ولا يعرف من اللغات سوى العربية[٣١].

يحى بن آدم

وهو من سكان المحمرة وعمره الآن في ١٨٨٢م حوالى ٧٠ سنة. وله زوجتان و ٦بنات وابنان احدهما اسمه مسلم وعمره ٢٥ سنه والآخر اسمه حاتم وله من العمر ٣٠ سنة. كان قديسا للصابئة والذين يبلغ عددهم حوالى ٣٠٠٠ نفر وهم منتشرون بين هور الحمّار والقرنه جنوب العراق وينتمي الصابئة الى حوالى ١٢ اسرة. وكان الشيخ يحى كاتبا في القنصلية البريطانية وذلك قبل بضع سنوات. وعندما انتشر الطاعون في بغداد توفى عدد كبير منهم. وان معظمهم حرفيون كالحدادين والصاغة الذين يعملون في الفضة والذهب وغيرهما. ويمارس بعضهم التجارة وبعضهم يعملون لدى الايرانيين في كل من ديزفول وشستر في الحقول. ويصلى الصابئة مرتين في اليوم اي صباحا ومساء ويحتفلون في ٤ اعياد وهي (١) مولد يوحنا المعمدان و (٢) عيد العماد لـ ٥ ايام في آخر السنة و (٣) ديهو ديمن بعد ٦٠ يوما من عيد العماد و (٤) عيد رأس السنة.

وينافس حاليا الشيخ طهان، الشيخ يحي ويزعجه دائما والشيخ طهان رجل ثري ويؤيده العثمانيون.[٣٢]

حمود بن ابراهيم

هو حمود بن ابراهيم ولد في عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م وهو من نواكر الشيخ يوسف بن محمد حاكم بندر (لنجه) وجميع محاكماته مرجعها الى حكومة بندر لنجه وسيرته متعلقة بسيرة حاكم بندر لنجه ليس بيده امر ونهى بل هو مناظر في الامور. وكنك قرية من قرى لنجه واقعة شرقي بندر لنجه بثلاثة اميال وكنك في السابق بلدة كبيرة ومن تواريخ قبورهم يصير معلوم انها منذ عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م بلد بأتم العمران وتبين ان خرابها في عام ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م. ومن اثار

الخرايب التى فيها ان اثارها الموجودة تدل على ان فيها بنايات فاخرة وان اهلها كانوا اهل ثروة . وفيها من البرك نحو ثلاثين بركة وقد خرب بعض منها والبعض الآخر عامرة وفيها الماء العذب . ويقدر عدد سكانها نحو اربعمائة نفر ومكاسبهم في الغالب من صيد السمك في بعض الاوقات بأطراف لنجه وبعض الاوقات يصيرون الى فيلجه (فيلكا) و (المطاف) و بر (الجاشك) وبعض منهم اهل الزرع والنخيل وبعض اهل الصنعة ملا ل ومراطبين وصحون من طين الفخار ومعاضد من الفرش ينقلونها الى الاطراف ويبيعونها هناك . ومحصول الديوان من الاخشاب كل محمل من عشرين ريال ونازل ومن البغال في السنه كلاته ومن البحريه ريالين وتمر النخيل والزرع عُشر احد عشر ومن النخيل ديوان ، ويأخذ منهم الديوان حاكم بندر لنجه وكذلك يأخذ منهم غرامات من عشرة روبيات ونازل . واهل (كونك) يشكون التظلم ومذاهبهم سنه شوافع وقليل شيعه ومن النواكر في كونك الشيخ يوسف . ويسكن حمود بن ابراهيم قرية كونك وله زوجة وليس له اولاد فهو عقيم .(٣٣)

عبدالرحمن بن ابراهيم

ولد في حريمله في نجد سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م وهو من تميم وسكن المنامه وكان يعمل في التجارة ما عدا تجارة اللؤلؤ ويتردد بين الاحساء والبحرين ومن مدة ثمان سنوات اي سنة ١٨٣٦م سكن البحرين وعنده فيها بيت يملكه الى يومنا هذا (١٨٨٢م) وكان وكيلا الى جاسم بن محمد بن ثاني ومحمد بن عبدالوهاب الفيحاني وتجارته مع اهل الاحساء ولا يعرف سوى اللغة العربية ومتزوج ولم ينجب اولاد (٣٤) .

على بن عيسى آل بنعلى

ولد في البحرين عام ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م ويسكن المحرق وله زوجتين احداهما بنت ابراهيم بن حسن والاخرى بنت على بن راشد . وولدان هما محمد واحمد . وعلى بن عيسى البنعلى من عمدة وكبار آل بنعلى وابوه خال على بن خليفة والد الشيخ عيسى بن على حاكم البحرين وعنده بعض النخيل في البحرين ويوصله حكام البحرين احيانا . وعنده خشب للغوص . وهو كريم النفس وصاحب سكينة ووقار ، ويوصل جماعته بالعطاء واستقامة الحال ولا يجيد سوى العربية (٣٥).

الشيخ حسن بن الشيخ عبدالله محمد الحمادى

وهو حاكم (مكام) او (مقام) و

(نخيلوه) وتوابعها ولد في عام ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م وهو من مراتب اهل الحكومة وسيرته ليست مرضيه وهو متعلق بسيرة ابيه الشيخ عبدالله ويقيم في (مكام) وعدد سكان (مكام) نحو اربعمائة نفر ومكاسبهم من النخيل والمزارع وصيد السمك والبحرية .

ومحصول ديوانهم من الديوان النخيل وتمر النخيل والمزارع والغرايم وتقدر بنحو ثمانية الاف قران ويسلمون الديوان الى ابيه الشيخ عبدالله محمد الحمادى وعدد الذين يحملون السلاح مائتي نفر . ومذهبهم شوافع سنيون . وعدد افراد طائفة الشيخ حسن المذكور نحو ثمانين شخصا وله زوجة واحدة وليس له اولاد (٣٦)

الشيخ على بن محمد بن خليفة آل خليفة

هو الشيخ على بن محمد بن خليفة بن سلمان بن احمد (الفاتح) بن محمد بن خليفة آل خليفة من (بنى عتبة) ومسكنه البحرين في (المحرق) وزوجته بنت الشيخ محمد بن سلمان بن احمد (الفاتح) واولاده هم (محمد ، حسن ، احمد وعبدالله) .

ولد في البحرين سنة ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م وانه اقبل واركد اخوته وملازم بيته ومجلسه ولا يخرج الا للسلام على ابن عمه الشيخ عيسى بن على حاكم البحرين . واما سيرته فسيرة حميدة . ويملك بعض النخيل حيث يدخل عليه منها في السنة نحو الف وسبعمائة قران . كما يستلم من الشيخ عيسى بن على في كل شهر اربعمائة قران وهو لا يعرف لغة اخرى سوى اللغة العربية (٣٧)

محمد بن سالم

هو الشيخ محمد بن سالم حاكم جزيرة (الشيخ شعيب) نائب من جانب الشيخ حسن بن عبدالله محمد الحمادى ولد عام ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م وهو ليس من موظفي الحكومة وسيرته مرتبطة بسيرة الشيخ حسن بن عبدالله الحمادى وعدد سكان جزيرة الشيخ شعيب حوالى مائتين شخص ومنهم نحو خمسين رجل من اهل السلاح ومكسبهم غواويص وصيادى السمك والنقل البحرى . ومحصول ديوانهم من الغرامات واخشاب الغوص في كل سنة بقدر اربعمائة وخمسين قران يسلمون الديوان الى الشيخ حسن بن عبدالله الحمادى ومذهبهم سنة شوافع وله اخ اسمه سلطان بن سالم . وعدد افراد طائفة الشيخ محمد بن سالم نحو خمسة وعشرين نفر ويسكن في جزيرة الشيخ شعيب وله زوجة ولكن ليس له اولاد (٣٨)

مبارك بن سلطان آل بنعلي

ولد في البحرين عام ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م ويسكن المحرق وزوجته بنت راشد وله اولاد هم (خليفة وعلى وعمر (عمرو) وهو من كبار آل بنعلى ويملك بعض النخيل في البحرين وعنده خشب (سفن) غوص وغواويص . يبيع ويشترى في اللؤلؤ . وهو موقر ومحتشم عند حكام البحرين ولكنه الآن ضعيف النظر ولا يعرف من اللغات الا اللغة العربية (٣٩)

الشيخ ابراهيم بن عبدالله محمد الحمادى

وهو حاكم (كلات) ولد في عام ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م وهو من موظفى الحكومة وسيرته متعلقة بسيرة ابيه الشيخ عبدالله بن محمد وهو من جانب ابيه حاكما في (كلات) وعدد سكان كلات نحو مائة وعشرين نفر . منهم اهل السلاح نحو خمسين شخصا . ومكاسبهم من صيد السمك والنخيل والمزارع وينقلون الملح من كلات الى لنجه وقيس وعمان وملح كلات هى عين من الجبل تنزل الى تحت الجبل ويجمد . وكلات من توابع (مرباخ) ديوانهم يقدر بنحو ثلثمائة قران في السنة يسلمونها الى الشيخ عبدالله بن محمد الحمادى . ومذهبهم شافعي من اهل السنة . وكلات بندر الى مرباخ . ومرباخ في البر مسافة اثني عشر ميلا بعيدا من كلات . اما الشيخ ابراهيم بن عبدالله بن محمد الحمادى فيسكن (كلات) وله فيها من طائفته نحو ثمانين نفر وله زوجة واحدة وليس له اولاد (٤٠).

عبدالعزيز بن محمد بشير

هو عبدالعزيز بن حاج محمد بشير حاكم (اشناص) ولد عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م ويعمل مأمورا من جانب الشيخ يوسف بن محمد حاكم بندر لنجه . واشناص قرية من قرى لنجه واقعه غربي بندر لنجه بستة اميال . وسيرة عبدالعزيز متعلقة بسيرة الشيخ يوسف بن محمد حاكم بندر لنجه بسبب ان جميع محاكمة اشناص راجعة الى حاكم بندر لنجه بكافة درجاتها وتنفيذ اوامر الشيخ يوسف على يد عبدالعزيز بن حاج محمد بشير وعدد رجال (اشناص) نحو مائتين نفر ويعملون في الاعمال البحرية كصيد السمك وكذلك الزراعة وخاصة النخيل وديوان اشناص من النخيل ومن تمر النخيل ومزارع عشر احد عشر وغرايم من كل رجل عشرة ربيات ونازل . الرعايا يحمدون سيرة حاكمهم ولكن غير راضين عنه بسبب اخذ الغرامات . وعدد انفار طائفة عبدالعزيز خمسة عشر نفر ويسكن اشناص وله زوجة واحدة وولد اسمه

يعقوب وبنت واحدة (٤١).

عبيد بن جرش

من قبيلة السودان ساكن (الخان) ولد في عام ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م ويزعم انه من قبيلة السودان وهو تابع لشيخ الشارقة ويشارك معه في حملاته برجاله ومعداته ومقابل هذه المساهمة لا يدفع ضريبة او خراجا للشارقة لكنه يدفع ٥٠٠ كران الى رئيس الشارقة من اجل خدمة النقل البحرى بين خان وبين دبي التى ينظمها بواسطة قواربه . وفيما يلى اسماء الرجال القبليين البارزين في الخان :ـ

سعيد بن جرش ، جرش بن عيسى بن جرش ، حوت بن سارون .

ويمارس سكان خان صيد السمك وصيد اللؤلؤ وزراعة النخيل على نطاق ضيق . ويحصل عبيد بن جرش على الهدايا من سكان الخان .(٤٢)

الشيخ احمد بن محمد الكوهجي

هو الشيخ احمد بن محمد كوهجي وهو قاضى ومفتي (بستك) وجهانكيريه وتوابعها وكان مدرسا في مدرسة العلوم الدينية في (كوهج) ولد في عام ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م ويعمل في القضاء وسيرته حسنة وهو عالم فاضل يرجع اليه اهل بستك وتوابعها في امورهم الشرعية ويعتقدون بامانته ولا يسعهم خلافه ومذهبه شافعي وفي هذه السنة ١٨٨٢م توجه الى مكة المكرمة وقصد الاقامة فيها سنه . وعدد افراد طائفته نحو مائة نفر . وله زوجة . وأولاده هم : الشيخ شافعي والشيخ عبدالرحمن والشيخ محمد عقيل ، وثلات بنات . ومحل سكناه كوهج وهي من قري بستك (٤٣) . توفي الشيخ احمد الكوهجي ليلة الجمعة في الثانى والعشرين من ربيع الثانى ١٣٠٠هـ وقد أرخ الشاعر سنة وفاته بقوله (شيخ احمد في جوار الله) . وكانت قرية كوهج مركزا للعلماء والقضاة في منطقة جهانكيريه ولارستان (٤٤) .

الشيخ يحي شيخ محمد كمال

هو الشيخ يحي بن الشيخ محمد كمال القاضى في جزيرة (القسم) وتوابعها ولد فى عام ١٢١٦هـ الموافق ١٨٠١م وكان يعمل قاضيا وسيرته حسنة فهو رجل فاضل عالم عادل في احكامه ومحمودة سيرته في جميع الامور يسعى في الاصلاح ورفع المظالم واهل جزيرة القسم جميعهم يرجعون اليه في خلافاتهم ولهم عقيدة وايمان كامل فيه ومذهبه شافعي وله ثلاث زوجات واولاده هم : الشيخ محمد والشيخ زكريا والشيخ عبدالرحمن والشيخ صالح والشيخ ابراهيم والشيخ اسماعيل والشيخ

احمد وله اربع بنات ويسكن في (بندر على) وهي قرية من قرى القسم وعدد افراد طائفته نحو خمسين نفرا .(٤٥)

الشيخ ابراهيم بن محمد بن عبدالله المعينى

هو الشيخ ابراهيم بن محمد بن عبدالله المعيني حاكم جزيرة (القسم) (٤٦) ولد في ١٢٥٨هـ ١٨٤٢م ومرتبته ما هو من الحكام ولكن محسوب عليهم وقبل حكومته كان تاجرا يبيع ويشترى ويسافر الى البنغال نوخذه . وفى هذه السنة (١٨٨٢م) نصبه حاكم (بندر عباس) فى منصب الحكومة . وسيرته حسنه وهو رجل فقير ومنصف لرعاياه يحمدون سيرته الهادئة ويشاور جماعته فى الامور ولا يحب الفساد واهل جزيرة القسم كلهم راضين عنه . وجزيرة القسم هى اربعة واربعين قرية ومحل الحكومة (القسم) ويبلغ عدد سكان القسم وتوابعها ١٥,٩٨٣ شخص ومكاسب اهل القسم يعملون نواخذه فى البحر وصيد السمك وبعضهم تجار يبيعون ويشترون وبعضهم ينسجون جوادر ووزره وجيت من غزل الولايتى وباقى اهل القرى اهل نخيل وزرع وصيد سمك ونواخذه وبحرية واصحاب الخشب ينقلون الملح الى مسقط والحطب الى الاطراف وهم ناس فقراء مساكين ومحصول ديوان (القسم) وتوابعها فى السنة من كل بغله (سفينه) كلاته (اجور) ومن (البقاقير) كل بقارة ثلاثين قران زايد ناقص على حسب الكبر والصغر والهوارى وصيد السمك فى السنة ثلاثة قرانات والحضور التى يصاد فيها السمك عشرة قرانات ومن كل جمله فى السنة قرانين وثمرة النخيل والزرع والعشر احد عشر . ومن المعادن الملح فى السنة بقدر الفين قران وتسليم الديوان إلى حاكم بندر عباس .

وفي هذه السنة يقدر ستة عشر الف قران مع البيش كش ومخارج . واهل الجزيرة سنة شوافع وقليل من الشيعة .

والشيخ ابراهيم بن محمد بن عبدالله المعينى له زوجتان وبنت واحدة مسكنه في (قسم) وعدد افراد طائفته نحو مائتين نفر .(٤٧)

عبدالرحيم بن علي بن سلطان

هو عبدالرحيم بن علي بن سلطان حاكم (شيووه)(٤٨) من جانب الشيخ حسن بن عبدالله الحمادى(٤٩) ولد في ١٢٦٠هـ الموافق ١٨٤٤م وهو ليس موظفا من قبل الحكومة بل من النواكرة (النواخذة) وهو من بني حماد . وسيرته ليست حسنه وهى متعلقة بسيرة الشيخ حسن . ويبلغ عدد سكان (شيووه) ثمانين

نفرا . ومكاسبهم من صيد السمك ومن النخيل والزراعة والنقل البحرى ومحصولهم من الديوان من النخيل وثمرة والمزارع والضرائب نحو ثمان مائة قران يسلمون ديوانهم الى الشيخ حسن بن عبدالله الحمادى . ومن اخوان عبدالرحيم : سلطان وليس لسلطان وظيفة فى الحكومة وهم على المذهب السني الشافعى .

وعدد افراد طائفته نحو ثلاثين شخصا . لعبدالرحيم زوجة واحده وولدان هما علي ومحمد .(٥٠)

احمد بن سعد الدوسري

ولد في (الزلاق) من اعمال البحرين في ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م وهو من كبار رجال قبيلة الدواسر ويسكن فى البديع وزوجته بنت (يوسف ..) وله من الاولاد (علي وعيسى وعبدالله) ومن قديم الزمان قد انتقل بعضهم الى البحرين (يذكر لوريمر انهم نزلوا فى البحرين عام ١٨٤٥م)(٥١) وسكنوا فيها . وكلمة احمد بن سعد الدوسرى مسموعة وهو ينوب عنهم وكلمته هى كلمتهم وعنده بعض الغواويص ويبيع ويشترى فى تجارة اللؤلؤ ، كما يملك بعض النخيل . ولا يعرف من اللغات سوى اللغة العربية .(٥٢)

حسن بن سعد الدوسرى

ولد في البحرين فى ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م ويسكن (البديع) من اعمال البحرين . وزوجته بنت خميس واولاده هم : (عبدالله ومبارك وصالح وسعد) وهو من قبيلة الدواسر المشهورة والنازحين من وادى الدواسر بنجد . ومن قديم الزمان انتقل بعضهم الى البحرين وسكنوها واصبح حسن متولى على جماعته وكلمته مسموعة فيهم وعنده بعض الخشب (السفن) للغوص وبعض خشب صغار يسافرون بها الى العقير ويقوم ببيع وشراء اللؤلؤ ويملك بعض النخيل . وهو لا يعرف سوى اللغة العربية .(٥٣)

شاهين بن جمعة الدوسرى

ولد في الزلاق من اعمال المنامة بالبحرين فى سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م وزوجته بنت ابراهيم .. واولاده (أحمد وعبدالله وخميس) ويسكن البديع فى البحرين وهو احد كبار الدواسر الذين هم في برالمول بوادى الدواسر المشهور بنجد ومن قديم الزمان انتقل منهم اناسا ووصلوا البحرين وسكنوا وتكاثروا فيها الى يومنا هذا . ولشاهين بن جمعة كلمته المسموعة فى جماعته وعنده بعض الغواويص ويتعامل باللؤلؤ وعنده بعض النخيل ويعرف من اللغات العربية فقط .(٥٤)

شيخ ابراهيم بن شيخ مذكور:

هو الشيخ ابراهيم بن شيخ مذكور حاكم (طاهرى) وتوابعها على

الساحل الشرقي للخليج العربي ولد في سنة ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م مرتبته من اهل الحكومة وسيرته ليست حسنه فهو طفل ولا يصلح للعمل الحكومى بسبب انه صغير . وجماعة طاهرى وتوابعها نحو سبعمائة نفر منهم اهل السلاح بقدر ثلاثمائة شخص ومكاسبهم من الزرع والنخيل وصيد السمك والبحرية وقليل منهم من اهل البيع والشراء ومحصول ديوانهم من الكمرك والاخشاب (السفن) وكل خشب يؤخذ منها كلاته وضرائب على الزرع ومن ديوان تمر النخيل نحو تخمين خمسة عشر الف قران يسلمون ديوانهم الى (نوزر ميرزا) حاكم قلدار ونائبه (سالم خير الله) وهو من خدامهم المقربين اما الذي يقضى اشغاله فهو الشيخ حسن بن اسماعيل القاضي .

ومذهبهم سنة شوافع وقليل من الشيعة . وليس له زوجة ولا اولاد ويسكن (طاهرى) .(٥٥)

الحاج محمد بن الحاج حسين

الحاج محمد الحاج حسين (البارشاهي) القاضي ولد في سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م وهو رجل عالم وسيرته حسنه وعادل مع كل من يستفتيه يجاوب على حسب استفتائه . واهل (لنجه) وتوابعها مرجوع امورهم اليه بتدبير حكم بندر لنجه فهو يحكم بينهم وله قصص وكرامات وهو رجل مسن وتعبان ويمتنع عن المحاكمه ولكن ما يسمعون منه وحاولت الحكومة الايرانية القبض عليه فتحصن فى (كلاه سرخ) وضرب النقود باسمه فهادنته الحكومة حتى سلم نفسه فاعدمته عام ١٢٩٥هـ (٥٦) هذا حقيقة حاله . ومذهبه شافعى واولاده لا يميلون الى القضاء والفتاوى .

وللحاج محمد حاج حسين زوجة واحدة وله ولدان هما (ملا علي وملا حسن) ومحل سكناه (بارشاه)(٥٧)

الشيخ محمد بن سيف

هو الشيخ محمد بن سيف حاكم (نابند) ولد سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م وهو من طائفة الحكومة وسيرته ليست مرضيه تحت حكومة (عسلوه) وسكانها حوالى مائة وخمسين نفر ومكاسبهم غواويص وملاحين وزراعة النخيل وصيد السمك ومحصول ديوانهم من النخيل والمزارع والاخشاب والغرامات والضرائب بقدر الف وخمسمائة قران يسلمون ديوانهم الى حاكم عسلوه وهم ناس شديدين ومذاهبهم سنة شوافع وقليل منهم شيعة . ولمحمد بن سيف زوجتان وولدان هما : صقر وعبدالله . وعدد افراد طائفته اربعين شخصا .(٥٨)

سعد بن عامر الهزانى

وهو من سكان المنامة بالبحرين وزوجته بنت محمد بن زايد بنت عنبر وينتمى الى قبيلة الهزازنه من (بني وائل) وله اولاد سبعه هم : راشد وعبدالرحمن وزيد ومحمد واحمد ويعقوب ويوسف .

ولد في البحرين عام ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م وكان امير سوق المنامة بالبحرين وضابط سوقها ودكاكينها وحكمه ماضي فى الادنى (من الاحكام) بلا مراجعة الشيخ عيسى حاكم البحرين وفى الاعلى مع المعاودة . ويدخل عليه الرسومات ونطاير (رسوم حراسة المخازن والدكاكين) وتحت يده نخيل كان الشيخ عيسى بن علي آل خليفة قد قدمها منحه اليه يستحصل ثمرها . وكان سعد بن عامر ينظر فى الدعاوى الادنى (البسيطة) .

اما الاعلى فيقتصر عمله على المصالحة . وقد كان سابقا فى حياة الشيخ علي بن خليفة بن سلمان بن أحمد الفاتح اميرا في السوق كذلك ومجرى احكامه كمجرى احكام حكام العرب . وكان لا يعرف الا اللغة العربية فقط .(٥٩)

مير حمزة ابن مير حجى

من قبيلة (رند)
وساكن (جسك)

وعمره حوالى ٧٠ سنة . وكان يعمل نائبا لابيه ويملك ٢٥ فرسا وهو فارس شجاع يقاتل وهو لا بس درعه وعندما توفى أبوه فى حوالى عام ١٨٥٢م كان حمزه قائدا لقلعة جسك واستمر فى هذا المنصب لمدة عام حيث خلف ابيه فى الحكم .

ولكنــه الآن رجــل غــير ذي شان .(٦٠)

ميرزا ابو الحسن خان

مشير الملك سابقا وزير لولاية فارس

ساكن (شيراز) وأبـوه ميرزا محمد علي مشير الملك الراحل عمره حوالى ٧٦ سنة وكان رجلا ذا نفوذ وهو فى منصبه ويتمتع باحتـرام الجميع لكنه الآن يمارس التجارة والزراعة.

الشيخ سلطان بن حسين المرزوقي

وهو حاكم (مغوه)(٦١) وتوابعها على الساحل الشرقي من الخليج العربي ولد في ١٢٢٩هـ / ١٨١٤م ومرتبته من اهل الحكومة . وابن اخيه راشد نايب حكومته في مغوه وعلي بن احمد اخوه الثانى حاكم فى الحسينه وهى من توابع مغوه . ويوجد فى مغوه وتوابعها خمس قرى

وعددهم من الرجال نحو سبعمائة نفر مكاسبهم من النخيل والزراعة وهم اهل خشب (سفن) بحرية ونواخذه وصيادى سمك ومحصول الديوان من النخيل والروسية كل انسان على حسب ما له يسلمون الديوان الى فتحعلى خان قراشي ثلاثة الاف وخمسمائة تومان . مذاهبهم سلفيون . حنابله وسيرة الشيخ سلطان رجل عاقل صاحب تدابير وحيل ويصلح فى امور جماعته ويسعى لهم بالاصلاح ولكن جماعته ناس مغرورين وفي اغلب الأوقات يخالفون رأيه ومنهم أهل السلاح وعددهم نحو اربعمائة رجل . وتحت سلطته جزيرة (فرور) . وله زوجة وليس له أولاد . وقد بنى له فيها بيتا وغرس فيها نخيلا ومزارع للحبوب ويسكن فيها نحو عشرين نفر وللشيخ سلطان زوجة واحدة ولم ينجب أولادا[٦٢]

الشيخ محمد بن حسن

هو الشيخ محمد بن حسن حاكم (جارك) ولد في عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م وهو من موظفي الحكومة وسيرته مرضية الى حدما . ويقدر عدد سكان جارك وتوابعها بنحو ثمانمائة نفر منهم نحو خمسمائة نفر من اهل السلاح وفيهم ناس شديدين ولهم جرأه فى الحروب ولكن يدهم قصيرة لضعف حالهم . ومكاسبهم من الزرع والنخيل وهم اهل خشب ونواخذه بحرية وصيادي سمك ومحصول الديوان من النخيل والزرع وروسيه (ضرائب على الرؤوس) يسلمون الديوان الى فتحعلي خان القراشيه فى السنة ستة الاف قران ومذاهبهم سنة شوافع . واخوانه هم : الشيخ يوسف والشيخ بركات . واما عدد قرى جارك فهى ستة قرى . ويسكن الشيخ محمد بن حسن فى جارك وله فيها زوجتان ولكنه عقيم ليس له اولاد . وعدد افراد طائفته نحو خمسين نفرا .[٦٣]

محمد بن علي ملا قمبر لارى

ولد محمد بن علي ملا قمبر لارى حاكم (كابندى) وتوابعها على الساحل الشرقي للخليج العربي وكانت تحت حكومة فتحعلي خان القراشي ولد في سنة ١٢٥٠هـ ١٨٣٥م ومرتبته ليس من الحكومة بل تحت امر فتحعلي خان وسيرته ليست حسنه مع رعاياه الذين يشكون من ظلمه . وسكان الكابنديه وتوابعها نحو الف وخمسمائة نفر منهم من اهل السلاح نحو ستماية نفر ومكاسبهم من النخيل وزراعتهم التبغ والقمح والشعير وهم جمّاله وحماره ومحصول ديوانهم من تمر النخيل والمزارع والجمال والحمير، والضرائب على الرؤوس في كل سنة نحو ثمانين الف قران ويسلمون ديوانهم الى فتحعلي خان القراشي . واخوان محمد بن علي هم :

عبدالله ومحمد رفيع وصادق وهم على مذاهب الشيعة والسنة الشوافع . ولمحمد بن علي زوجتان وولدان هما (اكبر وباقر) وعدد افراد طائفته ثلاثمائة نفر .(٦٤)

الشيخ عبدالله بن محمد الحمادي

هو الشيخ عبدالله بن محمد الحمادى حاكم (مرباخ) وتوابعها . ولد في ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م ومرتبته من اهل الحكومة وسيرته ليست حسنه (على حد نظر الكاتب بوربوث) وعدد سكان مرباخ تسعمائة نفر وتتبعها تسعة قرى ومكاسبهم من النخيل والزراعة وصيد السمك والنقل البحرى والغوص ، ومحصول ديوانهم من النخيل والمزارع والضرائب حوالى سبعة الاف قران . ويسلمون ديوانهم الى فتحعلي خان القراشي ومذهبهم سنة شوافع . ومنهم اهل السلاح يقدرون بنحو خمسمائة شخص . وعدد الطائفة التابعين للشيخ عبدالله بن محمد الحمادي فى مرباخ نحو ثمانين شخصا . وله زوجة واحدة واربعة ابناء هم الشيخ محمد والشيخ احمد والشيخ حسن والشيخ ابراهيم وله بنتان .(٦٥)

مير محمد بن مير حسين ابن مير حجي

من (سيراف) وكان لميرحجى ٩٧ زوجة وافضلها نسبا كانت ام مير حسين من قبيلة (رند) ومستقرها سيرتق او (سيراف) وتسمى اليوم (طاهري) يُعتبر مير محمد اعرقهم نسبا وكان رئيسا للاسرة . وواليا مشاركا مع (شاهداد) من ١٨٥٧م الى ١٨٧٤م لولاية (بيابان) ثم تشاجر مع يوسف في حوالي ١٨٧٨م وتحالف عبدالنبى الذي منح له ولاية (بيابان) فاستمر فى هذا المنصب لمدة سنتين .

وفي صيف ١٨٨٢م جاء له داد محمد لجمع الضرائب منه . وكان داد محمد ابن عمه مير نواب وكان ممثلا للوالى شاه داد وقال مير محمد بانه سيدفع الضرائب مباشرة الى مير شاه داد وطرد داد محمد من بيته . وعاد (داد محمد) مرة اخرى حيث تعرض لا عتداء من رجال مير محمد ولما خرج مير محمد من بيته اطلق داد محمد النار عليه واصابه بجروح فى ذراعه .

فخرج حجى واطلق النار على داد محمد وهاجمه رجاله ايضا فمات داد محمد نتيجة جروجه . واوقف القتال بين الطرفين عندما تدخلت نساء البيت لوضع حد للنزاع بين الطرفين .(٦٦)

سيد ناصر بن سيد أحمد

ان السيد ناصر بن السيد أحمد رجل مجتهد ذو نفوذ ومحترم في مجتمع البصره ونواحيها وعمره ٤٥ سنة ومواطن بحريني . تلقى تربيته فى مسقط . وانه أصولى فى معتقداته . متفتح فى افكاره وودود وأنيس . قد شاعت قبل بضعة اشهر بان مجتهدا آخر يحسده ويريد اغتياله فكان يحرسه ٣ رجال مسلحون أينما ذهب مما اثار غضب الوالى العثمانى على أساس بأن مثل هذا التصرف يعكس عدم الثقة فى نظام حكمة فالقى القبض عليه . ولما شاع الخبر على اعتقاله بين الناس تظاهر آلاف الناس امام دار الحكومة مطالبين باطلاق سراحه فاطلقت الحكومة سراحه لكنه عاد الى المحمرة واختارها سكنا له .(٦٧)

الشيخ احمد بن سيف

شيخ احمد بن سيف حاكم (عسلوه) وتوابعها ولد في ١٢٤٥هـ ١٨٤٩م مرتبته من المشايخ من اهل الحكومة سيرته ليست جميلة ورعاياه يحمدونه ويشكون التظلم من اخذ الغرامات والضرائب وسكان عسلوه وتوابعها نحو الف نفر مكاسبهم من النخيل والزرع وصيد السمك والغوص ومحصول ديوانهم من ديوان تمر النخيل والمزارع والاخشاب والغرامات في كل سنة بقدر خمسة وثلاثين الف قران يسلمون ديوانهم الى فتحعلى خان القراشي . ومنهم اهل السلاح وعددهم ثلاثمائة شخص ومذهب سكان (عسلوه) وتوابعها التسعة قرى على المذهب السنى الشافعى وقليل منهم شيعة .

وللشيخ احمد بن سيف زوجتان . وليس لـه اولاد ومحل سكناه (عسلوه) وعدد افراد طائفته ١٥٠ نفر .(٦٨)

باقر خان ابن الرئيس علي خان

باقر خان ابن الرئيس علي خان حاكم (اشكنوه) وتوابعها ولد في عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م وهو موظف حكومي سيرته ليست حسنه ورعاياه يشكون التظلم وعدد سكان (اشكنوه) و (نجيه فال) حوالى الفين نفر . منهم اهل السلاح قريب من خمسمائة نفر ومكاسبهم في زراعة القمح والشعير والأرز وغالب مزارعهم تمباك (التبغ) وهم اهل نخيل وجمالة وحمارة ومحصول ديوانهم من حسابات النخيل ومن ثمر النخيل ومن المزارع والغرايم وروسيه (الضرائب على الرؤوس) ومن الجمال والحمير بالتخمين ومن البقر . والغنم فى كل سنة نحو اثنين وثلاثين الف قران يسلمون حسابهم الى فتحعلي خان القراشي . واخوانه (غلام علي خان ونجف علي خان ومحمد علي خان حاج

(١٩) ار/ ١٥/ ١/ ١٨٦/ ص ١٨/ ١٨٨٢م .

(٢٠) ار/ ١٥/ ١/ ١٨٦/ ص ١٨٧/ ١٨٨٢م (حكيم وبوربوت) .

(٢١) تولى مزعل بن جابر المحمره في ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م بعد وفاة والده الشيخ جابر الذي حكم نحو نصف قرن وتوفي الشيخ مزعل في ١٣١٥هـ ١٨٩٧م مقتولا امام باب قصره وخلفه اخوه خزعل بن جابر بن جاسب الكعبي العامري وقيل انه هو الذي قتله وكانت نهاية امارة بني كعب في الاهواز على يده/ انظر الزركلي . الاعلام ٢/ ١٠٤ .

(٢٢) ار/١٥/١/١٨٦/ ص ٢٠٥ في ١٢/٦/١٨٨٣م/١٣٠٠هـ.

(٢٣) ار/ ١٥/ ١/ ١٨٦/ ص ١٤٧/ ١٨٨٢م (حكيم وبوربورت) .

(٢٤) ار/ ١٥/ ١/ ١٩٦/ ص ٢٥٨/ ١٨٨٢م (ن.م.س.)

(٢٥) ار/ ١٥/ ١/ ١٨٦/ ص ١٥٩/ ١٨٨٢م (ن.م.س.).

(٢٦) النبهاني التحفة النبهانية ص ٢٤٧ و ٢٤٨ .

(٢٧) ار/ ١٥/ ١/ ١٨٦/ ص ١٧٩/ ١٨٨٢م (حكيم وبوربورت) .

(٢٨) ار/ ١٥/ ١/ ١٨٦/ ص ١٧١/ ١٨٨٢م (حكيم وبوربورت) .

(٢٩) ار/ ١٥/ ١/ ١٨٦/ ص ٣٨ و ٣٩ .

(٣٠) ار/ ١٥/ ١/ ١٨٦/ ص ١٣٥/ ١٨٨٢م (حكيم وبوربورت) .

(٣١) ار/ ١٥/ ١/ ١٨٦/ ص ١٤٣/ ١٨٨٢م (حكيم وبوربورت) .

(٣٢) ار/١٥/١/١٨٦/ص ٢٠٧/١٨٨٣م

(٣٣) ار/١٥/١/١٨٦/ص٢٦٦/١٨٨٢م/حكيم وبوربوت

(٣٤) ار/١٥/١/١٨٦/ص١٩١/١٨٨٢م/ . (ن.م.س.)

(٣٥) ار/١٥/١/١٨٦/ص١٢٧/١٨٨٢م (ن.م.س.)

(٣٦) ار/١٥/١/١٨٦/ص٢٨٢/١٨٨٢م (ن.م.س.)

(٣٧) ار/١٥/١/١٨٦/ص١٢٣/جيه . جيه . بربورت وايه . بي . حكيم في ١٨٨٢م

(٣٨) ار/١٥/١/١٨٦/ص٢٧٨/١٨٨٢م/حكيم وبوربوت

(٣٩) ار/١٥/١/١٨٦/ص١٣١/١٨٨٢م/(حكيم وبوربوت)

(٤٠) ار/١٥/١/١٨٦/ص . ٢٩٠/١٨٨٢م حكيم وبوربوت .

(٤١) ار/١٥/١/١٨٦/ص٢٧٠/١٨٨٢م حكيم وبوربوت .

(٤٢) ار/١٥/١/١٨٦/ص٥٨